Twitter: @ketab_n
23.12.2011
ketab.me

رحلاتي

إلى بلاد الإنجليز

Eqla3 Library
All rights reserved - eqla3.com

د. مازن مطبقاني

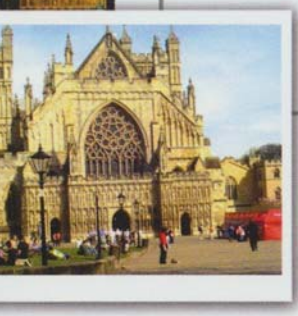

العبيكان
Obeikan

الكتاب مُهدى من: @ketab_n
إلى الأخت الفاضلة: @Washi_AE

رحلاتي إلى بلاد الإنجليز

ketab.me

Eqla3 Library
All rights reserved - eqla3.com

د. مازن مطبقاني

العبيكان
Obeikan

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

ح مكتبة العبيكان، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مطبقاني، مازن صلاح

رحلاتي إلى بلاد الإنجليز ./مازن صلاح مطبقاني. - الرياض، ١٤٣٢هـ

٢٤١ ص؛ ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٦-١٤٨-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- بريطانيا - وصف ورحلات

أ- العنوان

ديوي ٢٠٤، ٩١٤ ١٤٣٢/٣٧٦٥

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٣٧٦٥

ردمك: ٦-١٤٨-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الإهداء

الحبيبة الوفية خديجة

«الرفيق قبل الطريق»

مقولة لم أدرك معناها وصدقها

حتى كانت رفقتك في رحلات حول العالم

فكانت متعة وعلماً وترفيهاً وسعادة.

فأنت أحق من يهدى إليه هذا الكتاب.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المقدمة

عشقت السفر والرحلة منذ مدة طويلة، ومارست الكتابة عن رحلاتي ما أمكنني ذلك، حتى أصبح السفر والرحلة جزءاً من حياتي، أدمنته وأشتاق إليه. وكانت تمنعني من السفر في أحايين كثيرة صعوبة وجود الرفيق الموافق كما يقول المثل الحجازي (المرافقة الموافقة)، حتى رزقني الله - عز وجل - بأم هاشم (خديجة محمد رفوح)؛ فازداد سفري، وانتظم تدويني فسافرت معها شرقاً وغرباً وشمالاً. فأين بدأت هذه الرحلات وكيف؟

كانت أول رحلة لي عام ١٣٨٨هـ(١٩٦٨م) إلى الولايات المتحدة الأمريكية، مروراً ببيروت وجنيف ولندن، ثم إلى نيويورك، ومنها إلى لوس أنجلوس للالتحاق بمعهد اللغة الإنجليزية. وكنت في ذلك الحين أدون مذكراتي ومشاهداتي وملاحظاتي. ولكنه كان تدويناً فجّاً لم تكتمل لي أدوات الكاتب، وإن ضاع معظمها، غير أني حفظت جزءاً طيباً منها، ظهر في كتابي الأول في عالم الرحلات، وهو (رحلاتي إلى أمريكا)(*)

(*) رحلاتي إلى أمريكا، (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة) ١٤٢٥هـ-١٩٩٥م.

Twitter: @ketab_n

وعدت من أمريكا عام ١٣٩٣هـ(١٩٧٣م) لأبدأ العمل مترجماً في صحيفة المدينة المنورة مدة لم تتجاوز الأسبوعين. (لم أستمر لخلاف بين المدير العام للمؤسسة ورئيس التحرير، ولكن شاء الله أن أكتب مقالة بعنوان: (عندما تصبح القيم فريسة للمادة)، نشرت في صحيفة «المدينة المنورة». ثم كان هذا بتشجيع من الأستاذ سباعي عثمان رحمه الله، المشرف على الصفحات الأدبية في الصحيفة. وتجرأت وكتبت إلى مجلة المجتمع، أعرض عليهم أن أكتب سلسلة مقالات بعنوان: (مشاهدات عائد من أمريكا)، وسرعان ما قبل طلبي، فنشرت ثلاث حلقات.

توقفت بعدها لأنني التحقت بقسم التاريخ بجامعة الملك عبد العزيز منتسباً مستجيباً لنصيحة أحد الأساتذة بالتوقف عن الكتابة، ذلك أن طالباً منتسباً لا يمكنه أن يكون كاتباً في مجلة المجتمع لمعرفته بما يمكن أن أتعرض له من مصاعب في الدراسة. وسافرت بعد التحاقي بالعمل في الخطوط السعودية في ١٥ ربيع الأول ١٣٩٤هـ(٧أبريل ١٩٧٤م) استجابة لطبيعة عملي في قسم الشؤون الدولية، كما سافرت سائحاً مثل غيري، ممن كان يحصل على التذاكر المجانية والتذاكر المجاملة من شركات الطيران المختلفة. ولكني لم أتحمس كثيراً للكتابة المنظمة المنسقة. ولكن تلك الرحلات والسفر أضافا الكثير إلى ثقافتي ومعارفي، دون تدوين يستحق أن يكتب.

وشاء الله أن تكون رسالتي للماجستير عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فسافرت إلى الجزائر مرات عدة، وما إن حصلت على

Twitter: @ketab_n

الماجستير من قسم التاريخ بجامعة الملك عبد العزيز، حتى قررت مواصلة دراستي لمرحلة الدكتواره، فالتحقت بقسم الاستشراق بالمعهد العالي للدعوة (تحول إلى كلية الدعوة فيما بعد)، وأتيحت لي الفرصة الأولى للسفر من أجل حضور المؤتمرات في عام ١٤٠٩هـ بحضور الندوة الدولية حول الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة بالجزائر، برعاية المجلس الشعبي البلدي هناك، وتوالى سفري إلى دول العالم المختلفة، فكان المؤتمر الثاني في الجزائر وفي قسنطينة أيضاً، ثم حضرت مؤتمراً في المدرسة العليا للمعلمين بسوسة بتونس بعد سنة.

وهكذا أصبحت الرحلة جزءاً من حياتي، لطلب العلم ولحضور المؤتمرات والندوات وغيرهما من الأغراض. أسافر في أغلب الأحيان على حسابي، وبلا تمويل من أحد سوى راتبي المتواضع، وفي أحيان قليلة أجد دعوة من هنا أو هناك. وهكذا جبت أصقاع العالم في حضور المؤتمرات والندوات، حتى أصبح السفر مرضاً فلا أستطيع أن تمر ثلاثة أشهر دون أن يكون عندي سفر. وقد بلغت المؤتمرات التي حضرتها في أحد الأعوام ثمانية مؤتمرات قدمت ستة بحوث فيها.

وتعودت منذ أيام الدراسة في أمريكا أن يكون لدي دفتر غير مسطر (لا أحب الأسطر ولا القيود)، فأكتب عن كثير مما يصادفني، وأحياناً يكون هذا الدفتر نوعاً من محاسبة النفس وتذكر الأحداث والماضي، وفي الوقت نفسه التخطيط للمستقبل، فتمر في ذهني الأحلام والخواطر والأفكار فأكتب وأكتب. ومن الأماكن التي أستمتع بالكتابة فيها عندما أركب الطائرة أو إن أتيحت الفرصة لي للجلوس في مقهى من المقاهي

Twitter: @ketab_n

أشاهد الغادي والرائح. وقد يكون من المناسب أن أكتب أيضاً عندما أعود إلى غرفتي في الفندق.

وبعد كتاب رحلاتي إلى أمريكا، دخلت عام المنتديات في الإنترنت، وصار لي مكانة خاصة في عدد من المنتديات، فكانت أول عودة إلى نشر المقالات (بعد أن انقطعت عن الكتابة الصحفية المنتظمة)، فكتبت عن رحلة قمت بها للمشاركة في مؤتمر في المعهد الجامعي الأوروبي في مدينة مونتي كاتيني، ثم حضور محاضرة لبشارة دوماني عن الحرية الأكاديمية في الجامعات الأمريكية في برلين بمعهد برلين للدراسات الشرقية الحديثة. ولما وجدت قبولاً لهذه المقالات تشجعت فكتبت عن العديد من رحلاتي الأخرى، وكان منها الكتابة عن بريطانيا وهولندا والسويد واليابان وماليزيا وغيرها.

وما أنشره في هذا الكتاب ليس كل ما دونت عن رحلاتي، فلدي أكثر من عشرة من الدفاتر التي تحتاج إلى مراجعة لمواصلة تدوين ما في هذه الرحلات. ولكني وجدت أخاً كريماً له باع طويل في التحرير والترتيب هو الدكتور يحيى مراد، فأخذ على عاتقه أن يخرج هذه الرحلات إلى الملأ، فله مني جزيل الشكر والتقدير والثناء. وستكون أولى هذه الرحلات إلى بريطانيا التي أتيحت الفرصة لي للبقاء فيها عدة أشهر كباحث زائر وباحث شرفي في كل من جامعتي إكستر وأكسفورد. فأرجو أن يكون في هذه الرحلات بعض المتعة والفائدة، كما أرجو أن تكون مقدمة لنشر الرحلات الأخرى إلى الشرق والغرب والشمال.

Twitter: @ketab_n

ذكريات الرحلة إلى إكستر[1]

كنت أود أن أكون خالي الذهن لأكتب باستفاضة وإسهاب عن هذه الرحلة إلى مرابع الإنجليز، للبحث في اهتمامهم بنا، ولأهتم بهم وأدرسهم كما يدرسوننا، ولكن لأنني حتى الآن لم أجد السكن المناسب المريح، فقد وجدت غرفة في بيت امرأة أفغانية تبيع السجاد الأفغاني، وعندما تتاح لي الفرصة سأتحدث عنها وعن شخصيتها الطريفة.

الرحلة:

لماذا هذه الرحلة إلى بريطانيا؟ لقد تقدمت مثل غيري للحصول على منحة المجلس الثقافي البريطاني لما بعد الدكتوراه، وهي خمسة آلاف جنيه تعطى للشخص، ليقضي في بريطانيا مدة ثلاثة أشهر يعمل مع أحد الأساتذة الإنجليز في بحث علمي ضمن تخصصه، فأسرعت إلى إعداد موضوع للبحث، وراسلت عدداً من الأساتذة الإنجليز

(١) قمت بهذه الرحلة في الفترة من ١٠ -٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ- الموافق (٦يوليو -٢٦ أغسطس ٢٠٠٦م).

Twitter: @ketab_n

للمشاركة معي في البحث أو الإشراف على البحث والإفادة من خبراته وعلمه. ولكن الأوراق تأخرت في الرحلة من مجلس القسم إلى مجلس الكلية إلى عمادة البحث العلمي، فكان أن سبقتا كليات علمية كالطب والصيدلة والحاسب وغيرها، وأخذوا المنح السبع المخصصة لجامعة الملك سعود التي أنتسب إليها. ولكني في الوقت نفسه تعرفت على أستاذ يعمل في جامعة إكستر، كان باحثاً زائراً في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ويدرّس في جامعة إكستر. فأرسلت إليه الموضوع فعرضه على عدد من أساتذة معهد الدراسات العربية والإسلامية، الذي يحظى بدعم سخي من أمير الشارقة الدكتور محمد بن سلطان القاسمي. وأعجب الأساتذة بالموضوع، فاقترحوا أن يعرضوا عليَّ القدوم باحثاً شرفياً، لا أحتاج إلى أي مشرف، وأن أكون على حسابي مدة الإقامة.

لا أعرف الحساب ولكن رزقني الله ببعض المال، الذي اعتقدت أنه قد يكفي، وتلك واحدة من أخطائي أو حسناتي لا أعرف الحساب، فأسافر وأغامر، ويرزق الله وييسر الله والحمد لله. وكان الأمر أنني حصلت على التفرغ العلمي فوجدت أن التذكرة بالدرجة الأولى يمكن أن تصبح تذكرتين إلاّ قليلاً بالدرجة السياحية، فما لي وللأولى، تلك لأصحاب المناصب الكبرى، مثل المدير والوكلاء والوزراء، أما أنا فيكفيني السياحية، لأسافر وأقوم بالبحث، وأبحث بنفسي. فهناك من تصدر بحوث بأسمائهم، ولكنهم قد لا يكونون تعبوا في الحصول على المعلومة أو ربما حتى قراءتها.

Twitter: @ketab_n

المهم كان عليَّ أيضاً أن أتخطى بعض العقبات الخاصة: لماذا تسافر؟ وكيف تسافر؟ وغير ذلكم من الأسئلة التي تنهال على المسكين إذا أراد أن يقوم بأي عمل. فهو معتاد أن يسأله الآخرون ويتدخلون في شؤونه برغم أنه ترك لهم شؤون الدنيا كلها، فلا يتدخل في شأن أحد.

وأراد الله أن تتم الأمور وأجد نفسي في صبيحة يوم الأحد في مطار الرياض الساعة الخامسة صباحاً، لأن الرحلة تقلع إلى جدة، وهناك عليّ أن أنتظر أربع ساعات بعد أن أتسلم العفش وأنقله إلى الطابق الأعلى. وعندما تصل إلى مطار جدة فتصيبك حالة من الحزن والغم والنكد، فهذا المطار أصبح خردة، أو أصبح من الآثار البائدة لأمم كانت سائدة. والله إن كل قطعة منه تستحق أن توضع في متحف، وقال لي الموظف: تضايقت وأنت تأتي هنا خمس دقائق، فما بالك بمن يعمل فيه طوال النهار وخمسة أيام في الأسبوع إلى آخر (العمر كله)!! كيف يعيش هؤلاء وهم يعملون في مطار أكل عليه الدهر وشرب؟

وامتطينا الطائرة المقلعة إلى لندن، وبعد وصولنا وجدنا سيارة ليموزين (ليه مو زين) تنتظرنا لتأخذنا إلى فندق أجرة، الحجرة فيه (ليس فيها هاتف ولا ثلاجة ولا ولا)، وإنما هي حجرة متواضعة، ولكن الأجرة خمسة وثمانون جنيهًا (جنيه ينطح جنيه). وكل جنيه يسوى سبعة ريالات، فكانت الحسبة بضع مئات من الجنيهات أو بضع آلاف من الريالات لمدة لا تزيد على ثلاثة أو أربعة أيام. أما سائق الليموزين فكان لبنانياً، والغالب أنه من الجنوب وشيعي، حيث أكثر من الحديث عن حزب الله ومواقفه العظيمة (في نظره)،

Twitter: @ketab_n

وامتدح الرئيس الإيراني وشجاعته. وعرفت أنه مقيم في لندن منذ ستة عشر عامًا، وانتقد العالم العربي وزعاماته، وتحدث عن العلاقات بين الشعوب والحكومات، وكان عليّ أن أسكت بعض الشيء، حيث إنه لا يستطيع أن يأتمن الإنسان أي أحد، وبخاصة أن هؤلاء يمكن أن تقوم جهات معينة بتشغيلهم، فيوفر هذا لهم دخلاً إضافياً.

وفي لندن قابلت الدكتور محمود السيد الدغيم، وهو سوري مهاجر إلى بريطانيا، ومتخصص في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، فاقترح على قناة المستقلة أن تجري معي حواراً، فكلف هو بإجراء الحوار لبرنامج (عالم الكتب)، وذهبت إلى مقر القناة، وهو سفر من داخل لندن إلى شمالها البعيد جداً، وهناك تم الحوار عن مؤلفاتي وعن الاستشراق والاستغراب، وكانت مدة الحديث نحو الساعة والنصف. وكان حواراً مجانياً، بل إني دفعت أجرة الانتقال إلى مقر القناة في مكان فقير من لندن أو مكان تجتمع فيه الصناعات. لا أدري أين التمويل الذي يزعمون أن قناة المستقلة تحصل عليه، ولعلها، ولكن ما رأيته لا يدل على ذلك. وأجريت الحوار.

أردت أن أتعرف أو أعود إلى زيارة بعض معالم لندن مرة أخرى؛ فقد كانت رحلتي الأخيرة إليها في عام ١٤٠٨هـ، حينما مَنَّتْ (!) عليّ جامعة الإمام بالموافقة على قيامي برحلة علمية إلى كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، لجمع المادة العلمية لبحثي للدكتوراه حول المستشرق البريطاني الأصل، الأمريكي الجنسية، اليهودي الملة، والصهيوني النزعة برنارد لويس. وفي تلك الرحلة قررت الجامعة

Twitter: @ketab_n

أن تعاملني معاملة طالب مبتعث (كما زعموا)، فكانت المكافأة ألفين وستمائة ريال شهرياً، بالإضافة إلى إعطائي بعض النقود للتصوير والتنقلات الداخلية. ولكم أن تتخيلوا ألفين وستمائة ريال شهرياً: ماذا يمكن أن تكفي مدة شهر كامل في لندن، يا لها من كارثة!! وعندما عدت، ووجدت الغلاء، وأن ما أُعطيت من مال لا يكفي أسبوعاً واحداً، قلت للعميد حينذاك: «هل كان عليَّ أن آخذ معي خيمة لأقيم في إحدى الحدائق، وأحمل كيساً من الخبز الجاف لطعامي؟». فكان رده: أن هذه قلة أدب! كيف يجرؤ مثلك على قول مثل هذا الكلام؟ لكنه لم يتساءل: هل كان في الأمر ظلم أو إجحاف بحق طلب العلم؟ ولكن لمّا كان الله هو الرزاق ذو القوة المتين عدت من أمريكا وأخرجت أربعة كتب، هي: من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر، والغرب في مواجهة الإسلام، ونبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان، (تأليف أمين ابن حسن حلواني المدني- تحقيق)، وكتاب أصول التنصير في الخليج العربي (ترجمة عن الإنجليزية لباحث أمريكي)، واشترت مني وزارة الإعلام بما قيمته أربعين ألفاً تقريباً.

(بعض المؤلفين يستطيعون الحصول على مئات الألوف، لمعرفتهم بطرائق لم أفهمها حينذاك)، أردت أن أعود إلى معالم لندن، وكان منها ساحة البيكاديللي، والطرف الأغر، وقصر بكنجهام. فركب هاشم (ابني الذي لم يتجاوز السنتين بعد) عربته، وبدأت أنا وزوجي خديجة المشي، فقد كانت معنا خريطة لمعرفة الطرق، حتى وصلنا إلى الطرف الأغر وقصر بكنجهام وساحة بيكاديللي. وكان مشواراً طويلاً تقطعت

Twitter: @ketab_n

معه أصابع قدمي، وما زال الجرح موجوداً حتى بعد قرابة الأسبوعين. وكان المشي ممتعاً.

وفي الطريق إلى قصر باكنجهام وساحة الطرف الأغر، رأينا العديد من المهاجرين إلى بريطانيا، الذين استقدمت بعضهم بريطانيا ذات يوم للقيام بالأعمال، التي أنف أو يأنف الإنجليز من أن يقوموا بها، (قال لي بريطاني يعمل سبّاكا: «نحن البريطانيين أصحاب حوانيت أو بياعون، ونأنف من العمل في بعض المهن»). وقلت: كل واحد من هؤلاء يزعم: أنا بريطاني، فجميل أن يكون في البلد نظام يعطي الجنسية لمن يخدمها عددًا من السنين، أو يقدم لها خبرة معينة، أو يسد لها حاجة، ويمكن أن يصعد من العمل زبالاً أو حمّالا، ليكون نائباً في البرلمان أو أكبر من ذلك.

وبعض هؤلاء القادمين إلى بريطانيا ويحملون جنسيتها يصرون على ارتداء أزيائهم التي كانوا يرتدونها في بلادهم الأصلية، فالجلباب موجود، وعمامة السيخ موجودة، والحجاب الكريم موجود، ومن المسلمين من يحتفظ بلحية مباركة، ومنهم من تخلى عن الشارب واللحية، وارتدى ملابس الإنجليز، وربما بالغ في التقليد، فتجد الرجل يلبس السروال القصير (الشورت)، وهناك سراويل بين الشورت والطويل لا أدرى ما يسمونها. وأردنا أن نعود إلى ساحة الطرف الأغر ليلاً، فقيل لنا: إن الحافلة رقم ٤٥٣ تنقلكم إلى هناك، واشترينا تذكرة من آلة بيع تذاكر على الرصيف، ولأن الحافلة كانت واقفة فأسرعت إلى شراء تذاكر بأكثر من قيمة التذكرة ذهاباً وعودة، فقررت أن أتنازل عن حقي في الباقي، أو أركب الحافلة مرة أخرى دون أن أدفع لأسترجع حقي منهم.

Twitter: @ketab_n

وسارت بنا الحافلة، وتجاوزنا الطرف الأغر، وأردنا أن نسير معه حتى آخر مشواره، فإذا به يصل إلى أحياء لندن النائية والفقيرة، التي يكثر فيها البلاء والمصائب، فأصاب خديجة الذعر والخوف الشديد، وظلت من خوفها تدعو في سرّها وتقرأ المعوذات والفاتحة وغيرها من السور، وكنت أنا أحاول أن أرى جنبات الطريق. هل كنت غير خائف؟ دائماً أقول لخديجة: ثلاثة لا يخافون: المجنون والطفل الصغير والملك، فأيهم أنا؟ لا أريد أن أقول: هل كنت غير خائف؟ هل لأني تجاوزت من العمر الخمسين وهي لم تصل الأربعين بعد، فخافت وكنت غير خائف؟ وصلت الحافلة إلى آخر المطاف، وقال السائق: هيا انزلوا، فأسرعنا على الجانب الآخر من الشارع، لنأخذ الحافلة التي تعود إلى وسط لندن (الرقم نفسه)، والحمد لله أن تلك الحافلة لم تتأخر، وركبناها حتى وصلنا إلى ساحة الطرف الأغر، وكان كأس العالم قد ذهب إلى الإيطاليين، وبدأت الاحتفالات وأغلقت الشوارع، فوقفت الحافلة وأمرنا السائق أن نهبط ونترجل وقال: اذهبوا حيثما شئتم، فشركة النقل ليست مسؤولة عنكم الآن.

Twitter: @ketab_n

الرحلة إلى إكستر

بعد أن نزلنا من الحافلة، وكان هذا قبل الوصول إلى ميدان الطرف الأغر بقليل، كان علينا أن نمشي مسافة طويلة حتى مقر الفندق، وكانت الساعة قد بدأت تتجاوز التاسعة أو العاشرة مساءً. وكنت أظن أننا وحدنا مجانين في التشجيع الكروي، فإذ بالعالم كله مصاب بهذا المرض أو الداء. لقد امتلأت الشوارع بالناس يحملون العلم الإيطالي ويصيحون، وتوقفت الحركة، ولو كانت هناك حالة طارئة لتعرضت للتعطيل. وشاهدنا سيارات الشرطة تنتقل من مكان إلى مكان، فربما حدثت مشكلات ومشاغبات. والحمد لله أنه لم يكن الفريق الإنجليزي طرفاً في المباراة النهائية، وإلاّ كانت الأمور أسوأ من هذا بكثير. هل نتوقف قليلاً هنا، لماذا تكون مباريات كرة القدم بهذه الشعبية؟ هل هي سياسة عالمية، لتتلهى الشعوب عن القضايا الكبرى؟ هل أصبحت نوعاً من التجارة؟

وفي صبيحة اليوم التالي، ذهبت إلى محطة القطار القريبة من الفندق الذي أنزل فيه، وأخذت فنجان قهوة وحاولت الكتابة، فتساءلت

Twitter: @ketab_n

أولاً عن العبارة التي نرددها كثيراً:(الأمور مرهونة بأوقاتها)، وهي عبارة كنت أسمعها من والدي رحمه الله، وكنت أقبلها كما هي دون أن أفكر فيها، وها أنا أخيراً أفكر في هذه العبارة، فأتساءل: من الذي رهنها؟ ولماذا تكون مرهونة، ألا نستطيع أن نحررها؟ قال لي شيخي الشيخ إبراهيم الأخضر (شيخ القراء في المسجد النبوي، وليس إماماً؛ مع أن صوته جميل، وأداؤه رائع، وقال بعض الحجاج الجزائريين من العلماء: لم نفهم كثيراً من القرآن إلاّ بعد سما ع الشيخ إبراهيم الأخضر) سألني الشيخ ذات مرة: لماذا لم تكتب قبل الآن؟ (وكنت قاربت الأربعين من العمر حينها)، فقلت له: لم أكن أعرف الكتابة قبل ذلك، أو كنت أتعلم، وربما مدة تعلمي طالت قليلاً عن غيري من أصحاب المواهب، هل تأخري في الكتابة أدى إلى نضوج الموهبة على مهل، الأمور مرهونة بأوقاتها، ولكن الإبداع أن لا تنتظر الأمور حتى تحدث، بل تجعلها تحدث، أو تسارع في الحدوث قبل أوانها المتوقع.

وهنا توقف المزاج عن الكتابة، ريشة القلم لا تتحرك وأصابعي ممسكة بالقلم، كأنهما أصبحا قطعة واحدة، لا تخرج الكلمات أو تتعثر أو تتباطأ حتى تكاد ترفض الخروج، إنك حين تكتب بلا نفس كمن دخل إلى سباق المائة متر، فوصل الجميع إلى نهاية الحلبة، وأنت لا تزال تربط شسع نعلك[1]، أو كمن تسمع صوت الإشارة بالانطلاق، أو كمن ركب طائرة ونزل الركاب جميعاً وبقيت وحدك، وأنت لا تزال تبحث عن فردة حذائك.

(١) سير يمسك النمل بأصابع القدم.

Twitter: @ketab_n

لفت انتباهي وأنا في المقهى بائع الصحف، والصحيفة التي كان يبيعها هي الإيفننج استاندرد Evening Standard هو عجوز تسعون في المائة من شعره الأبيض، وهو واقف لا يكاد يجلس إلاّ قليلاً، والمشترون لا يتوقفون، وصحيفة اليوم لها ملحق خاص بالذكرى الأولى لتفجيرات السابع من يوليو ٢٠٠٥م، ومن طريف الأمر أن البائع إنجليزي أبيض، (ربما أوروبي مهاجر)، ولعل له عيوناً زرقاء.

بائع الصحف هذا يستخدم حاملاً متحركاً، وعلى الحامل عمود يرتفع قليلاً عن قامة الرجل بنصف متر، وعليه اسم الصحيفة. (وللصحف الأخرى حاملات مشابهة تقريباً)، وللحامل دولاب له رف في الداخل، وللدولاب باب يغلق بمفتاح، لماذا يبيع الرجل الصحف وقد بلغ من العمر عتياً؟! ما دخله من بيع الصحف؟! هل هو متقاعد واختار أن يشغل وقت فراغه بهذا العمل، أو أنه يعمل في هذه المهنة من بداية حياته حتى الآن؟! هل هو متعلم، أو أن تعليمه محدود، اضطره إلى العمل في هذه المهنة؟! لاحظت أنه بعد أن يبيع عدة صحف يسجل في أوراق أمامه، هل يسجل عدد الصحف التي باعها؟! وفي أثناء وقوفه كان يقوم بجمع القطع النقدية المتشابهة في أكياس صغيرة، تسهل عليه عد الغلّة في نهاية اليوم.

وبعد قليل من التأمل لوضع هذا الرجل، تذكرت أنني مررت بمكتب أمانة المجلس العلمي قبل سفري بأيام، لأسترجع البحوث التي قدمتها للترقية إلى الأستاذية. ودعوت من قلبي على محمد بن سعد السالم الذي أخّر ترقيتي (إدارياً- والحمد لله أنه لم يؤخرها علمياً، ويمنّ عليّ

Twitter: @ketab_n

محمد بن عبد الرحمن الربيع، أن ترقيتي علمياً لم تتأخر- تأخرت-) وكأنهم إذا فعلوا أمراً واجباً عليهم منّوا عليك به. دعوت على السالم الذي أخر ترقيتي، وقد فعل ذلك خارجاً عن الأنظمة والقوانين واللوائح، ولكن أليس ثمة قانون يعمل فيه مثل هذا المدير؟ نعم إنه قانون) (ما أُرِيكم إلاّ ما أرى) ولن أكمل.

أعود إلى الشايب صاحب الصحف، فقد باع كل النسخ التي لديه، وها هو يغلق متجره أو كشكه، وكانت الساعة السابعة إلاّ ربع مساءً. وجاءته إنجليزية تطلب نسخة، فقال لها: لقد بعنا كل النسخ اليوم. وضحك معها وضحكت معه دون أن أفهم لماذا يضحك الإنجليز وعلى أي شيء. المهم تبرع زبون كان قد اشترى الجريدة قبل قليل، فأعطاها إياها ونقدته الثمن ومشى.

تساءلت كم عدد الصحف التي باعها ذلك اليوم، هل بيع الصحف يوفر له دخلاً مناسباً؟! المهم إن كان متقاعداً فقد رفض الطريقة المصرية (طريقة الأفلام المصرية) (هوليود تصور المجتمع الأمريكي تصويراً غير حقيقي، وكذلك السينما المصرية...إلى حد ما). فالمصري عندما يتقاعد يكون وكيل وزارة أو مديراً عاماً، ولا يجد ما يفعله فينزل إلى القهوة التي أمام البيت، ليقابل زملاءه المتقاعدين مثله، ليلعب معهم طاولة الزهر (أو النرد)، ويبدأ اللعب منذ الصباح الباكر، كأنما هو ذاهب إلى العمل. أما إن جلس المتقاعد في البيت فأبرز ما يفعله أنه يتدخل في شؤون البيت: لماذا قطعة الأثاث هذه هنا وليست هناك؟ لماذا تطبخين بهذه الطريقة وليست بتلك، أنت امرأة مسرفة، كمية الزيت

Twitter: @ketab_n

في الطبخ أكثر من اللازم، أو كمية الصابون الذي وضعته الزوجة في الغسالة أكثر أو أقل.

بعض الموظفين من ذوي السلطة والصولة والهيلمان، عندما يتقاعد يصاب المسكين بنكسة عجيبة، فليس هناك من يتلقى منه الأوامر فيطيع. يحكون عن متقاعد أصابه الغم والهم والنكد عندما ضاع منه سلطان الوظيفة، فذهب إلى أحد المساجد، واشترى أباريق للوضوء مختلفة الألوان، وعمل على إعطاء الناس الأباريق للوضوء، فمن أخذ الأزرق أمره أن يأخذ الأحمر، ومن أخذ الأصفر قال له: خذ الأخضر، وهكذا دواليك.

والتقاعد عندنا في العالم العربي يطلق عليه الموت، فيقسمون كلمة متقاعد إلى (مُت قاعداً)، ولكني قرأت قولاً أظنه حديثاً: (**الناس نيام حتى فإذا ما ماتوا استيقظوا**)، ولكن لماذا لا يفكر المتقاعد في أنه كان عبداً للوظيفة فجاءه التقاعد بالحرية الحقيقية؟ أذكر من بداية حياتي الوظيفية أنني أردت أن أرفض بعض أساليب الرؤساء في الأمر والنهي. فقيل لي: الموظف ليس من حقه الاعتراض. وقالوا مثلاً فيه بعض البذاءة، ولكني أقربه لكم: (**الذي يؤجر ظهره لا يشتكي من الألم**).

من طرائف الرحلة: أني رأيت عدداً من المجاذيب، يسيرون في الأسواق، ويجتمعون في الحدائق العامة، والمجاذيب رجال ونساء لهم أشكال غريبة وملابس غريبة، بعضها ممزق ومتسخ، وبعضهم ملابسه نظيفة وهندامه معقول، ولكن هذه الملابس متنافرة في الألوان أو الشكل، في إكستر هناك أكثر من عشرة مجاذيب بين رجل وامرأة، إحداهن

Twitter: @ketab_n

لديها أكثر من كلب، تجلس في زاوية في الشارع الرئيس في إكستر، وأحد كلابها ملجم، ويقف بعض الناس للحديث معها، ملابسها متسخة نوعاً ما، وهي شابة فلا يبدو أنها تجاوزت الثلاثين بكثير، ولا يبدو فيها جنون، غير أن الجنون درجات، وتساؤلي: هل هناك دراسات على المجاذيب؟ بعض المجاذيب أشرف من كثير من العقلاء. وأتساءل: لماذا يكثرون في الغرب؟ هل هناك إحصائية بعددهم؟ هل تخلت الحكومات الغربية عنهم؟ ما الذي أدى بهم إلى أن أصبحوا مجاذيب؟ هل المخدرات والخمور هي التي قادتهم إلى هذا الطريق؟ ربما لا يكون الجميع على درجة واحدة من الجنون أو الهيام أو الضياع، ولكنهم يشتركون في كثير من الأمور. هل غياب الدين والإيمان له دور في تَكَوُّنِ هؤلاء؟ هل الانهيار الأسرى أو تهدم مؤسسة الأسرة في الغرب هو الذي قاد إلى كل ذلك؟

والسؤال الذي ينبغي أن نفكر فيه: ما حال مجاذيبنا في العالم العربي الإسلامي؟ ما عددهم، وما سبب وصولهم إلى هذه الحال؟ هل القهر والظلم أحياناً يؤدي إلى فقد الإنسان عقله وصوابه؟ إذا لم تكن المخدرات منتشرة عندنا بالطريقة التي تنتشر فيها في الغرب (وإن كان البعض يرى أنها أشد انتشاراً، لأن هناك من يروجها ولا يخشى أي قانون)، فلماذا يصاب الناس بالجنون؟!!! أعتقد أن الأسباب كثيرة جداً والحمد لله في هذا الزمن، ولأذكر لكم قصة. فأحدهم في كلية من الكليات قال لزميل له (كان طويل اللسان، كما يزعمون): أنت بحاجة إلى العلاج (من الجنون). قال له: لا بأس، فالشفاء محتمل، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (رُفِعَ القلم عن ثلاث..... والمجنون

Twitter: @ketab_n

حتى يفيق) فإفاقته محتملة، أما أنتم فموتى، والله عز وجل يقول: (والموتى يبعثهم الله) أي: لا إفاقة لهم إلاّ يوم القيامة.

وعلى ذكر الجنون والموت، فقد كان صاحبنا يعمل في كلية من الكليات، فإذا وصلها قال لزملائه: أتذكر الموت مرتين، حين آتي إلى الكلية، قالوا: كيف؟ قال: أمر بالمقبرة (وأسلم على أهلها) فذلك الموت الحقيقي، وإذا وصلت إلى كليتنا (العتيدة) أتذكر الموت ثانية، ولكن الموت هنا هو الموت المعنوي.

Twitter: @ketab_n

الكتب والمكتبات في إكستر

يعجبني أن أمر بالمكتبات التجارية في أثناء السفر، لأصاب بالإحباط والقهر ولأتعلم، فالكتاب في بريطانيا لا يقل عن عشرة جنيهات، وأحياناً يكون بثمانية أو سبعة، ولكن هذه الكتب قليلة جداً، وسبعة جنيهات يعني خمسين ريالاً تقريباً، فهل صناعة الكتاب أغلى عندهم؟ وهل يحصل المؤلف على حقوق أكبر؟ وهل يطبعون من الكتاب عدد ما نطبع؟ المقارنة لصالحهم، لأن ما نطبع من الكتاب لا يتجاوز الثلاثة آلاف، وتبقى في المخازن حتى تتلف أو يطبع الناشر بدل الآلاف الثلاثة خمسة أو ستة ويبيعها، ويقول لك دائماً: ما زالت كتبك في المستودع، والقصة طويلة. ومن ينقذ المؤلفين في عالمنا العربي الإسلامي. قمت بإحصائية ذات يوم، فلدي كتاب يصلح أن يقرأ في المدارس الثانوية، وإن كانت لدينا خمسة آلاف مدرسة، واشترت كل مدرسة نسختين لكان المجموع عشرة آلاف، ولو كان نصيب المؤلف ثلاثة ريالات من كل كتاب، لأصبح ميسور الحال. ولكن ما عدد الكتب التي تشتريها المدارس الثانوية في عالمنا العربي الإسلامي؟!!!!!

Twitter: @ketab_n

اشتريت كتاباً عن التصوف، وفي أثناء الطريق فتحت صفحة من صفحاته، فوجدته يتحدث عن صفات الله عز وجل، ويقول في ذلك: هناك فرق بين نظرة الصوفية إلى الله (سبحانه وتعالى) ونظرة علماء الكلام (العقيدة)، فالصوفية هم الذين شاعت نظرتهم عن الله لدى عامة المسلمين، بينما يرى علماء الكلام أن الله متعالٍ، بعيدٌ عن خلقه أو منفصل عنهم، واستشهد بكلام البابا السابق (يوحنا بولس الثاني) عن نظرة المسلمين إلى الخالق سبحانه وتعالى. وتعجبت من هذا الكلام، فإن كان ما درسناه في المدارس السعودية هو كلام علم الكلام فنعم ما درسنا، إنني أتذكر من الصف الخامس الابتدائي أو السادس حين حفظنا الأربعين النووية، ومنها حديث (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) فهل في الدنيا دين يصل فيه المرء إلى أن يصل إلى هذه الدرجة من المحبة، وفي الحديث: (لئن تقرب إليَّ عبدي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ولئن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً). أين عقل أو صدق أو أمانة هؤلاء الكتاب من الخواجات، الإنجليز أو غيرهم؟!!!! وبالمناسبة فهذا الكاتب الإنكليزي اسمه تشيتيك Chittick وهو من أشهرهم في الكتابة عن الصوفية. فأي فهم هذا للإسلام؟!!!!

لقد وردت صفة المحبة في القرآن (يحبهم ويحبونه)، وقدم الحق سبحانه وتعالى حبه على حبهم، وقوله تعالى: (قل إن كنت تحبون الله، فاتبعوني يحببكم الله) والآيات كثيرة، وليس هنا مجال إحصائها.

Twitter: @ketab_n

زيارة برمنجهام ومعهد ماركفيلد للتعليم العالي

سأتحدث هنا عن زيارتي لمدينة بيرمنجهام ومعهد ماركفيلد للتعليم العالي في ليستر Markfield Institute for Higher Education Licester، وهو معهد يمنح درجتي الماجستير في الدراسات الإسلامية وفي الاقتصاد الإسلامي بالتعاون مع جامعة لفبره، وقد أصبح المعهد من المعاهد المشهود لها بالمكانة العلمية، وقد تقدم للمعهد لدراسة الدكتوراه أكثر من خمسة وثلاثين طالباً، بينما لن يتيسر للمعهد قبول أكثر من عشرة طلاب. والمعهد تابع للمؤسسة الإسلامية التي تأسست في مدينة ليستر (على مسافة ساعة من مدينة برمنجهام) عام ١٣٩٣هـ(١٩٧٣م) ويرأس المؤسسة الدكتور مناظر أحسن، وهو من بنغلاديش في الأصل، وقد حصل على الدكتوراه من جامعة لندن على يد البروفيسور برنارد لويس، وقد تعاون مع المعهد العالي للدعوة الإسلامية (كلية الدعوة فيما بعد) في إنشاء قسم الاستشراق. وقد لمته أنه لم يوجه المسؤولين عن القسم تلك الأيام لاختيار نماذج غير التي اختاروا، مما أدى إلى موت القسم فيما بعد.

Twitter: @ketab_n

ركبنا الحافلة (زوجي وهاشم) وأنا الساعة الثامنة والنصف، (تنطلق الحافلة في موعدها بالضبط، وهذا جربته في ثلاث أو أربع رحلات) ووصلنا ليستر في العاشرة والنصف، (تتوقف الحافلة في بعض المدن الصغيرة في الطريق)، وبعد أن وصلنا كان أمامنا أن نمتطي التاكسي فيكلف خمسة عشر جنيهاً أو نركب الحافلة بأقل من جنيهين، فاخترنا ركوب الحافلة، ولكننا لم نستطع انتظار الحافلة رقم ١٢٠، التي توصلنا أمام المعهد، وإنما ركبنا الحافلة رقم ١١٧ التي ننزل منها ونمشي عشرة أمتار إلى الخلف، فنجد طريقاً اسمه راتبي Ratby Road، ونسير مسافة قيل لنا في التعليمات: إنها ثلث ميل، ولكنها كانت في الحقيقة أكثر من ميل ونصف، ووجدنا مكتبة متنقلة في الطريق فسألتهم، فقالوا: المشوار طويل، وكانت السماء غائمة، ونحن مهددون بالمطر، ولا نملك مظلة ولا غيرها. وسرنا ولكننا أردنا أن نتأكد، فوجدت شاباً أو طفلاً في الرابعة عشر أو دونها، فسألته عن المعهد فقال: المعهد الإسلامي؟ فقلت: نعم. قال: بعد قليل تجدونه على يسار الطريق. وكان كما قال.

وبعد لقاء أخوي مع مدير المعهد الدكتور عطاء الله صديقي دام نحو الساعة حتى أذان الظهر، فصلينا معاً ثم تناولنا الغداء، بعد أن قمت بجولة في المعهد، اطلعت على أقسامه من مكتبة ومقابلة بعض الباحثين ومعرفة بعض الأشخاص، الذين يعملون في المعهد، وكان ممن قابلت البروفيسور علي سرتي، وهو أستاذ قديم في جامعة برمنجهام مركز العلاقات النصرانية الإسلامية، وقد تقاعد، وقد قابلته عام ١٤٠٨هـ حين كنت أُعِدَّ بحث رسالة الدكتوراه. كما قابلت الدكتور مناظر أحسن رئيس المؤسسة الإسلامية التي يتبعها المعهد، وكان بيننا أكثر من لقاء:

Twitter: @ketab_n

أحدها في المدينة المنورة، حينما كانت له علاقة بقسم الاستشراق، بل ربما كان من الذين وضعوا لبنات ذلك القسم العظيم الذي قتله أبناؤه؛ لأن تلك الإدارة لم تحسن اختيار من يتخصص في الاستشراق (معذرة للزملاء إن كانوا قد غضبوا لصراحتي، أو كان المعهد أو الكلية أو القسم مقصرين معهم في إعدادهم الإعداد الصحيح). كانت نتيجة اللقاء الترحيب الكريم من قبلهم للقدوم والعمل باحثاً متعاوناً مع المعهد، وربما شاركت في التدريس وإقامة حلقات البحث وغيره. وبعد اللقاء كان الدكتور (يعد للدكتوراه) أحمد المليباري في انتظارنا في ماركفيلد، فاصطحبنا إلى مدينة توتنجهام، حيث دعانا لتناول طعام العشاء (المبكر)، وأكرمنا جزاه الله كل خير كرماً يستغربه الإنسان في الغرب. ولي كلمة: كيف يتحول العرب أو العربان إلى غربان غربية في بلاد الغرب؟ يفقدون كثيراً من خصائص الشهامة والكرم والمروءة (عرض علينا أحدهم بيته في الإجازة بألف وخمسمائة جنيه، وكأننا سنشتريه، أو لعل بركاته في المنزل لها تلك القيمة المرتفعة)، وأنا أعرف العرب الذين يعيشون في الغرب، لأنني عشت في أمريكا خمس سنوات.

ذات يوم ركبنا القطار من قرية اسمها بيتسون Beetson، وكانت الأجرة عشرة جنيهات، وهي أقرب إلى برمنجهام من ليستر، ولكن الحافلة كانت بستة جنيهات ونصف. فالقطارات أعلى سعراً ولكنها أسرع، وأوسع وأجمل، ولكن لكل حجرة أجرة كما يقولون. والقطار يتيح لك أن ترى وجوهاً أخرى غير التي بدأت معها، وأحياناً تبقى تلك الوجوه معك طوال الرحلة، كما أن القطارات تضطرك إلى رؤية أشكال

Twitter: @ketab_n

لا تحب رؤيتها، فبينما نحن في الطريق إلى برمنجهام دخل القطار أربعة أشخاص، لا هم ذكور فنقول شباب، ولا هم نساء فنقول بنات، والله لا أدري كيف أصنفهم؟!!! وكان أحدهم يرتدي فستاناً، وقد حلق أو أزال شعر يديه وساقيه، وقد أصبحتا محمرتين، مما يدل على أن الإزالة قريبة العهد، فسيبقى أحمر بعض الوقت حتى تحين إزالة الشعر مرة أخرى. وسألت زوجتي لماذا يفعل في نفسه هكذا؟!!! قالت: ليس لي علم بهذه الأمور، نحن بحاجة إلى علماء اجتماع مسلمين يدرسون أوضاع هؤلاء الناس، حتى نعرفهم عن قرب. وهذه الظاهرة لم تكن في القطار فقط، بل لقد مرّتْ معنا صور أخرى في أماكن أخرى. ولله در الشاعر الذي قال:

وما عجبي أن النساء ترجلت

ولكن تأنيث الرجال عجيب

وقد عرفت العرب داء التخنث في الجِمَال، فيقال عن الجمل: استنوق الجمل، ولم يرد عن الناقة أنها أصبحت جملاً. وهذا يقودني إلى تقرير في إحدى الصحف وهي ميترو Metro ليوم الإثنين ٢٤يوليو ٢٠٠٦ بعنوان: «دراسة جديدة أعادت إثارة النقاش حول من يحدد الشذوذ الجنسي أنت أو جيناتك؟». وتحدث في الدراسة عدد من الباحثين، ومنهم قاضي رحمن أو عبد الرحمن (على الأصح) الذي يصر على أن الشذوذ الجنسي أمر تحدده المورّثات (الجينات)، وليس الاختيار الشخصي أو التربية أو الانحراف، ويقول: «إن الشذوذ الجنسي أو المثلية (تخفيفاً للفظ الشذوذ) أمر يتم توارثه في العائلات ذكوراً وإناثاً»، وهذا

Twitter: @ketab_n

الباحث يدل اسمه على أنه مسلم، فكيف يكون الشخص شاذاً بسبب جيناته، ثم يعظم الإسلام ويخوف من الشذوذ، وإن عرش الرحمن يهتز لوقوعها، وإن هذه الجريمة تستحق أقصى العقوبة. ولكن لا تخلو الدنيا من عقلاء، فهذا باحث آخر واسمه البروفيسور جيفري ويكس Jeffery Weeks يقول: «يولد كل إنسان باحتمالات عديدة، ولكن ميولنا تتحدد في سن مبكرة من خلال تربية الوالدين، وتأثيرات المدرسة، وكذلك الناس الآخرون الذين نقابلهم، وأنا أشك في صحة التفسيرات التي تقول: «إن ما يحدث في المجتمع من انحرافات أو شذوذ أمر يعود إلى الجينات أو الخلقة. إننا نتخذ قرارات في أوقات معينة من حياتنا، ويتساءل: كيف تصف الذين يميلون إلى الجنسين، هل خُلقوا هكذا أيضاً؟». ويشير التقرير إلى أن المتحدثين تناولوا الموضوع في مركز دانا في غرب لندن، وللاطلاع على تفاصيل أكثر يمكنك الرجوع إلى الموقع:

www.danacentre.org.uk

في أثناء عودتنا من برمنجهام إلى إكستر جلست أمامنا امرأة متقدمة في السن، وكان في يدها كراس وقلم رصاص، وكانت تكتب معظم الرحلة، وقد رأيت خطها فكان حسناً مما يدل على أنها كاتبة وكانت متمكنة من الكتابة، وقد حاولت أن أكتب في أثناء سير الحافلة فوجدت الأمر صعباً فتوقفت.

المهم بعد العودة إلى إكستر أتيحت لي الفرصة للجلوس في أحد المقاهي، فرأيت اثنين أحدهما شاباً والآخر عجوزاً أو وَخَطَهُ الشيبُ[1]،

(١) وَخَطَ الشيبُ فلاناً فشا فيه، أو استوى سواده وبياضه فهو واخط ووخاط.

Twitter: @ketab_n

كان الشاب يحمل كيسًا من البلاستيك، والعجوز يحمل غطاءً للنوم، ووقفا أمام رجلين وسألاهما شيئاً، ولكنهما سارا بعد ذلك. لاحظت أن العجوز يسير مكتئباً، بينما الشاب كان يبدو عليه القوة البدنية، وكان غير متجهم. وفي اليوم التالي شاهدت الشاب ومعه الكيس نفسه، ولكن معه أيضاً زجاجة خمر نصفها مليء. ومرت أمامي عجوز تسير حافية، وهناك فتاة عرجاء ترتدي ملابس رثّة، وأتساءل هل عدد المعتوهين كثير جداً إلى هذه الدرجة وفي مدينة صغيرة مثل إكستر؟!!! ولكن ليت طالباً عربيًّا في الدراسات العليا يتقن اللغة الإنجليزية يستطيع أن يقدم دراسة عنهم.

Twitter: @ketab_n

الحديث ذو شجون مع تيم نبلاك Tim Niblock

منذ أن وصلت إلى إكستر قابلت العديد من الباحثين والأساتذة في معهد الدراسات العربية والإسلامية، ومن هؤلاء أستاذ بريطاني متخصص في دراسات الشرق الأوسط وبخاصة العلاقات الدولية، وقد صدر له كتاب قريباً عن السعودية، واسمه تيم نبلاك Tim Niblock، وقد لقيته في مكتبه، وتحدثنا عن الدراسات الشرق أوسطية، وعلاقة الحكومة البريطانية بهذه الدراسات، واللجان المختلفة التي كونتها الحكومة لدراسة احتياج البلاد في هذا المجال، وكان من آخرها تقرير لجنة السير بيتر باركر Sir Peter Parker، الذي قدم للحكومة عام ١٩٨٦م، وكان من نتيجته دعم بعض الأقسام أو دعم أقسام جديدة، وحجب الدعم عن أقسام موجودة، مما أضعف بعض هذه الأقسام، حتى فكرت تلك الجامعات بقفلها.

وتناول الحديث السعودية وما كتبه عنها في كتابه (لم أحصل عليه بعد)، ودعاني إلى عشاء في أحد المطاعم في مدينة إكستر، وقبلت

Twitter: @ketab_n

الدعوة، وكان اللقاء الساعة الثامنة مساءً، واستمر حتى العاشرة من تلك الليلة، تناولنا خلاله العشاء، وتحدثنا في أمور كثيرة حول المملكة العربية السعودية، وكيف أنه نظم مؤتمراً عن المملكة، وكان أحد المتحدثين الدكتور عبد الله فهد النفيسي، وقال كلاماً قاسياً عن المملكة، ويعد هو مسؤولاً عن المؤتمر وما قيل فيه، حتى إنه منع من زيارة المملكة لسنوات طويلة، ولكن سمح له بزيارة المملكة، وزار عدة مدن من بينها تبوك، ولما كان مدير الجامعة الأهلية الجديدة في تبوك أحد تلاميذه، والجامعة سيكون اسمها جامعة فهد بن سلطان الخاصة، فقد اتفق مع مدير الجامعة على إرسال عدد من تلاميذ الجامعة لدراسة اللغة في إكستر. وهنا لا بد من ملاحظة أو تساؤل: هل الجامعات الخاصة في بلادنا ستكون كلها باللغة الإنجليزية؟ إن بعض الكليات والجامعات الموجودة حالياً تركز على التعليم باللغة الإنجليزية، وهو أمر خطير فبدلاً من أن نهتم باللغة العربية، ويكون ثمة قرار بالتعريب، ترانا نتحول إلى التعليم باللغة الإنجليزية، فهل نقول كما يقول إخواننا في تونس: (الله غالب) أو نقول: (لا حول ولا قوة إلاّ بالله)، وهو القول الذي يقوله العاجز عن فعل أي شيء، أو هو قول اليائسين! فهل وصلنا إلى حد اليأس مع الجامعات الخاصة والحكومية في مسألة اللغة.

لا بد أن يتنبه العقلاء في بلادنا إلى هذه القضية الخطيرة، وأذكر في هذا المجال كتاب الدكتور زهير السباعي (تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية)، حيث ذكر أن تعليم الطب باللغة الأجنبية يزيد الأمر صعوبة على الطلاب، ويجعل معاناتهم لا حد لها. وقد ساعدت ابني وهو

Twitter: @ketab_n

يدرس التقنية الطبية وبخاصة المختبرات، وكان أحد دروسه في تجهيز المختبرات، فقرأت الدرس معه فوجدت أنه من الغباء المنقطع النظير أن تدرس المادة باللغة الإنجليزية، حيث الحديث عن مساحة المختبر، وترتيب الأجهزة، وأنواع الأصباغ التي تستعمل في الجدران، وغير ذلك من المعلومات. فأين المصطلحات التي لا يمكن فهمها إلاّ باللغة الإنجليزية؟!!!

وكان حديثي مع نبلاك عن السعودية من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وقضية الإصلاح وغير ذلك من القضايا. وتحدثنا عن الإعلام وحرية التعبير، ومررنا بالحديث عن حزب الله: وهل سيصبح حقاً بطلاً أو ممثلاً للمقاومة التي مرّغت وجه الاحتلال؟!!! وقلت له: إن إسرائيل بلدٌ استعماري توسعي، وجيشها (وكلُّها جيش) لا تعرف حياة السلم، ولا تستطيع أن تعيش بسلام، فهي لا بد أن تبحث عن الفرصة أو المبرر لشن الحرب. والقضية ليست غضبة من أجل جنديين، ولكنها قائمة على أساس أن الحرب لا بد أن تستمر، أو أن يستمروا في العيش بروح الهزيمة أو مهزومين. وقلت له: أما رأيي في زعامة حسن نصر الله، فالقضية أصلاً قضية عقدية، وعلاقة الشيعة وموقفهم من السنّة، ولا يمكن أن يأتي حزب يسمي نفسه (حزب الله) فيغير التاريخ، وأما معاناة الشعب اللبناني سواءً كان سنيًا أو شيعيًا أو معاناة أي شعب من الظلم تؤلم المسلم، فالإسلام جاء لإقامة العدل في الأرض. ولكننا يجب ألا ننسى دور الشيعة في العراق ووقوفهم في صف المحتل، وهولاكو ودخول بغداد وتاريخ الدولة الفاطمية الإسماعيلية معروف.

Twitter: @ketab_n

ومررنا في أثناء الحديث بصدّام، وذكر نبلاك أنه قابل صدام، ولكن صورته في الإعلام لا تعبر عن حقيقته، فهو في الحقيقة أضخم من صوره في الصحافة والتلفاز، وله هيبة خاصة. وكان يحضر مؤتمراً في بغداد واختير ضمن مجموعة لمقابلة الزعيم، فعندما وصلوا إلى القصر تم تفتيشهم تفتيشاً دقيقاً حتى خلعوا نعالهم من أجل الناحية الأمنية، وعندما كانوا في حضرة صدام تحدث إليهم مدة نصف ساعة (دون ورقة)، ثم سألهم: ما رأيهم؟ فمن الهيبة لم يستطع أن يرد عليه أحد. وهذا يذكرني بأنه في آخر مؤتمر للقمة العربية الذي عقد في بغداد، وكان صدام يتحدث إلى الزعماء العرب وينصتون إليه، وكان يتكلم بأسلوب فيه من العجب والكبرياء ما لا يمكن تحمله، حيث كان بطيئاً جداً في الحديث، فقلت تفكهاً: كان يتكلم خمس كلمات في الدقيقة أو أقل. ولما سقط صدام كثر النقد الموجه إليه.

وتحدث نبلاك عن لقائه الزعيم الليبي معمر القذافي، الذي كان اللقاء معه مختلفاً، حيث كان الدخول عليه دون تفتيش، فلم تفتح حقيبته، وعندما يتحدث الزعيم الليبي، فإنه يرغب في أن يسمع رأي من يخالفه، بل إنه يحب الجدال كما قال نبلاك. وذكر حادثة أستاذة جامعية اختلفت معه، وما تزال طليقة حرة. أهي مسرحية لا أدري؟!! وأضفت: ولكني لا أحب أن أكون جالساً مع أساتذة الجامعات أو ضيوف المؤتمرات في ليبيا، ويخطب فينا الرئيس القذافي ساعة أو ساعتين أو ثلاثة. وكان من ضمن الحديث أيضاً التفكير في بحث مشترك عن الاتجاهات الفكرية في المملكة العربية السعودية، وبخاصة أنني بدأت بحثاً قبل مدة بعنوان (الصحوة الإسلامية في الحجاز)، ولدي مصادر كثيرة

Twitter: @ketab_n

وأستطيع أن أصل إلى الصحافة السعودية، وأعرف كثيراً من التيارات الفكرية، لأنني مارست الكتابة الصحفية الأسبوعية (مقال أسبوعي في صحيفة المدينة المنورة ثمانية أعوام، وفي السنة الأخيرة كتبت مقالة يومية مدة تسعة أشهر).

سألته عن طريقة الحصول على وظيفة في الجامعات البريطانية، فأخبرني: لماذا ترغب في العمل في بريطانيا؟ فأخبرته: أنني أبحث عن مكان يشجع البحث والنشاط. (والحقيقة أن قسم الثقافة الإسلامية في جامعة الملك سعود من أروع الأقسام في التشجيع، ولكن الإمكانات قليلة، والحياة مكلفة، فلعل الحصول على تمويل معين في الغرب ووجودي قريباً من الدراسات الشرق أوسطية يتيح لي التعرف إلى مجال تخصصي أكثر وأسرع) فقال: ولكن الأستاذ الجامعي في الغرب وفي بريطانيا بالذات يكلف بأمور كثيرة، ولم تعد حياته سهلة كما كانت قبل عشرين سنة، فعليه أن يقوم بأعباء إدارية كثيرة، وعليه أن يشرف وأن يحاضر وأن يكتب ويبحث، وهو مطالب بإرضاء الإدارة وإرضاء الطلاب، وغير ذلك. (سمعت شيئاً قريباً منه في الجامعات الأمريكية) وأقول: وليت الأستاذ الجامعي عندنا يوفر له بعض ما يوفر للأستاذ الجامعي هنا، ثم يطالب بالبحث والاجتهاد، لا أن يعيش طوال حياته ولم ينتقل من أستاذ مساعد، وكم من أستاذ تقاعد وهو لم يفكر في البحث أو الترقية، وبعضهم لا يكتبون إلا ما يؤهلهم للترقية.

وأختم الحديث هنا بذكر بعض القضايا التي لفتت انتباهي في الصحافة البريطانية خلال وجودي هنا، ومنها ما يأتي:

Twitter: @ketab_n

١- الحكومة تسعى إلى تخفيض نسبة البنات الحوامل (سفاحاً بلا شك) قبل سن العشرين وبخاصة بين الملونين. يشير التقرير إلى أن بنات البنغلادشيين يحافظن على عفتهن – تقل نسبة الحمل السفاح بينهن).

٢- أطفال مغتصبون قبل سن العاشرة: تقرير عن ارتفاع جرائم الصبية في بريطانيا وأسكتلندا، التي تجرم الطفل في سن الثامنة، بينما إنجلترا وويلز لا يجرم إلاّ بعد سن العاشرة).

٣- سياسيون يعيشون حياة بهيمية من الجنس المختلفة ما يسمى في الإنجليزية Swinging.

٤- مستوى التعليم المتدني في بريطانيا، وفي تقرير آخر تراجع مستوى الطلاب الإنجليز في العلوم وفي الرياضيات.

٥- الجامعات البريطانية تبحث عن طلاب أجانب لدراسة الهندسة، لأن الطلاب البريطانيين غير راغبين في هذه الدراسات أو معرضين عنها، ولذلك تبحث الشركات عن طلاب أجانب لتعطيهم منحاً للدراسة على حسابها.

Twitter: @ketab_n

قصة البحث عن مسكن

تحدثت عن صعوبة الحصول على مسكن مناسب في إكستر لمن أراد أن يقضي شهراً أو شهرين أو أقل من ستة أشهر، فعقود استئجار البيوت والشقق هي لستة أشهر تدفع منها شهرين مقدماً، والأجرة الشهرية عادة (حسب المنطقة وحجم المنزل من أربعمائة إلى ستمائة جنيه شهرياً، بالإضافة إلى الفواتير)، أما غير ذلك فالسكن في فندق أمر صعب لمدة طويلة، إلاّ إذا كنت تحب أن تأكل من أكل المطاعم والفنادق، ولا تجد راحة حقيقية إلاّ إذا كنت تستطيع أن تستأجر جناحاً أو غير ذلك.

ومن ثم فبعد أن نزلنا أربعة أيام في إحدى الغرف التي تؤجرها الجامعة بأسعار مرتفعة، وكانت أجرة تلك الغرفة ٣٢٩جنيهاً في الأسبوع، ويقدم لك إفطار مع الغرفة، ولك حق استخدام آلات غسل الملابس. الحجرة صغيرة لا تكفي لشخص واحد، ولكن الجامعة لديها تفكير مالي مادي تجاري، ففي الصيف يكون حفلات التخرج،

Twitter: @ketab_n

وتأتي الأسر لتشارك أبناءها فرحة الاحتفال بالتخرج والحصول على الشهادة، فتكون فرصة لاستغلال غرف الطلاب في أثناء الإجازة.

ولو كان للإنجليز بعض ما للأمريكان من تفكير تجاري لبنت الجامعة فندقاً داخل أسوار الجامعة، وأعطته لشركة لإدارته، واستطاعت أن تحقق أرباحاً طيبة، بدل الاعتماد على موظفين ليسوا مؤهلين للخدمة الفندقية، وليست الغرف المتوافرة صالحة لتكون غرف فنادق، بل هي غرف للطلاب (المساكين) ولكنها تكفي. وهذا يذكرني بزيارة لجامعة إنديانا فنزلت في فندق في الجامعة، وكان أجمل من كثير من فنادق الخمس نجوم، وكانت أجرته معقولة وخدماته رائعة.

بعد أربعة أيام في سكن الجامعة قيل لنا: إن عجوزاً زوجها غائب، ولديها حجرتان تؤجرهما، فذهبنا إليها لنجد بيتاً قديماً أكل الزمن عليه وشرب، وعجوزاً لا تتكلم من الإنجليزية إلاّ ما يكفي برغم أنها تعيش في إكستر منذ ستة أعوام، (ولكن قدرتها على التعلم محدودة، فلم تستطع أن تستوعب اللغة)، تفاوضنا على أجرة الغرفة حتى قبلت بثمانين جنيهاً أسبوعياً، ولنا حق استخدام المطبخ، أما الغسالة فكانت تدعي أنها غير صالحة، (تركت الملابس فيها ولم تعرف كيف تفتح بابها)، وحتى بعد أن جاء زوجها وأصلحها رفضت أن نستعملها.

من طرائف هذه المرأة أنها نظرت إليَّ وإلى زوجي، كأننا قادمين من الصحراء حيث الجمال والرمال، ولا نعرف كيف نستخدم موقد الغاز ولا التيفال (مادة تطلى بها القدور من الداخل)، وبدأت تلقي علينا التعليمات في النظافة والنظام. لا بد من غسل جميع الأواني قبل

Twitter: @ketab_n

النوم، ولا بد من تجفيفها، ولا بد من مسح أرض المطبخ. تحملنا كل تلك الأوامر، لأنه ليس ثمة بديل. ولكن المتاعب معها لم تتوقف عند هذا، فهي تدير متجراً لبيع السجاد، لا تجلس فيه إلاّ ساعات محددة، لتعود إلى البيت وتجلس تراقب زوجتي وهي تطبخ. وتواصل المراقبة حتى ينضج الطعام، ثم تستأذن لتذهب إلى حجرتها، وندعوها للطعام معنا، فترفض أحياناً وتقبل أحياناً أخرى. وكان يزعجها أن زوجتي قد تطبخ الغداء والعشاء. ولما رأتنا ذات يوم اشترينا الربيان، قالت: تأكلون الربيان وأطفال أفغانستان لا يجدون لقمة الخبز!! ولكن ما إن عاد زوجها حتى أتى بالربيان الكبير.

سألت زوجتي ذات يوم سمعت صوتاً في الغرفة: هل لديكم مروحة؟ (كان الجو حاراً)، وزعمت أن مجموعة سكنت عندها وأحضروا أربع مراوح (الغرفة لا تتحمل هذا العدد الكبير)، ففتحت زوجي لها الباب وقالت: تفضلي، ليس عندنا مروحة ولا يحزنون. ثم سألت: أنتم تغلقون باب غرفتكم إذا خرجتم، لماذا؟ لم تقل لها زوجي: هذا أمر لا يخصك. ولم تقل لها: أنت تغلقين باب غرفتك، وباب الصالون حيث التلفاز. صبرنا؛ لأن الغريب عليه أن يصبر.

وكانت المصيبة حين قررنا أن نخرج إلى منزل آخر، فلم نعلمها حتى تأكدنا من المكان الجديد، فرأتني أحمل العفش، فقالت بصوت مرتفع: لماذا ترحلون؟ لماذا لم تخبروني؟ فقلت لها: لماذا تخاطبينني بهذا الأسلوب؟ ولكن هذا لم يعجبها، وذهبت إلى زوجي تشتكي لها من تصرفي معها، وزادت على ذلك فأخذت تتلفظ بألفاظ نابية، وتصفني

Twitter: @ketab_n

بالمغرور(هي أفغانية، ولكن يبدو أن المغرور في العربي هو المغرور في الأفغانية أو الفارسية)، وشكتني إلى سائق التكسي. وعندما أرادت زوجتي أن تخرج أعطتها غطاء السرير لغسله. فأخذته زوجي، منها لأنها كانت ترى أن المرأة قادرة على أن تدعي أي شيء، وربما تشكو إلى الشرطة، ونحن لسنا بحاجة إلى شرطة أو مشكلات من هذا النوع. فكيف ندفع خلال أسبوعين مائة وستين جنيهاً، وعلينا أن نغسل ملاءة السرير؟ وأراد الله أن ييسر لنا مكاناً عند عجوز إنجليزية، تجاوز عمرها الثمانين وهي أرملة، وتسكن وحيدة. وقد مات زوجها منذ عام. تمر بها ممرضة كل عدة أيام لتعطيها بعض العلاج، وهي مصابة بالسكري. وقد وجدت كتيباً صغيراً حول بعض الأعمال (الخيرية)، التي يقوم بها محفل مدينة إكستر، فسألتها: ما هذا الكتيب؟ قالت: إن زوجها كان صاحب منصب في المحفل، ثم سألت: ألا تعرف الماسونية؟ قلت: بلى سمعت بعض الأشياء عنهم. وأشارت إلى تعليقة ترتديها في عنقها، قالت: إن الذي يرتدي هذه الإشارة يعني أنه من الماسونيين.

عندما دخلنا البيت وجدنا الغرفة التي أعطتنا ليس فيها مكان لملابسنا أو عفشنا، لأنها تحتفظ بكل ممتلكاتها وملابس زوجها، وحتى أحذيته ما تزال مكانها، ومعاطفه معلقة بالقرب من الباب الخارجي. فقمنا بإعادة ترتيب بعض الأثاث في الغرفة، لتتسع لنا، وليكون لنا فيها مكان للصلاة.

ووجدنا رائحة نفاذة مزعجة، وكانت هذه الرائحة في جميع غرف المنزل، فقلنا: ربما لأن العجوز لا تفتح النوافذ كثيراً، فبدأت تخف

Twitter: @ketab_n

الرائحة في غرفتنا، ولكن زوجي قالت لي: لقد تعودت هذه الرائحة. ربما، وربما تحسنت أجواء تلك الغرفة. وعرفنا فيما بعد أسباب تلك الرائحة، ولكن ليس من حقي أن أبوح بسر بيت سكنته وامرأة غريبة. ولكن للحق أنها سمحت لنا أن نستخدم موقد الغاز والفرن والثلاجة، وساعدت زوجي على استخدام غسالة الملابس، وسمحت لنا باستضافة أختي التي زارتنا بضعة أيام. أعطتني نسخ مفاتيح المنزل، ولكنها في الوقت نفسه لا تحب أن نبقى في المنزل في أثناء خروجها، مما جعلني أخسر ثماني جنيهات قيمة نسخ المفاتيح (المفتاح بأربعة، وهو مبلغ مرتفع بالنسبة لخمسة ريالات عندنا).

أما المواصلات إلى الجامعة، فأحتاج إلى المشي ثلث ساعة تقريباً، حتى أصل إلى محطة الحافلات التي أستقلها إلى الجامعة، وهو مشوار أقطعه مرتين إحداهما في الذهاب إلى الجامعة، والأخرى حين الرجوع مساءً، ويتخلل ذلك المشي في أثناء النهار الذي يمتد حتى التاسعة مساءً.

أما ترتيب النوم فالمتاجر تغلق أبوابها أيام الأسبوع في السادسة عصراً، ويوم السبت تستمر حتى الثامنة مساءً، وبعد الثامنة مساءً تخلو شوارع المدينة، ولا يصبح السير فيها آمناً أو مقبولاً. ولذلك ننام في الغالب بعد صلاة المغرب والعشاء جمع تقديم. ونستيقظ دون منبه في الساعة الخامسة صباحاً لصلاة الفجر، ثم يبدأ اليوم بالنشاط والعمل، حيث أنطلق إلى الجامعة السابعة صباحاً، ولكن في الطريق أشتري إحدى الصحف البريطانية، وأجلس في أحد المقاهي للقراءة وشرب القهوة، ثم أنطلق إلى الجامعة في الساعة التاسعة صباحاً.

Twitter: @ketab_n

صحافتهم وصحافتنا!!!

منذ أن وصلت إلى بريطانيا وأنا أشتري صحيفة أو صحيفتين يومياً، والصحيفة يختلف سعرها أيام الأسبوع، فيرتفع سعرها يومي السبت والأحد، لأن الصحف تضيف ملاحق في هذين اليومين، كما تختلف أسعارها في أثناء الأسبوع؛ فصحيفة بسبعين بنساً، وأخرى بستين، وثالثة بخمسة وأربعين بنساً وهكذا، ويبدو أن الحكومة لديهم لا تتدخل في تسعير الصحف، والحقيقة أن بعض الصحف لا يشتريها أحد، وبعضها لها ملاحق من حقها أن تزيد السعر أو تخفضه كما تشاء، وبعض الصحف لو أعطت المشترين مالاً ما كلفوا أنفسهم لشرائها. ومن العجيب أن بعض الصحف عندنا تغرق في الدين وتستمر في الصدور. فأين الشفافية أيتها الصحف؟ فمثلاً رئيس التحرير يتقاضى راتباً ضخماً، بينما الكاتب المتميز لا يتقاضى سوى ملاليم، وعندما كانت مكافأة الكاتب في صحيفة من الصحف مائتين وخمسين ريالاً كان البعض يرى أن هذا مبلغ كبير، فسبحان الله، ترون ما يأخذه الكاتب، ولا ترون ما يأخذه رئيس التحرير. صحيح أن رئيس التحرير معرض

Twitter: @ketab_n

للطرد في أي لحظة إن تجاوزت صحيفته خطوطاً حمراء، وكذلك الكاتب، ولن تنفع رئيس التحرير أموال الدنيا إن طرد، أو عوقب بأي عقوبة أخرى، وكذلك الكاتب قد يتعرض للعقوبة إن تجاوز حده. وعلى ذكر رؤساء التحرير فقد يكون بعضهم يتمتع بمؤهلات (الفرعون) أو (الدكتاتور)، ففي ذات مرة أردت أن أخرج من الموضوعات الجادة التي كانت تصبغ زاويتي الأسبوعية، وأرفه عن القراء ببعض القراءات الشعرية، فما كان من رئيس التحرير (الهمام) أو (المبجل) إلاّ أن أحال المقالة إلى صفحة الثقافة، وكأن كاتب الرأي ليس له الحق في أن يختار الموضوع الذي يخاطب به قراءه، ووالله تلك الأشعار كانت أجمل من عشرات المقالات، وإليكم بعض الأبيات التي ذكرتها في تلك المقالة

يجنُ جنوني حين ينتابني الذكر

وأفقد لبّي شأن من ناله السحر

وأبعثها من جانب الصدر أنّةً

يضيق اكتئاباً عن تحملها الصدر

يقول لك الإفرنج والقول كاذب

نريد لكم وهل يُكرهُ الخير

فما وعدوا والله إلاّ ليخلفوا

وما عهدهم إلاّ على وعدهم غدر

وأود أن أشير هنا إلى قصة حصلت مع والدي رحمه الله، حين طلب الأستاذ من الطلاب ألا يحفظوا الدرس غيباً (كان درس جغرافيا)، وإنما أراد منهم الفهم، وجاء أبي في اليوم التالي وقد حفظ، فغضب الأستاذ،

Twitter: @ketab_n

وقال لهم: ألم أقل لكم لا تحفظوا، فقال أبي رحمه الله: أنا لم أحفظ، وإنما قرأت الدرس، فبقي في ذاكرتي كأني حفظته، فقال الأستاذ: تخرج إلى السبورة وتكتب بيتين من الشعر ثم تمسحهما، وتعيدهما بعد ذلك، فنرى هل تحفظ من مرة واحدة أم لا، وكان ذلك، والبيتان هما:

إذا كنت ربّاً للقلوص فلا تدع

رفيقك يمشي خلفها غير راكب

أنخها فإن حملتكما فذاك

وإن كان العقاب فعاقب

وأعاد والدي رحمه الله البيتين، وهو ما حصل معي تقريباً، حين كنت في زيارة وزير في الجزائر، فسألته عن أحد رؤساء التحرير، وكان اسمه عباساً، فقال: أخبرك ببيتي شعر وهو رأيي، فأردت أن أكتب، فقال: لا تكتب، فحفظتهما، والبيتان هما:

وشادن قلت له ما اسمك يا فتى

فأجاب باللثغة عبّاث

فصرت من لثغته ألثغ

وقلت أين الكاث والطاث

تجمعت لدي خلال هذه الرحلة قراءات كثيرة، وأتحفكم فيما يأتي ببعضها:

السجون البريطانية تشتكي من الازدحام والتكدس:

نشرت صحيفة الصن (الشمس) في عددها يوم الخميس ١٧ أغسطس ٢٠٠٦ تقريراً استغرق صفحتين، حول وضع السجون في بريطانيا، وكان

Twitter: @ketab_n

من أول الاقتراحات أن تستخدم إدارة السجون المخيمات الفارغة التابعة لوزارة الدفاع البريطانية، وهذه المخيمات عبارة عن بركسات عسكرية من الصفيح، يمكن تحويلها إلى عنابر للسجون، ويضرب كاتب المقال بما فعلته أمريكا في سجن جوانتنامو، ويتساءل: لماذا لم تبن الحكومة مزيداً من السجون، ويرد وزير الداخلية: إن وزارته لم تعط الميزانيات الكافية لبناء السجون، ولكن هناك اقتراحات أخرى ظهرت في مقالات في صحف غير (الصن)، تنادي بأن تخفف مدة محكومية بعض المساجين عدة أيام، كما اشتكى البعض بأن الشرطة والقضاة جعلوا عقوبة السجن أول عقوبة دون النظر إلى وسائل العقاب الأخرى، مثل التعنيف والتأديب.

ضحايا جرائم الكراهية العنصرية أو العرقية يعانون بصمت، صحيفة الجارديان يوم الأربعاء ١٦ أغسطس ٢٠٠٦م.

هذا المقال بقلم الكاتبة لورا سميت Lura Smith تقول فيه: «إن معظم ضحايا العنصرية وجرائم الخوف من الغرباء لا يتقدمون بشكاوى إلى الشرطة، ويعانون بصمت لأن هذا الأمر جزء طبيعي من حياتهم اليومية، ووفقاً لتقرير نشر اليوم (16أغسطس 2006) صادر عن مؤسسة مساعدة الضحايا (Victim Support): إن معظم ضحايا الكراهية العنصرية التي تشمل الاعتداء اللفظي وتدمير الممتلكات والاعتداء البدني يعانون بصمت، أما الذين يتقدمون بشكوى فلا تزيد نسبتهم على عشرين في المائة، وكثيرون ينتقدون الشرطة، لأنها لا تتخذ الإجراءات الرادعة، وبخاصة إن كانت الاعتداءات بسيطة. ويرى بعض الذين تعرضوا لهذه الاعتداءات أنها جزء من حياتهم

Twitter: @ketab_n

اليومية، ومن ثم قرروا الانتقال من منازلهم هروباً من هذه الاعتداءات، بينما فقد آخرون منازلهم أو تجارتهم بسبب عنف المعتدين أو للهروب من التعرض للأذى. ومن الأسباب التي قدمها هؤلاء الضحايا لعدم التقدم بالشكوى الخوف من الذهاب للمحكمة أو الخوف من الانتقام (من المعتدين) أو من عدم تفهم الشرطة لشكاواهم. ويقول بيتر دن Peter Dunn رئيس فريق البحث في المؤسسة المذكورة: إن جرائم الكراهية تمثل أسوأ أنواع التعصب، لقد أظهر البحث أن آثار هذه الجرائم أكثر عمقاً مما يتفهمه نظام العدالة الحالي في بريطانيا. وقد توصل البحث إلى هذه النتائج من خلال مقابلة مائة وسبعة من الضحايا، وهنا استطلاع أجري على منظمات مساعدة الضحايا، يقترحون تبادل المعلومات والتعاون فيما بينهم من أجل مساعدة فاعلة لهؤلاء الضحايا.

الجنس بلا قيود: صحيفة الاندبندانت The Independent يوم السبت ٢٢ يوليو ٢٠٠٦

قد لا يكون الجنس بلا قيود وبلا إحساس بالإثم مع الغرباء، مما يفضله كل الناس، ولكن عدد هؤلاء الذين يمارسون الجنس بلا حدود في ازدياد في المجتمع البريطاني، فهم يسعون إلى تذوق أو ممارسة هذا النوع من الجنس، وها هو تقرير كتبته إيما جولد Emma Gold تكشف فيه عن أندية شعبية (عامة) ورحلات خاصة، كل شيء فيها جائز، وأي شيء فيها مسموح به. وتقول المقالة: «ليست هذه الأمور مما يتحدث عنها الموظفون والموظفات بعد العودة إلى العمل يوم الإثنين،

Twitter: @ketab_n

ولكن المدهش أن نحو مليون ونصف زوج يعترفون بممارسة هذا العمل، ويتم الترويج لهذه الأفعال من خلال النوادي الليلية والمجلات ومواقع الإنترنت، ووفقاً لموقع في الإنترنت يطلق عليه جنة اللعب Swinging Heaven هناك أربعمائة ألف بريطاني يفعلون ذلك كل أسبوع. وما عليك إلا أن تستشير محرك البحث جوجل ليدلك على القنوات التي توصل الناس الذين لهم ميول متشابهة في ممارسة الفوضى الجنسية.

وعلى الرغم من تبادل الزوجات أو الجنس الجماعي ليس جديداً، فقد بدأ كما تقول تري جولد Gold في كتابها (أسلوب الحياة: نظرة إلى الطقوس المثيرة جنسياً): «إن هذا الأمر بدأ بين طياري سلاح الجو الأمريكي خلال الحرب العالمية الثانية، ففي هذا المجتمع كانت نسبة الوفاة عالية، مما أدى إلى نشوء علاقة حميمة بين الطيارين، حيث كان الطيار يعتني بكل الزوجات، كأنهن زوجاته عاطفياً وجنسياً إذا كان الزوج غائباً أو مفقوداً، واستمرت هذه الممارسات قريباً من قواعد سلاح الجو خلال الحرب العالمية الثانية وخلال الحرب الكورية، وانتشر الأمر إلى المناطق القريبة، وهنا أخذ الإعلام ينشر هذا الأمر باسم (نهب الزوجات)، ثم أخذت السينما الأمريكية الأمر، ونشرته بطريقة أوسع، ففي أحد الأفلام يضع الأزواج مفاتيح سياراتهم في إناء، ثم تأتي الزوجات وتأخذ كل واحدة مفتاحاً، وتذهب مع صاحب المفتاح».

Twitter: @ketab_n

معالم إكستر

أستعد لمغادرة إكستر ولما أصف لكم هذه المدينة، وإن كنت قد تحدثت عن بعض ملامحها وبخاصة المجانين والمجاذيب والمهملون والمتسكعون، ولكن أعتقد أن إكستر تستحق بضع كلمات، فهي مدينة صغيرة تاريخية، إحدى مدن مقاطعة ديفون Devon، وتبعد عن الساحل الجنوب الغربي لبريطانيا بخمسة عشر كيلو متراً. وعدد سكانها مائة وأحد عشر ألفاً وزيادة. وهي من أكبر مدن المقاطعة، لولا أنني زرت مدينة بليموث Plymouth لقلت: إكستر أكبر، ولكن تبقى لها أهمية خاصة بوجود جامعة كبيرة فيها.

من الملاحظ أن مدينة إكستر وسائر المدن البريطانية تتمتع بوسائل مواصلات عامة، مما يقلل الازدحام في الشوارع، بل لا يكاد يكون هناك أي ازدحام، وشراء تذاكر القطارات والحافلات له عدة طرق، فبإمكانك أن تشتري تذكرة سنوية أو شهرية أو أسبوعية أو حتى يومية. وعندما تأتي إلى محطة الحافلات تجد العشرات منها تقف في الصباح الباكر تستعد للانطلاق أو تبيت الليلة في موقفها، وكأنها

Twitter: @ketab_n

مواقف حافلات الحجاج، التي آن الأوان منذ زمن بعيد أن نتخلص منها، ليكون عندنا سكة حديد من المدينة المنورة إلى مكة، وبين سائر مدن المملكة. والحافلات لها جداول توضح متى تنطلق من كل محطة. ولاحظت أيضاً أن الحافلات بين المدن تسير وفقاً لجدول محدد، ولا تتأخر عنه وكأنها الطائرات.

ومن المدن التي تيسرت لي زيارتها على البحر كل من سيتون وسيدماوت وإكسماوت ودوليش وتوركي وبركسام وبلايموت Seaton, Sidmouth, Exmouth, Dawlish, Toruqay, Brixham and Plymouth وهي مدن صغيرة، ولكن لكل مدينة أو قرية طابعها الخاص وأسواقها وشواطئها، فمن شواطئ صخرية إلى شواطئ تتعانق فيها الخضرة مع زرقة البحر، لتكون منظراً من أجمل ما رأيت، وهناك أقوال لبعض الذين زاروا المنطقة، يرون أن مقاطعة ديفون من أجمل مناطق العالم. وأحد شواطئ المنطقة يطلق عليه الريفيرا الإنجليزية. ويبقى عند الإنجليز غرام بالفرنسية، فبالأمس جلست في مقهى اسمه فرنسي هو المقهى الأحمر La Rouge Café فالأثاث أحمر وعليه الطابع الفرنسي، والموسيقى فرنسية والطعام فرنسي، وكان فيه بعض الزوار الفرنسيين، وربما كان النادل والنادلة يتحدثان الفرنسية.

من أبرز معالم مدينة إكستر بعض الآثار الرومانية، فالرومان نزلوا هذه المنطقة منذ القدم، ومن هذه الآثار بعض الجسور والمباني القديمة التي حافظ عليها القوم، ويأخذون السياح لزيارتها، ويذكرني الجسر الروماني بالجسور التي بناها العثمانيون في المدينة المنورة، قريباً من

Twitter: @ketab_n

منطقة سلطانة أو العزيزية، وأعتقد أن الجسر كان قريباً من مطار صغير في تلك المنطقة، فليتنا نحافظ على ما بقي من آثار، فإن الآثار هي ذاكرة الشعوب والأمم، وتدل على احترام السابقين وتقديرهم. ولا ينبغي العبث بها، كما فعل أحدهم حين بنى محطة بنزين أمام القلعة في شارع قباء، وقد بناها بالليل في خلال أيام، فلا أدري هل كان مضطراً لهذه السرعة قبل أن يعترض أحد على أنه بنى بجوار القلعة.

وفي إكستر جامعة كبرى يصل عدد طلابها إلى ١٣٨٢٧ منهم ٨٧٠ طالباً في الدراسات العليا في مجال البحث و٢٠٦٤ طالباً دارساً في الدراسات العليا. أما عدد الطلاب الأجانب فيصلون إلى ألف وثلاثمائة طالب. وللجامعة حرمان جامعيان لكل منهما اختصاصه. وربما كان الحرم الآخر للكليات العلمية كالهندسة والطب والصيدلة وغيرها. وتتبع الجامعة مؤسسة جامعة إكستر، مسؤولة عن النواحي المالية والمادية للجامعة، ومنها جمع التبرعات والهبات، وبخاصة من الذين درسوا في الجامعة. ومن المعروف أن الجامعات الغربية عموماً لديها جمعية الخريجين، الذين يزورون الجامعة، ويقدمون لها التبرعات السخية. وأذكر أنه عندما سمحت حكومتنا في المملكة للجامعات بتلقي التبرعات، حاولت أن أقنع عميداً بالكتابة إلى جهة من الجهات يطلب التبرع، قال: لا، يجب أن يتقدموا هم. فتعجبت من هذه العقلية. وبالفعل قام ذلك المحسن بتقديم عدة مئات من الكتب هدية لكليتنا، ولكن العميد الفاضل لم يكلف نفسه أن يتصل بالمتبرع ليشكره. وليست الجامعات هي المؤسسات العلمية الوحيدة، التي لها رابطة أو جمعية الخريجين،

Twitter: @ketab_n

فالمدارس الثانوية لها جمعيات مشابهة، ويأتي الذين تخرجوا فيها وقد فتح الله عليهم، فيقدموا لجامعاتهم ما يبنون بها المعامل وقاعات المحاضرات وغير ذلك. ولم أجد في أي من جامعاتنا ما يقال: إن هذا المبنى تبرع من فلان أو فلان.

هل فقدنا الحس الخيري، أم أن طول اعتمادنا على الدولة أفقدنا الحماسة لفعل هذه الأمور؟

وفي إكستر عدد من الحدائق العامة، بل مما لفت نظري في الغرب اهتمام المدن بالحدائق، فلندن مثلاً فيها حدائق تكفي لبناء آلاف المساكن والمحلات التجارية، فلم يطمع أحد في أرض تلك الحدائق. وقد رأيت العرب والمسلمين يستمتعون بهذه الحدائق.

وفي المدينة المنورة أنشئت حديقة في حي الهجرة، وكانت متنفساً جميلاً، وبعد مدة سمعت أن بلدية قباء توشك أن تؤجر تلك الحديقة، وكتبت محذراً من الفكرة، لأن الحديقة المجانية أحسن من الحديقة التي يستولي عليها التجار. ثم إن الحديقة بنيت بأموال الدولة، فهل الميزانية لا تكفي لصيانة الحديقة. فكان الرد على مقالتي، بأنه لا أحد يفكر في تأجير الحديقة، ولكني زرت البلدية للحصول على تصريح بناء أو غيره، فأخبرني أحد الموظفين أن الحديقة سوف تؤجر وافعل ما بدا لك، أو أعلى ما في خيلك اركبه، أو اضرب رأسك بألف جدار. فهل يمكن أن تعود الحديقة مجانية وتطرد الشركات التي استولت عليها؟ وفي المدينة حديقة متطرفة، نعم متطرفة (ليس التطرف الفكري والسياسي)، ولكن التطرف المكاني، ومن الطريف أنها تسمى الحديقة

Twitter: @ketab_n

المركزية. فعجيب من يطلق هذه الأسماء. وكانت الحديقة تصل إلى الشارع، وفجأة أصبحت بعيدة عن الشارع، لأن الأرض المطلة على الشارع تصلح لمشروعات تجارية. ونتهم الغربيين بأنهم ماديين، ولكن والله نحن أحياناً أشد مادية منهم.

في إكستر شارع رئيس واحد اسمه الشارع العالي High Street، ومن الطريف أن المدن الأخرى في مقاطعة ديفون لديها جميعاً شارع بهذا الاسم. وهذا الشارع تمر به السيارات، ولكن الرصيف عريض لدرجة أنه لم تبق للسيارات إلا مسافة قصيرة. وفي بعض المناطق لا يمكن أن تسير سوى سيارة واحدة. بينما في مدن أخرى أو القرى الأخرى في المنطقة، تكون فيها منطقة يمنع فيها سير السيارات مطلقاً. ومن الشارع العالي يتفرع العديد من الشوارع التي تزدحم بالمتاجر، سواء المتاجر الكبرى (على نطاق بريطانيا) أو المطاعم العالمية، (وهم مثلنا مبتلون بالمطاعم الأمريكية مثل المكدونالدز والبيتزا والدجاج المقلي، وعندما تمر بجوار هذه المحال التي تستخدم القلي كثيراً تكاد تصاب بالغثيان، ربما لأنهم يخلطون قلي لحوم البقر والغنم مع لحم الخنزير، أو أن أنواع الزيوت رخيصة جداً. ونحمد الله أننا امتنعنا كلياً عن أكل المقلي أو اللحوم عندهم، وهناك محل لبيع اللحم الحلال، ولكن فيه رائحة غريبة، ربما لم نتعود دهون اللحم المذبوح هنا. فاكتفينا بالسمك. ومن المضحك أن أحدهم (شكله يوناني) لديه محل لبيع السمك والبطاطا، كتب على الزجاج الخارجي سمك حلال. سمعت بمثل هذه العبارة، وقلت: لا أحد عاقل يمكن أن يكتب على السمك حلال، ولكني والله رأيت العبارة على ذلك المطعم.

Twitter: @ketab_n

تقع إكستر في منطقة جبلية، فتحتاج إلى الصعود في بعض الشوارع، والجامعة بصفة خاصة تقع في منطقة جبلية، وبخاصة معهد الدراسات العربية والإسلامية في قمة الجبل تقريباً، فيحتاج الإنسان إلى طاقة خاصة للتنقل مشياً على الأقدام. ولكن كثرة الخضرة تجعل المشي ممتعاً، فكأن الجامعة غرست في وسط غابة. ولذلك فقد قويت عضلاتي في أثناء الإقامة هنا أولاً عضلات الساقين ثم عضلات اليدين من دفع عربة ابني هاشم، حيث إنه بعد يوم طويل في الألعاب المتوافرة في الحدائق، والألعاب مجانية، وتحت تلك الألعاب بلاط من نوع لين بحيث لا يؤذي الطفل إذا وقع. والألعاب من النوع القوي الذي يتحمل الزمن، وجميل في منظره، ولا بد أنهم يواصلون الصيانة لهذه الألعاب، فلم أجد خراباً فيها.

ولا بد أن أبدي ملاحظة حول الأدب الإنجليزي لدى السائقين، فبعض الطرقات لا تتحمل سوى سيارة واحدة فيقف بعضهم لبعض، بطريقة تدعو إلى الإعجاب، هل هي قوانين صارمة تحتم على من يأتي من اتجاه معين أن يقف أم أنهم يتمتعون بروح الإيثار؟

وجدت عدة أحرف مكتوبة في كل مكان، فلم أفهمها، وهي CCTV، وهذه الأحرف هي الأحرف الأولى من محطات التلفزيون الصينية، ولكني بعد أن دققت وجدت أن هذه الأحرف تعني أن المكان مجهز بآلات تصوير خفية، وأنه متصل بالشرطة. فمعنى ذلك أنه ليس لديهم رادع للسرقة إلاّ المراقبة الخارجية. كما أن المحال التجارية لا تستخدم الأشرطة الممغنطة، فقد نسينا ذات مرة وخرجنا بقبعة لابني هاشم، فلما تنبهنا عدنا إلى المتجر لدفع الحساب.

Twitter: @ketab_n

لاحظت زوجتي أن الأولاد المراهقين الإنجليز لا يكترثون بقطع العملة الصغيرة وهي البنس والبنسين، فلما يعيد لهم التاجر تلك القطع يرمونها بأرجلهم. فقد يفتقرون يوماً إلى هذه القطع. وقد لاحظت أن الأمر موجود، فكم متسول أو عاطل عن العمل طلب بضع بنسات مني أو من غيري. وقد طلب أحدهم بعض النقود من امرأة عجوز، فقالت له: اذهب واشتغل، فأنا أعمل أكثر من ثلاثين ساعة في الأسبوع، فليس لدي المال لأعطيه لشخص عاطل ينفقها على السجائر والخمر. وما أجمل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أن الصدقة لا تجوز على ذي مرة سوي، وعليكم الشرح.

Twitter: @ketab_n

الرحلة الثانية إلى بريطانيا

في البدء كانت إكستر Exter خبراً عن ندوة عن الأدب العربي والحداثة بصفة خاصة، ثم كانت قراءة في كتابات الدكتور محمد عبد الحي شعبان المتخصص في التاريخ، الذي له آراء غير مقبولة في الفتوحات الإسلامية أو حول بعض الصحابة الكرام رضوان الله عليهم. ولكن الدكتور حقق شهرة كبيرة في الغرب، ونشرت له جامعتا كمبردج وأكسفورد بعض مؤلفاته في التاريخ باللغة الإنجليزية وترجم بعضها إلى العربية. وشاء الله أن يتحول قسم دراسات الشرق الأوسط إلى معهد الدراسات العربية والإسلامية، ويحصل على تمويل سخي من أمير الشارقة، وكنت ذات يوم أنوي حضور ندوة في إكستر كرّمت كلاً من إدوارد سعيد ومحمد أركون، وكان جوازي ضائعاً فأمر مدير الجوازات بالمدينة المنورة بمنحي جواز سفر، ولكني قررت أن أتوقف في المغرب، وأعود خاطباً لا عالماً، وإن كنت قبل أن أتقدم للخطبة قدمت محاضرتين في جامعة سيدي محمد بن عبد الله والثانية في جامعة القرويين، ونالتا استحسان الخطيبة وأخيها.

Twitter: @ketab_n

تقدمت ذات يوم للحصول على منحة من المجلس الثقافي البريطاني، ونظراً للإجراءات المطولة في جامعة الملك سعود، حيث ترسل السفارة البريطانية في الرياض معلومات عن المنحة إلى وزارة التعليم العالي، التي ترسلها إلى الجامعات، ثم من مكتب مدير الجامعة إلى الكليات المختلفة، ثم من عمداء الكليات إلى رؤساء الأقسام (تخيل كم يستغرق هذا من الوقت؟)، ثم تبدأ المرحلة الثانية يتقدم الأستاذ إلى مجلس القسم (قد يتأخر شهراً حتى يجتمع)، ثم مجلس الكلية، ثم المجلس العلمي، ثم وكيل الجامعة، (وكم يستغرق هذا؟!) فتضيع المنحة، ولكن الكليات العلمية (لأنها علمية قامت بالإجراءات بسرعة، فأخذوا معظم المنح المقدمة لجامعة الملك سعود على الرغم من رغبة المجلس الثقافي البريطاني أن يكون هناك تنوع في الحاصلين على المنح، فلا يكون جميعهم من تخصص علمي أو أدبي.

وضاعت المنحة، ولكن مازن لا يستسلم، فكتبت إلى باحث بريطاني بارز هو ليزلي ماكلوكلن في جامعة إكستر ولم يرد عليَّ، فرأيت اسم الدكتور أيمن شحادة (كان يعمل في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية)، فتفاهم مع معهد الدراسات العربية والإسلامية أن يقدموا لي منحة الباحث الشرفي، (ليس لها أي ميزات مادية، فكل شيء على حسابي). ووصلت إكستر في الصيف وأمضيت نحو الشهر والنصف. تعرفت إلى عدد من الأساتذة والطلاب وإن كان المعهد شبه مغلق. غير أنني حصلت على موافقة من مدير المعهد على العودة مرة أخرى، لتكون دعوة الباحث الشرفي لعام كامل. ومما يقال

Twitter: @ketab_n

في هذه المناسبة: إن على الإنسان أن يتمثل أخلاق المؤمن بأن يكون أليفاً مألوفاً، وقد وجدت أشياء مشتركة بيني وبين الدكتور رشيد العناني، وهو الاهتمام بصورة الغرب في العالم العربي، وهناك أيضاً اتفاق بيننا على أهمية الأدب في الحياة، ومن ذلك أنه معجب بنجيب محفوظ، أو من أبرز الدارسين لأدب نجيب محفوظ، وأنا قرأت الكثير من كتابات نجيب محفوظ في أيام المراهقة وبعد ذلك بقليل، وإن كانت قراءتنا تختلف بعضها عن بعض فالدكتور رشيد معجب بنجيب محفوظ ومحب، وقد ينطبق عليه إلى حد ما. (أحتاج أن أقرأ بعمق ما كتبه الدكتور رشيد) ما قيل: «وحبك الشيء يعمي ويصم»، وأنا فيما أذكر الآن أن نجيب محفوظ كتب معرضاً بالإسلام وبمن ينتسبون للإسلام، ولا بد أن تجد في رواياته الحديث عن أنواع من الانحرافات، وهي وإن كانت موجودة حقاً في المجتمع المصري لكن نجيب يعطيها مكان الصدارة.

وصلت إكستر وقد حجزت في أحد المساكن، التي توفرها الجامعة لضيوفها، وبخاصة عندما تعقد الجامعة ندوات ومؤتمرات. وكانت الغرفة رقم ٨ في الطابق الثاني، ولكن كل طابق ارتفاعه أكثر من طابق ونصف، لأنه من المباني القديمة، حيث كان الناس يهتمون بالسقف العالي، والآن الأسقف منخفضة، فإن كان للأقدمين مبرر برفع الأسقف، فما مبررهم اليوم من تخفيض السقوف بطريقة مزعجة جداً. وكان عدد الدرجات التي كان عليّ صعودها خمسين درجة، فما بالكم لو كان الواحد يحمل حقيبة فيها عفش يكفي شهرين وفيها أيضا أربعة كيلو من التمر وأشياء أخرى، بالإضافة إلى حقيبة ثانية وربما ثالثة. وإن كان الصعود صعباً فكان الهبوط صعباً أيضاً.

Twitter: @ketab_n

والجامعات في بريطانيا تهتم بناحية الاستثمار والإفادة من المرافق الموجودة في الجامعة، بل إني وجدت فندقاً من مستوى خمسة نجوم في جامعة إنديانا Indiana، ولا تستطيع الشركات الكبرى أن يكون لها مثله. أما في جامعة إكستر فالغرف التي توفرها الجامعة عملية ومناسبة، ولكنها بعيدة كثيراً عن رفاهية الفنادق، ومع ذلك فأسعار هذه الغرف مرتفعة.

قبل شهرين تقريباً حزمت أمتعتي قاصداً بريطانيا من جديد، لإكمال مهمة الباحث الشرفي في معهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة إكستر، ووصلتها يوم الثالث من أبريل ٢٠٠٧م الموافق ١٤ ربيع الأول ١٤٢٨هـ، فلما كنت في المطار سألتني الموظفة: وما تريد أن تفعل؟ قلت: لدي بحوث وسأبقى ستة أشهر، فقالت: تأشيرتك لا تسمح لك بذلك. فلم آبه للأمر لأنني عندما تقدمت للتأشيرة قدمت لهم خطاب الجامعة، الذي يدعوني فيه للعمل باحثاً شرفياً في معهد الدراسات العربية والإسلامية. ودارت مراسلات بيني وبين المعهد، وافقوا على تمديد المنحة مدة سنة كاملة، تنتهي في شهر يوليه ٢٠٠٧م. وبعد أن وصلت بمدة ثلاثة أسابيع كان عندي مؤتمران: أحدهما في مدينة دنفر بولاية كولورادو، والثاني في واشنطن العاصمة.

ولأحكي لكم قضية البحث عن مسكن في إكستر: فبعد أن وافق إسكان الجامعة على إقامتنا خمسة أيام بحثنا في المكاتب العقارية القريبة، فكانت البيوت المتوافرة أكثر من ثلاثة آلاف ريال شهرياً، وعلينا أن ندفع فواتير الكهرباء والماء، وبعض البيوت ليس فيها أثاث،

Twitter: @ketab_n

يعني أن ننام على الأرض ونلتحف السقف. وليس هناك ما نستخدمه لصنع طعامنا أو حتى كأس الشاي، فوجدنا شقة تابعة لفندق بخمسة وسبعين جنيهاً يومياً فسكنا ثلاثة أيام، وفي هذه الأثناء مررت ببقالة تبيع المواد الغذائية للمسلمين، ومنها اللحم الحلال، والدجاج الحلال. فسألت الموظف فأخبرني أنه يعرف شخصاً من أصل بنقلاديشي يملك بيتاً، فاتصل به وجاء لتوه وأخذنا فرأينا البيت، وسعره خمسمائة جنيه في الشهر، وفوقها مائة جنيه ضريبة البلدية، وندفع الكهرباء والماء والغاز. وليس في البيت أثاث. فقبلنا البيت لأن الأجرة ستكون عشرين جنيهاً في اليوم أي مائة وستين ريالاً في اليوم. ولكن البيت واسع، فيه غرفتا نوم وغرفة جلوس وحديقة أمامية وحديقة خلفية وفيه عشب، والشارع هادئ، والمكان ليس بعيداً جداً، فالمشوار ربع ساعة على الأقدام للمدينة، ثم عشر دقائق أو أكثر للجامعة. وبعد أن سكنا بقليل تبين أن علينا أن ندفع خمسين جنيهاً للماء، وها نحن نبحث عن سكن جديد.

Twitter: @ketab_n

المعاناة مع التأشيرة وغيرها

عندما تقدمت أطلب التأشيرة العام الماضي كان لدي خطاب من شؤون الموظفين بجامعة إكستر: أن الجامعة قررت تعييني باحثاً شرفياً، ومن ثم يحق لي استخدام جميع مرافق الجامعة، واستعارة الكتب من المكتبات الجامعية، ودخول مباني معهد الدراسات العربية والإسلامية في أي وقت أشاء. وبالفعل بعد أن وصلت زرت مكتب شؤون الموظفين، فرحبوا بي وأعطوني بطاقة أستاذ زائر، واستعرت كتبا من المكتبة، وكنت أذهب إلى الجامعة يوم السبت وأحياناً يوم الأحد، وأستطيع دخول مبنى معهد الدراسات العربية والإسلامية وحدي، حتى لو لم يكن أحد في المبنى. ولما وصلت هذا العام قالوا: إن أنظمة وزارة الداخلية قد تغيرت، وتأشيرتك التي جئت بها لا تسمح لك أن تقوم بالبحث العلمي. قلت: وما ذنبي أن الأنظمة تغيرت، هل عليّ أن أعود إلى السعودية وأحصل على تأشيرة أخرى؟ لا أريد الامتيازات، وسأكون سائحاً عادياً، وأقوم بالبحث بطريقتي الخاصة.

Twitter: @ketab_n

وسافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية لحضور مؤتمرين: أحدهما في مدينة دنفر بولاية كولورادو وفي الكلية الحكومية، حول المجتمعات الإسلامية في القرن الواحد والعشرين، والثاني في مدينة واشنطن العاصمة، وهو المؤتمر السنوي الثامن لمركز دراسة الإسلام والديمقراطية، وكان حول حقوق المرأة في العالم الإسلامي. وعندما رجعت أوقفوني مدة في الجوازات، ليخبروني أن تأشيرتي تنتهي في شهر يونيه من هذا العام. وأنا أريد البقاء مدة أطول، فعليَّ المغادرة قبل موعد انتهاء التأشيرة، وعليَّ أن أغير الحجز في اليوم المقبل، وبلمحة لطيفة من المديرة –كما قالت الموظفة التي قابلتنا- سمح لي بالدخول، ولكن عليَّ الخروج قبل انتهاء التأشيرة، وإلاّ كنت مخالفاً للأنظمة. لم أخبرهم أن زوجي حامل، ونحن نخطط للبقاء حتى تضع حملها. وإذا كنت مخالفاً في نظرهم مع أنه مكتوب على التأشيرة أنه يحق لي الإقامة مدة مائة وثمانين يوماً. والتأشيرة مدتها سنة ومتعددة. أي يحق لي الإقامة هذه المدة في كل مرة أدخل فيها بريطانيا، وما يضيرهم!! فإنني لا أتسول من أحد أن يدفع تكاليف إقامتي، وسأفيد البلاد علمياً، وسأتعلم وسأنقل بعض الأشياء عن بريطانيا، ولكن وزارات الداخلية لها تفسيرات خاصة، وبخاصة في ضوء الخوف الشديد من الإرهاب، أو من الإسلام بصفة خاصة، كما قال لي موظف من أصل باكستاني يعمل في شركة يونايتد الأمريكية، قال: كل هذه الإجراءات والصعوبات خاصة للمسلمين.

كما أن لديَّ مؤتمرين: أحدهما المؤتمر السنوي التاسع لمعهد المكتوم للدراسات الإسلامية في مدينة دندي بأسكتلندا في الأول من يونيه حول مدينة القدس، والثاني مؤتمر الخليج السنوي بجامعة إكستر ٤-٥يوليه

Twitter: @ketab_n

٢٠٠٧م، والأول سأحضر فقط، بينما الثاني سأشارك بورقة حول الصحوة الإسلامية في الحجاز في الفترة من ١٩٧٥-١٩٨٠م. والذي دعاني لتقديم مثل هذا الموضوع أنني وجدت اهتماماً كبيراً بالصحوة وبالحركات الإسلامية عموماً ورغبة المسلمين في العودة إلى دينهم. وظهور طبقة المتسلقين ممن يسمون بالعلمانيين أو المتلبرلين (نسبة إلى الليبرالية)، الذين يشككون بكل ما له علاقة بالصحوة، ويسخرون من كلمة صحوة، ويطلقون على فئة من الناس الصحوي والصحويين، ومحمد علي المحمود يسميهم التقليدي والسلفي. وهذا يقودنا إلى ما يسمى حرب الألقاب، وقد استخدمها المشركون ضد الرسول صلى الله عليه وسلم، ويستخدمها الغرب ضد كل متدين يريد للإسلام أن يحكم حياة المسلمين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وأخلاقياً وسلوكياً.

وها نحن في بريطانيا في نظرهم بتأشيرة ستنتهي قريباً، وقد نطالب بدفع تكاليف ولادة زوجتي، وإن كنت سأحاول ألا أدفع. والطريف أني أخذت ابني إلى المستوصف بالأمس، فقد اتصلت وأخبروني أن الموعد الساعة الرابعة وعشر دقائق بعد الظهر، ووصلت وكتبت الطبيبة الدواء لأخذه مباشرة، وفي الوصفة هناك شروط للحصول على الدواء مجاناً، أولها :عمرك أقل من ١٦ سنة إذن لا تدفع شيئاً. وصحيح أن الدواء المكتوب في الوصفة هو للصغار، ولكن لم تسأل عن الجنسية أو من أي بلد أنت، أنت في بريطانيا فأنت تستحق الدواء المجاني والعلاج المجاني، فلماذا يصعب على حكومات دول أخرى أن تقدم العلاج بهذه الطريقة. وقد كتبت الطبيبة في الوصفة كمية معينة من الدواء ولم يكن متوافراً في الصيدلية، فقالوا: ارجع لنا غداً صباحاً تجد بقية الكمية،

Twitter: @ketab_n

ولما رجعت لم يقولوا: هات الهوية، وإنما سألت عن العنوان لتتأكد أن الدواء هو لصاحب هذا العنوان. ليس هذا انبهاراً بالغرب أو بريطانيا، ولكن ألا يسعنا ما وسعهم من تقديم العلاج للجميع، وبخاصة إذا كان لدينا من الأموال ما يكفي، شريطة ألا يكون هناك تلاعب في نوعية الدواء أو في قيمته، أي أن نتمتع بالأمانة.

وأصبح البريطانيون مغرمين بالولادة الطبيعية وحتى الولادة في المنزل، فعادت إليهم مهنة القابلة التي تزور المرأة الحامل في المنزل، وتقوم بالفحوص اللازمة، وتأخذ عينات من الدم والبول، وتسمع ضربات قلب الجنين، وتقوم بفتح ملف لدى المستشفى، وترتب لها مواعيد مع المستشفى، وغير ذلك، وتخيرها بين الولادة في البيت أو في المستشفى. ثم هناك سجل يمكن للمرأة أن تدون فيه استفساراتها أو خواطرها: كيف تريد للولادة؟ وبأي أسلوب؟ وما المهدئات أو المخدرات التي ترغب في أن تأخذها في ساعة الولادة؟ ومن يكون معها في غرفة المخاض؟ أو غير ذلك من الأمور.

وعندما عرفوا أن لدينا طفلاً يقل عمره عن الثلاث سنوات أرسلوا إلينا إشعاراً بموعد مع عيادة الأطفال لزيارتهم، ولا أدري هل كانت الموظفة التي قابلتنا ممرضة أو طبيبة، ولكنها قالت: نحن في خدمتكم لأي شيء. وأعطتنا بعض العناوين والكتيبات وأدوات الرسم، وكان لديها في الغرفة أو العيادة بعض الألعاب، فتركت هاشم يلعب كما يشاء وهي تراقبه، فهي لم تصر على فحصه، أو أي شيء، مما يمكن أن يخيف الأطفال أو يزعجهم. كان كل ما تريده أننا نعتني بالأطفال، وأردنا أن نتعرف على هاشم.

Twitter: @ketab_n

وأتعجب من عنايتهم بالأطفال، بل إنني قرأت أنهم يحتفلون بتبني الأطفال، وجعلوا أسبوعاً للتبني، ثم قدموا عروضاً مغرية للرجال والنساء العاملين والعاملات بمنحهم تخفيض ساعات العمل للاعتناء بالأطفال، ولكن ما إن يكبر هؤلاء الأطفال حتى يقدموا لهم الأطعمة الزبالة، والجنس والخمر والعنف. أو يرسلوهم إلى الحروب لاحتلال دول أخرى والسعي وراء ثرواتها وخيراتها. فلماذا كل هذه العناية بالأطفال إن كان سينتظرهم مستقبل غامض أو مستقبل كالح أو مستقبل الحروب والتدمير. ومن عنايتهم بالأطفال أنهم خصصوا دروساً مجانية لتعليم السباحة لمن هو أقل من اثني عشر شهراً، وتعليم السباحة للأطفال في سن أكبر. وكما ذكرت سابقاً يكفي أن تكون أقل من ١٦ سنة، فعلاجك مجاناً، حتى إن أول شروط العلاج المجاني هو هذا الشرط.

Twitter: @ketab_n

متفرقات من الرحلة الثانية

ضاع دفتري الذي كنت أدون فيه مذكرات الرحلة، وما زلت أنتظر أن أجده، فقد دونت فيه أشياء طريفة، ولو وجده إنجليزيٌّ فماذا يفعل به؟ ولو وجده عربيٌّ فليس فيه سوى خربشات لا تسمن ولا تغني من جوع. ولو بحث عني في إكستر فلن يجد صعوبة في الوصول إليَّ، وإنما أسأل الله عز وجل أن يرد عليَّ ضالتي. فقولوا آمين. وقد كان الدفتر في ملف معه أوراق فيها بريدي الإلكتروني وبعض الأوراق المتعلقة بالحجز إلى أمريكا، فكان بإمكان من وجده أن يخبرني عن طريق رسالة إلكترونية، وعلى أي حال كان لدي دفتر آخر فبدأت أدون فيه، وهو دفتر مخصص للرسم بالقلم الرصاص وورقه ليس من النوعية الخاصة بالحبر السائل، الذي أحب الكتابة به أكثر من الكتابة بالحبر الجاف، بل إنني لا أميل إلى أقلام الحبر الجاف، إلاّ في الكتابة السريعة القليلة جداً.

ومنذ ضاع الدفتر وفي الأيام القليلة التي أعقبته لم يحدث الكثير على صعيد الأنشطة العلمية والفكرية، غير أنني تلقيت بعض الرسائل التي أود أن أشرككم معي فيها، وهي كما يأتي:

Twitter: @ketab_n

أولاً: رسالة من محمد (أبو بكر) الباحث في التاريخ الإسلامي والاستشراق، وهو معد برامج في قناة التنوير بقنوات النيل المصرية، يبدي فيها استعداده لتغطية أنشطة المركز، وعمل تحقيق موسع عنه وعن إصداراته، وهو على استعداد لتوجيه فريق من المصورين، ومخرج ويحضر هو معهم، شريطة أن يقوم المركز بتحمل تكاليف استقبال الوفد أو المجموعة. فماذا يمكن أن أقول عن هذا العرض؟ هل كان الموقع في شبكة المعلومات الدولية مقنعاً لمن يطلع عليه أنه مركز حقيقي، يعقد الندوات والمؤتمرات، ويصدر الكتب والمجلات، ولا يقنع لجنة في جامعة الملك سعود أن هذا العمل يستحق أن يحسب نقطة من أجل الترقية إلى الأستاذية؟ هل الأعمال الإبداعية ليس لها معايير عندنا، ويقبل عليها الزوار من أنحاء العالم، ويصل الزوار إلى خمسمائة وأكثر يومياً في بعض الأيام.

وكتبت معلقاً على هذه الرسالة: أهذا خيال أم حقيقة؟ إنني أحلم، يقولون: إن مارتن لوثر كينج الزعيم الأمريكي الذي قتل في حربه ضد التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية كان يقول: (لدي حلم). وحلمه القضاء على العنصرية في أمريكا. ولكن هل حلمي أن يكون لي مركز بحوث أو أن طموحي أكبر من أن أكون مجرد صاحب مركز بحوث؟ وما قيمة مراكز البحوث في عالمنا العربي الإسلامي المعاصر؟ مراكز البحوث كثيرة ما قيمتها وما أثرها؟ هل طموحي أكبر من مجرد مركز بحوث؟ لم أرد على الأخ محمد بعد، فلا أدري والله ما أقول له؟ أقول له: إنك مخدوع باسم مركز المدينة المنورة، إن كل هذا الموقع إنما هو جهد فرد واحد، نعم هذا الصباح أو الآن هذه اللحظة عدد زوار الموقع هو ٢٣٠٩٧٩، والمائة والثلاثين ألفاً الأخيرة هم الزوار منذ شهر مارس العام الماضي.

Twitter: @ketab_n

وزوار الموقع أحياناً مثل من يشتري الجريدة، فقد يقرؤها خمسة أو أكثر، وبعض الذين يدخلون الموقع يصورون منه مادة علمية فيوزعونها على عدد كبير، وأعرف أن هذا يحدث في الجامعات السعودية، التي فيها مادة الاستشراق، وأعرف أنه في عمان وفي أماكن أخرى كلّف الأساتذة طلابهم زيارة الموقع.

ثانياً: كتب إليَّ الأستاذ الدكتور علي النملة مرسلاً نسخة من كتاب جديد له لم يصدر بعد بعنوان (نقد الاستشراق) وقد كان وعد في الماضي قبل أن يصبح وزيراً أن يتعاون مع المركز، وكما قال ها هو يفي بوعده. وما زلت أنتظر أن ينشر الكتاب، ويسمح لي أن أضعه في الموقع، أو لعلي أقوم بتطوير الموقع، ليكون فيه مكان لتنزيل الكتب، وبخاصة كتبي القديمة التي لم يعد تتوافر منها نسخ في الأسواق.

ثالثاً: كتب إليّ الأستاذ الدكتور محمد ربيع الذي درس في أمريكا وألمانيا، ودرَّس في كليهما، ودرَّس في دول عربية مختلفة، ومتخصص في العلوم السياسية، وله أكثر من عشرين كتاباً، منها أربعة عشر كتاباً باللغة العربية والباقي باللغة الإنجليزية وبلغات أوروبية مختلفة. وله موقع مهم. كتب إليّ يعرض التعاون مع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق. ولم أجبه بعد لأنني لا أعرف أيضاً كيف أخبره أن المركز الذي يرغب في التعاون معه إنما هو فرد واحد.

رابعاً: باحث في الجامعة الأردنية لديه بحث حول الاستشراق، ويطلب من المركز مساعدته في المراجع، صحيح أنه طالب يبحث عمن يأخذ بيده، ولم أجبه بعد، ولعلي أكتب له بعض النصائح، حول كيفية العثور على بغيته من المراجع.

Twitter: @ketab_n

خامساً: تلقيت رسالة من الباحث سامي أيوب الذي درس العلوم الشرعية في الأزهر باللغة الإنجليزية، وحصل على منحة دراسية لإتمام دراساته العليا في بريطانيا، ويستشير في أي الجامعات يلتحق، ويسأل عن المفاضلة بين أكسفورد وكمبردج وجامعة لندن، فأخبرته أن الأمر يعتمد على الأستاذ الذي سيدرس معه، والأمر الثاني: إن سمعة أكسفورد وكمبردج عالية جداً، وفخر أن يلتحق الإنسان بأي واحدة منهما، شريطة أن يحافظ على هويته ودينه، فإن بعض المنحرفين وكبار المنحرفين تخرجوا في أرقى الجامعات العالمية، وأذكر باحثاً سعودياً مهتماً بالفولوكلور والرقصات الشعبية واللهجات، تخرج في بيركلي ويعدونه طالباً أو باحثاً متميزاً، مع أنه في معايير الإسلام قد انحرف انحرافاً بعيداً، نسأل الله له التوبة والهداية.

من قراءاتي في الصحافة الإنجليزية:

١- بريطانيا تفشل في حربها ضد المخدرات، أو (فشلنا في محاربة المخدرات)، وهذا الخبر في صحيفة الأوبزيرفر ليوم الأحد (نسيت أي أحد)، ولكن في المستقبل إن شاء الله أكمل التفاصيل.

٢- قدمّت الإذاعة البريطانية تقريراً بعنوان(جون وجانيت)، وهذه كناية عن زوجين يعيشان بعضهما مع بعض، ويقول التقرير: إن هذا الأمر قد تغير؛ فالأسر المكونة من أبوين قد تقلص عددها، والأرقام كما يأتي:

- ربع الأطفال البريطانيين يعيشون في أسرة بأب واحد، والغالبة الكبرى منهم يعيشون مع أمهات وحيدات، وقد زاد عدد النساء

Twitter: @ketab_n

اللاتي يربين حتى ثلاثة أطفال بثلاثة أضعاف عما كان عليه الوضع عام ١٩٧٠م.

- عدد الزيجات قد بلغ الحد الأدنى الذي لم يصله من قبل، ففي عام ١٩٧٢ سُجلت أربعمائة وثمانون ألف حالة زواج، وآخر رقم يقول: إن عدد الزيجات ٢٨٤ألفاً، وفي مقابل كل ثلاث زيجات هناك طلاقان.
- خلال العشرين السنة الماضية تضاعف عدد الرجال والنساء، الذين يعيشون معاً دون زواج، حيث زاد من ١٢٪ إلى ٢٤٪ ، وهذا أدى إلى زيادة ولادة الأطفال خارج نطاق الزوجية، ففي عام ١٩٨٠ كان ١٢ ٪ فقط من الأطفال يولدون خارج نطاق الزوجية، أما الآن فقد زادت النسبة إلى ٤٣٪ وهي تزداد، ففي مقاطعة ويلز تصل هذه النسبة إلى ٥٢٪، بينما تصل في شمال شرق إنجلترا إلى ٥٥٪. وهذه النسبة بين الأعلى في أوروبا، ففي قبرص مثلاً لا تزيد هذه النسبة على ٣٪.
- عدد الرجال والنساء الذين تبلغ أعمارهم من ٢٥-٤٤ الذين يعيشون وحدهم قد تضاعف خلال العشرين سنة الماضية، وبخاصة بين الرجال، فواحد من كل ستة رجال في منتصف العمر يعيش وحده بسبب انهيار العلاقات الأسرية.
- في عام ١٩٥٨ اعتقد ستون بالمائة أن معظم الناس يستحقون الثقة، أما اليوم فإن هذه النسبة هي ٢٩٪ فقط، وهذا يدل على أن روابط المجتمع أصبحت ضعيفة. وازدادت نسبة الشكوى من الجيران. بل إن من القضايا الكبرى التي تناقشها وسائل الإعلام

Twitter: @ketab_n

البريطانية المختلفة السلوك الاجتماعي وبخاصة بين الجيران. وإحدى القضايا كانت ضد امرأة تجاوزت الثمانين، وخاطبها القاضي قائلاً: أي عقوبة تستحقين وأنت في هذه السن.

وهنا أقول: ما أعظم ديننا حين جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن المرأة التي تصوم وتصلى ولكنها تؤذي الجيران، فأي عقوبة استحقت، وانظر إلى حديث المصطفى (**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن: من لا يأمن جاره بوائقه**)، وحديث (**مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**).

Twitter: @ketab_n

هل يعاني الإنجليز؟

أحب أن أبدأ من العنوان، وهناك من يرى أن يكون العنوان آخر شيء، ويعتقد أن الفكرة يجب أن تكون هي الأصل ثم يأتي العنوان. وقد قيل: (ومن أصحاب هذا الرأي زوجي خديجة: إنني لا أجيد أحياناً اختيار عناوين مقالاتي، وقد تكون على حق).

- العيش المنفرد: تذكرني هذه العبارة بما تقدمه الإذاعات أحياناً ما يسمى «العزف المنفرد»، وفي بريطانيا أصبح ثلث البيوت يعيش فيها شخص واحد، وقد ارتفعت هذه النسبة من عام ١٩٦٠م، حيث كانت ١١٪ فقط لتصبح أكثر من ثلاثين في المائة. ويضيف تقرير محطة البي بي سي: إن عبارة «العيش وحيداً» أصبحت من العبارات التي تحمل معاني كثيرة، وبخاصة عند الشخصيات العامة أو المشهورة، تعني حياة مضطربة أو شخصاً يعاني نفسياً. وهناك نحو ستة ملايين ونصف بريطاني يعودون إلى منازل خاوية كل ليلة، وبالتأكيد هناك منافع للعيش المنفرد. ومن ذلك:

Twitter: @ketab_n

- تقول سالي وعمرها ٣٤سنة وتعيش وحيدة منذ ستة أشهر: إن التجربة ليست مسببة للاكتئاب. ويقول مولهولاند الذي يعيش مع شخصين آخرين: إن العيش مع الآخرين شيء إيجابي جداً.
- ثم يقدم التقرير مزايا وسلبيات كلتا الحالتين من وجهة النظر الإنجليزية وحتى الإنسانية من تعليم التعاون والمشاركة والمحافظة على نظافة المكان، ويقدم بعض السلبيات للحياة في الحالتين، فالعيش مع آخرين لا يترك لك المجال لتكون وحدك حين تريد أن تكون مع ضيف آخر وحيدين، وغير ذلك من الأمور، ويقدم التقرير أرقاماً أخرى حول الحياة الاجتماعية في بريطانيا، ومنها:
  - الزواج الثاني يساوي خمسي عدد الزيجات عام ٢٠٠٥م.
  - معدل سن الزواج لأول مرة في إنجلترا وويلز (كأنهما دولتان) قد أصبح ٣٢ للرجال و٢٩ بالنسبة للنساء، بينما كان ٢٥ للرجال و٢٣ للنساء عام ١٩٧١م.
  - انخفضت أعداد الطلاق عام ٢٠٠٥ م إلى ١٥٥ألف حالة، بينما كان أعلى رقم في عام ١٩٩٤ هو ١٨٠ ألف حالة.
  - في عام ٢٠٠٦ م ٦٦٪ من الأسر ذات العائل الواحد تعيش في منازل مستأجرة مقارنة بـ ٢٢٪ أسر ومعها أطفال[1].

كبار السن والحياة الجنسية:

تحت عنوان: آه يا أمي توقفي عن الحديث عن حياتك الجنسية، وملخص المقالة التي نشرت في صحيفة الديلي ميل Daily Mail يوم

1- tory from BBC NEWS:
http://news.bbc.co.uk/go/pr/fr/-/1/hi/uk/6542031.stm
Published: 200713:42:49 11/04/ GMT

Twitter: @ketab_n

الخميس ٣مايو ٢٠٠٧م تتحدث عن الحياة الجنسية لكبار السن (لا يفرق المقالة في الحديث بين المشروعة وغير المشروعة) وفي المقالة تذهب امرأة فوق الخميس إلى الطبيب، وهي تعاني بعض الأمراض الجنسية، فلا يرى الطبيب شيئاً في الموضوع، بل إنه يشجعها على أنها ما تزال نشطة، ويعطيها بعض الواقيات لاستخدامها في مغامراتها القادمة.

قلت: سبحان الله التقدم في السن عندنا تقرب الإنسان من الله -في الغالب -(مرت مرحلة فتحت شركات الطيران وشركات السياحة الطريق إلى بانكوك وإلى عواصم عربية أخرى، فرأيت كبار السن يحملون العكاكيز ويذهبون إلى تلك الدول). وفي الحديث: إن من أكبر الذنوب الشايب الزاني، ونقول في عاميتنا عن الشخص الذي يتجاوز حده في المعصية (شيبة عاصي)، لأن الغالب في ثقافتنا الإسلامية ألا يكون المرء كذلك، ولكن انظر إليهم. وصحيح أن كاتبة المقالة تستهجن ما تفعله أمها من الحديث عن مغامراتها الجنسية، وكأنها تقول لأمها: ألا تستحي من الشيب في رأسك (قبل صبغه) أن تتحدثي بكل تفاصيل مغامراتك الجنسية، ومع شباب أقل منك سنًا، يمكن أن يكونوا أولادك.

الحياة العصرية تقود إلى تدهور الصحة:

تزداد وتيرة الحياة سرعة، فالمشاة على الأرصفة ازدادت سرعتهم عمّا كانوا عليه قبل عشر سنوات. فقد أجريت تجربة في اثنتين وثلاثين مدينة، أظهرت أن سرعة المشاة قد ارتفعت بنسبة عشرة في المائة عما كانت عليه عام ١٩٩٤م. ويقول علماء النفس: إن الدراسة أوضحت كيف أن الإنترنت والهاتف النقال قد جعلا الناس أقل صبراً، وأديا بهم إلى

Twitter: @ketab_n

تكديس الأعمال في يوم واحد. ووجد البحث أن أكبر سرعة سجلت فيما يسمى النمور الآسيوية مثل الصين وسنغافورة، التي شهدت تحولات اجتماعية واقتصادية.

فالمشاة في هذه الدول يسيرون بسرعة أكبر بعشرين إلى ثلاثين بالمائة عما كانوا عليه في التسعينيات. وأسرع المشاة في العالم هم في سنغافورة. ولندن أسرعة مدينة في بريطانيا، ولكن ترتيبها هو الثاني عشر في دول الاتحاد الأوروبي. ويقول البروفيسور ريتشارد وايزمن: إن سرعة المشي مؤشر جيد لسرعة حياة الناس، وكانت هناك دراسة أخرى أجريت عام ١٩٩٤م من قبل أستاذ بجامعة كاليفورنيا الحكومية ذكر أن سرعة المشي تشير إلى مؤشرات تخص الصحة والسلوك. وذكر أن الناس حين يسيرون بسرعة يميلون إلى عدم مساعدة الآخرين إلى احتمال ارتفاع معدل إصابتهم بأمراض القلب.

وأضاف وايزمن: إن الضغوط على الرغم من أنها ليست كبيرة فإن ما يحدث هو: أن الناس يزداد الضغط عليهم، وينفقون وقتاً أقل مع أصدقائهم، وينفقون وقتاً أقل في الرياضة، ويأكلون بطريقة سيئة، ويشربون بطريقة سيئة، ويدخنون أكثر. وكل هذه التفصيلات تجدونها في كتاب جديد صدر حديثاً للدكتور وايزمن بعنوان (Quirkology) «النساء والقضايا العامة».

كتبت أليس مايلز Alice Miles في مقالة لها في صحيفة التايم اللندنية يوم ٢مايو ٢٠٠٧ حول غياب المرأة البريطانية عن الاهتمام بالقضايا العامة، وتعجبت أن الصحف الكبرى لعدة أيام لم تظهر فيها

Twitter: @ketab_n

صورة امرأة واحدة، عدا تلك الصورة التي ظهرت في الصفحة الثالثة في كل من التايم والجارديان لامرأة تقوم بعرض للأزياء. ومما قالته: «ماذا حدث لنا نحن النساء؟ أليس هناك أي ملاحظة من قبل أي امرأة حول بريطانيا خلال نهاية الأسبوع؟ ألم يكن هناك أي صحفية في صفحة الجارديان لتكتب عن الأخبار يوم الإثنين؟ أم أن الأمر كما قالت التايم في صفحتها الأولى: إننا استسلمنا ودخلنا مطابخنا. إن دور الحضانة بدأت تواجه عدم الإقبال عليها، لأن النساء قررن البقاء في المنزل لرعاية الأطفال. وواصلت الحديث قائلة: إن صفحات الصحف حفلت بأخبار حاملي المتفجرات أو «الانتحاريين» أو عن رجال قضاة ورجال متحدثين باسم وزارة الداخلية، ولم يكن هناك أي امرأة فائزة بجوائز سوني للمقدمين الإذاعيين، فقد ذهبت الجوائز كلها للرجال. ماذا حدث لنا نحن النساء؟

وتضيف عن دور الحضانة بأن الصورة ليست قاتمة تماماً، فهناك ما يدعو إلى السرور، فإن دور الحضانة على الرغم من وجود أماكن شاغرة فيها، إلاّ أن عددها قد تضاعف في السنوات الأربع الماضية.

وتعود إلى سخريتها من ابتعاد النساء عن القضايا العامة والقضايا الكبرى، فتقول: ماذا نفعل نحن النساء؟ لا شيء سوى الوقوف في نوافذ المتاجر لعرض الأزياء . وفي مقالتها تشير إلى سخرية الرجال من النساء إذا تعاطين الشأن العام. فساحة النقاش السياسية يسيطر عليها الرجال. وختمت بأن مجلسي النواب والأعيان البريطانيين يعانيان قلة عدد النساء فيهما، ولا يتوقع أن تزيد هذه النسبة بعد الانتخابات المقبلة.

Twitter: @ketab_n

وأقول لهذه المرأة: لقد اختارت المرأة الغربية أو اختير لها أن تكون مع الرجل في كل مكان، وطالبن لسنوات طويلة بالمساواة، ولكن أي مساواة أن تعيش المرأة مع الرجل دون زواج، تدفع تكاليف الحياة كما يدفع، حتى إذا وجد من هي أجمل منها أو أغنى تركها وسار إلى الأخرى. وأي مساواة ومعظم الأطفال في البيوت الإنجليزية يعيشون مع نساء هجرهن الرجال؟ لقد خالفتن الفطرة أمداً طويلاً فها أنتم تدفعن الثمن.

Twitter: @ketab_n

ندوة في مركز المكتوم للدراسات الإسلامية والعربية في داندي- أسكتلندا

علمت عن ندوة تعقد عن القدس وأخرى عن تدريس الإسلام في بريطانيا، يعقدهما معهد المكتوم للدراسات الإسلامية والعربية في مدينة دندي Dandi (بالقرب من أبردين Aberdin) في أول يونيه ٢٠٠٧م، وكنت مقيماً حينذاك في مدينة إكستر، ولما كانت المسافة بعيدة لذا قررت السفر بالطائرة، وما إن ركبنا الطائرة ذات المراوح (من طيارات أيام زمان)، كأن الإنجليز والأوربيين قرروا أنه لا حاجة لتكلفة الطائرات النفاثة، التي تستهلك كمية كبيرة من الوقود، فليستعملوا الطائرات القديمة. المهم شكل الطائرة من الداخل مريح، والمسافة بين المقاعد معقولة. جلست في مقعدي ولم يكن أحد بجواري، فعدد الركاب لا يكاد يزيد على نصف المقاعد بكثير. فتحت دفتري، وكتبت دعاء السفر: (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون)، وأكملت كتابة الدعاء، ودفعت الطائرة إلى الخلف لتمسك الجادة، المهم بدأت الطائرة في السير على المدرج، وبعد قليل أطفأ قائد الطائرة الإضاءة الداخلية، وعرفت أننا سنقلع، ولكن بعد قليل أضيئت الأنوار مرة ثانية، وبدأ صوت

Twitter: @ketab_n

المحرك يخفت، قلت: لا بد أن في الأمر سرًّا، فما أشعل القائد الأنوار إلا لأنه يريد أن يقف. قلت: اللهم اجعله خيراً.

وبعد قليل أعلن أن المحرك الأيسر وهو من الجهة التي كنت أركب فيها يشير إلى أنه ليس في صحة جيدة، أو لا يعمل بطريقة جيدة، فقرر القائد العودة لفحص المحرك. وجاء المهندس وفحص المحرك، فلم يجد شيئاً حتى بعد أن أدير المحرك على سرعة كبيرة. ولكنه كما قال الكابتن كان يحك رأسه. لم أفهم العبارة تماماً، حتى سمح للركاب الاتصال بأهاليهم لإبلاغهم بتأخر الرحلة، فقالت الفتاة التي خلفي لأهلها: إن المهندس يحك رأسه، يحك رأسه، يحك رأسه. يعني أنه ما زال غير مقتنع بأن العلة قد اكتشفت. فقال قائد الطائرة: من حظكم أن طائرة قادمة، وسنطلب منها أن تقف بالقرب حتى تنزلوا من الطائرة هذه وتركبوا الطائرة الأخرى. وبالفعل وصلت الطائرة الثانية ونزل منها الركاب وأعدوها لاستقبالنا، وبالفعل تم انتقالنا إلى الطائرة الثانية وكان قد ضاع من الوقت ساعة كاملة. وعندما انطلقت الطائرة الجديدة بدأت في كتابة الدعاء مرة أخرى، فكان خطي سيئاً، فهل كنت تأثرت بمسألة خراب الطائرة الأولى وأننا ركبنا طائرة ثانية، لا أدري. فكرت للحظات أن أحمل حقيبتي وأنزل. ولكن قلت كما تمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين أخبر أن هناك من يتآمر على حياته:

أيّ يـومـي مـن المـوت أفـر
يـوم لا قُـدِّر أم يـوم قُـدِرْ

Twitter: @ketab_n

يــوم لا قُـــــدِّرَ لا أرهــبـــه

ومـن المقـدور لا يُغنـي الحـذر

ثم إن الطائرة السليمة قد تخرب فجأة، فإذا قضى الله أمراً فلا مرد له، ومهما كانت احتياطات البشر فإن جاءت المنية ألفت كل مهندس لا ينفع، أو كل تميمة لا تنفع.

أما المؤتمر الذي حضرته في دندي في معهد المكتوم فقد كان مؤتمراً جيداً.

Twitter: @ketab_n

قضايا اجتماعية وقانونية في أمريكا وبريطانيا

من عاداتي في أثناء السفر أن أطالع الصحف المجانية التي توزع، لأنها تعبر عن آراء فئة من المجتمع، بالإضافة إلى أن ما يكتب فيها غير ما يكتب في الصحافة العامة. وبعض هذه الصحف تتبع فئات معينة، فعندما ذهبت إلى مدينة بولدر في ولاية كولورادو الأمريكية، وجدت صحيفة تسمى بولدر الأسبوعية، وكان أحد موضوعاتها الرئيسة: عقوبة القصاص، أو التي تسمى الإعدام، (وكأني قرأت العبارة خطأ، لأن الشخص لا يعدم، بل يموت، ثم يبعث ويحاسب). وكانت المقالة تتناول مسألة القصاص من جانب ما تنفقه الحكومة الأمريكية ضد القتلة من مرافعات وأموال في سبيل تأكيد استحقاقهم لأقصى العقوبات. ويشكو الكاتب من أن كثيراً من الحالات التي اتخذ فيها الحكم بالقصاص كان ظالماً، وفيما يلي ما كتبه الكاتب:

«يدور النقاش تقليدياً حول عقوبة القصاص في قضية واحدة، وهي الأخلاقية، بمعنى: هل يعدّ الأمر مستساغاً أخلاقياً أن تقتل حكومة

Twitter: @ketab_n

الولاية القتلة؟ ولكن بعد مراجعة قضائية لعدد من حالات المنتظرين القتل في ولاية إلينوي، وجد أن ثلاث عشرة حالة بريئون ، وهذا سلط أضواء كبيرة على الموضوع، ولكن في ولاية كولورادو يختلف الأمر، حيث إن تكاليف مواصلة المرافعات من قبل الحكومة ضد القتلة تكلف الكثير.

ومنذ عام ١٩٦٧م تحمل مواطنو ولاية كولورادو تسعمائة ألف دولار على مستوى الولاية ومليونين ونصف على مستوى المحاكم المحلية، ويكون المجموع ثلاثة ملايين وأربعمائة ألف دولار يدفعها المواطن دافع الضريبة. وبلغ عدد الذين نفذ فيهم القصاص في ولاية كولورادو من عام ١٨٩٠حتى عام ١٩٦٩م سبعاً وسبعين حالة، ولم يقم أي حد في الفترة من ١٩٧٠حتى عام ١٩٧٢م على الرغم من أن الحكومة الفيدرالية ألغت عقوبة القصاص، ولكن كولورادو أعادت العمل بهذه العقوبة عام ١٩٨٤م».

وتحت عنوان (هل نحتاج إلى عقوبة القصاص؟) قدمت صحيفة الواشنطن بوست في عددها الصادر يوم ٢٩ أبريل ٢٠٠٧م مقالة من قسمين: أحدهما مؤيد لاستمرار القصاص. والثاني يطالب بإلغاء هذه العقوبة. (بالمناسبة كتب مجموعة من المحكوم عليهم بالسجن المؤبد مطالبين بقتلهم، لأن حياتهم في السجن لا معنى لها، وأنهم يموتون كل يوم، وهم من الذين ثبتت إدانتهم بالقتل في إيطاليا، ومعظمهم من المافيا، وقد قضوا سنوات طويلة في السجن، ويطالبون رئيس جمهورية إيطاليا بتنفيذ القصاص فيهم، وأن عقوبة السجن المؤبد ليست قانونية).

Twitter: @ketab_n

ويقول المقال: إن نسبة المؤيدين للقصاص انخفضت من ٨٠٪ إلى ٦٥٪ في العقد الأخير، ولكن إليكم المرافعتين:

الأولى: يقول الطبيب النفسي الذي كان يعمل في أحد السجون: إن عدد حالات القتل قد تضاعفت في بريطانيا بعد إلغاء عقوبة القصاص عام ١٩٦٥م، وأنواع القتل التي تعود إلى عقوبة القصاص قد ارتفعت. والحقيقة: إن حالات القتل قد ارتفعت عشر مرات، وضرب المثل بولاية ميريلاند (قريبة من واشنطن العاصمة) قد نفذت هذا الحكم خمس مرات منذ إعادة العمل بالقصاص عام ١٩٧٦م، وقد سجلت ٥٢٢ حالة قتل عام ٢٠٠٥م، وعدد سكان الولاية خمسة ملايين وستمائة ألف، وولاية فيرجينيا (القريبة من واشنطن العاصمة أيضاً) فقد قتلت قصاصاً ثمانية وتسعين شخصاً(٩٨)منذ عام ١٩٧٦م، وسجلت ٤٦١ حالة قتل. وعدد سكان الولاية سبعة ملايين وستمائة ألف. أما مقاطعة كولومبيا (يعني العاصمة نفسها) فليست فيها عقوبة القصاص، وآخر عقوبة نفذت كانت عام ١٩٥٧م عانت من ١٩٥ حادثة قتل بنسبة ٤, ٣٥ لكل مائة، أي بنسبة أعلى خمس مرات من ولاية فيرجينيا.

ويبدو أنه من المبكر القول: إن عقوبة القصاص غير مؤثرة في أمن المجتمع، والردع لا يعني القضاء تماماً على حوادث القتل، حتى لو كان النقص بنسبة ١٠ في المائة، كما في ولاية ميريلاند، فهذا ينقذ حياة ما يقارب الخمسين شخصاً سنوياً. ويقول أحد قضاة المحكمة العليا: إن القصاص يعني تعبير المجتمع عن غضبه الشديد لسلوك معاد، وقد يبدو هذا غير مقبول لدى الكثيرين، ولكنه أمر أساسي في مجتمع منضبط،

Twitter: @ketab_n

ويطلب من أفراده الرجوع إلى القانون بدلاً من الاعتماد على أنفسهم لأخذ حقوقهم أو لارتكاب الأخطاء»، وهذا الرأي لإريك روزنمان Eric Rozenman.

أما الرأي الآخر فكان لقسيسين من الكاثوليك، ينادون بوقف عقوبة القصاص، لأنها غير إنسانية، وأنه لا بد من المحافظة على النفس وعدم تعريضها للقتل، ولو كان هناك أي وسيلة لردع الجناة لا تتطلب أو يمكن تفادي القتل أو القصاص فيجب الأخذ بها.

المليونير السجين (سبحان مغيّر الأحوال)

«حياة السجن يمكن أن تجعل ناشيو جولي دن Nacchio Julie Dunn يئن من الألم». نشرت هذه المقالة في صحيفة دنفر بوست الأحدية يوم ٢٢أبريل ٢٠٠٧م. ولكني أحب أن أقدم لهذه المقالة بخواطر من عندي:

سأله مرافقه: لماذا ترتفع الطائرة هذا الارتفاع الشاهق أكثر من أربعين ألف قدم؟! فقال صاحب الطائرة (طائرة خاصة): «لأنها طائرة فلان»، وهذا الذي ارتفع اثنين وأربعين ألف قدم يوجد الآن في حفرة تحت الأرض، والله أعلم بما صار إليه.

وهذا الأمريكي كان ثرياً، وكان يتقاضى راتباً يحسب بسبعة أرقام (يعني بالملايين) هو مليون ومائة وسبعين ألف دولار سنويا، ويملك منازل قيمة المنزل الواحد عدة ملايين، ولكنه قريباً سيدخل السجن، ويفرض عليه العمل في السجن سبع ساعات يومياً في مهن وضيعة: كالدهان والسباكة والنظافة والحياكة وغيرها من المهن، ويتقاضى من ١٢إلى

Twitter: @ketab_n

أربعين سنتاً في الساعة، حيث يكون راتبه في السنة بضعة دولارات، يصرف منها على مكالماته التليفونية وبعض مصروفاته الأخرى.

«إنه سقوط مريع (دراماتيكي) للرئيس التنفيذي لشركة كويست Qwest، الذي أدين يوم الخميس ١٩ أبريل بتسع عشرة تهمة، منها التلاعب المالي، وكل حكم يقتضي سجنه إلى عشرة أعوام كحد أقصى.

فلنتذكر قول الله عز وجل: ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

الأطعمة (الزبالة) في المدارس الأمريكية

نشرت الواشنطن بوست يوم ٢٦ أبريل خبراً بعنوان: (لجنة تحث المدارس على استبدال الأطعمة السريعة) جاء فيه: إن لجنة لها مكانتها طالبت الحكومة الأمريكية بـ منع المشروبات الغازية والأطعمة ذات السكريات العالية، لأن وجود مثل هذه الأطعمة أدى إلى انتشار السمنة بين أطفال أميركا، فبدلاً من البطاطا المقلية والشوكولاتة والأكلات الأخرى الشائعة، يجب أن يُقدَّم للطلاب طعام مغذ أكثر، بدلاً من الأطعمة التي تباع في المدارس لتحقيق دخل للمدارس (حتى في أمريكا المقاصف مصدر للدخل وليس لشركات خاصة)، ودعا المعهد القومي للأكاديمية إلى إبعاد المشروبات الرياضية (بايسون، والثور الأحمر وغيرها)، التي تحتوي على نسبة من الكافيين، وأن تقدم المدارس الماء الجيد الصالح للشرب بدلاً من كل تلك المشروبات.

Twitter: @ketab_n

النشاط الثقافي في جامعة جورج واشنطن

من عاداتي السيئة أو الحسنة أنني أحب أن أطالع الصحف التي يصدرها الطلاب في الجامعات الغربية عموماً، لأنني أبحث فيها عن الموضوعات التي تهم الطلاب، وكذلك يعجبني أن أعرف الأنشطة العلمية والثقافية في الجامعات. ففي العام الماضي ترجمت مقالة من صحيفة طلاب جامعة إكستر حول زواج الشاذين والشاذات، وكيف أن الكاتب رأى أن هذا الأمر لو تم سيكون كارثة على البشرية جمعاء. هو بالطبع لم يستشهد بما حدث لقوم لوط، وأن الله جعل عالي أرضهم سافلها وأمطرهم مطر السوء. ولن أعقد مقارنات مع صحافة جامعاتنا أو صحافتنا عموماً فذاك أمر آخر....

وفي جامعة جورج واشنطن حيث عقد المؤتمر السنوي الثامن لمركز دراسة الإسلام والديمقراطية في مبنى كلية الإعلام. وأحب أن أنبه إلى أن جامعاتنا مازال الإعلام فيها مجرد قسم تابع لكلية الآداب أو ضمن كلية الدعوة، ويضاف الإعلام ليكون مجرد قسم على الرغم من أن

Twitter: @ketab_n

الإعلام في أنحاء العالم تخصص له كلية ويربط بالتخصصات الأخرى، فهناك إعلام سياسي وآخر اقتصادي وعلمي واجتماعي وتربوي وغيره.

كان مبنى كلية الإعلام فخماً في قاعاته وتجهيزاته حتى في دورات المياه، التي كانت أرقى من حمامات فنادق الخمس نجوم أو أكثر. ويقال: إن من بين بنود تقويم الجامعات زيارة المباني وأوضاعها، وأعتقد أن بعض جامعاتنا مبانيها قد أكل الزمن عليها وشرب. والآن إلى الأنشطة الثقافية والعلمية في جامعة جورج واشنطن:

استضافت الجامعة الرئيس جيمي كارتر في ٨مارس ٢٠٠٧ (صحيفة الجامعة اسمها الهاتشت George Washington Hatchet العدد الثامن المجلد التاسع عشر الخميس ٢٦ أبريل ٢٠٠٧م. ازدحمت المدرجات بالطلاب عن آخرها للاستماع لمحاضرة الرئيس الأمريكي الأسبق، حيث تحدث عن الشرق الأوسط، وكتابه الذي حقق أعلى المبيعات، وعنوان كتابه (فلسطين: سلام لا عنصرية) وباللغة الإنجليزية. Palestine: Peace not Apartheid ومن المعروف أن كتاب كارتر أثار ضجة كبرى في الولايات المتحدة، وبخاصة بين اليهود والمتعاطفين مع إسرائيل.

- محاضرة عامة بعنوان: (منتدى سياسة الشرق الأوسط)، ويقيمها صاحب كرسي الكويت لدراسات الخليج والجزيرة العربية، ويرعى المحاضرة معهد إليوت للشؤون الدولية Elliot School of International Affairs.

محاضرة يلقيها نائب كلينتون (عندما كان رئيساً) ومرشح الحزب الديمقراطي الذي خسر أمام بوش آل جور Al Gore، ومحاضرته حول حماية البيئة.

Twitter: @ketab_n

- ندوة حول مستقبل الإعلام، وشارك فيها تنفيذيون من التلفزيون ومن الصحافة المطبوعة وإعلام الإنترنت، وأدارها الصحفي والأستاذ الجامعي مارفين كالب Marvin Kalb البروفيسور جون ميللر John Miller سفير أمريكي سابق حاضر في جامعة جورج واشنطن حول تجارة الرقيق. وأعدت التقرير كارليا باليان Karlia Palian المحررة بالصحيفة. وألقيت المحاضرة في معهد إليوت للشؤون الدولية، وقد تحدث البروفيسور أمام ثلاثين طالباً، وبعض المهنيين من مجتمع واشنطن في أمسية رعاها منتدى حل الأزمات Conflict Resolution Forum، تناول فيها مسألة التجارة بالبشر، وقد ترك المحاضر وظيفته بصفته سفيراً فوق العادة حول مسألة الرق الدولي، وأصبح يدرس فصلاً متخصصاً في تجارة البشر.

- ومما قاله المحاضر: «قد يندهش البعض إذا عرف أن هناك رقاً في القرن الواحد والعشرين، ولكن هناك مليون ومائة ألف إنسان يتم نقلهم دولياً كل سنة، وأضاف نحن لا نعرف الأرقام الحقيقية، ولكن ذلك الرقم ضخم على أي حال، وقال ميللر: إن ٨٠٪ من هذه الأرقام هن من النساء ونصفهم من القاصرين، وقال المحاضر: إن اهتمامه بهذا الموضوع أمر شخصي، فقد قابل أكثر من ألف شخص نجوا من الرق في نحو خمسين دولة، والرق لا يؤثر فقط في الدول المتقدمة، ولكنها يؤثر أيضاً في الديمقراطيات النامية. ويستمر الرق في كل الدول بما فيها أمريكا.

- وأوضح المحاضر الوسائل التي يمكن اتخاذها للحد من هذه التجارة، وذلك من خلال ثلاث إستراتيجيات، هي: المحاكمة والحماية والوقاية،

Twitter: @ketab_n

وأنه فقط من خلال إيقاع العقوبة بالأشخاص الذين يمارسون هذه التجارة، وتطبيق القانون، وزيادة الوعي، يمكننا أن نحد من هذه التجارة. وأضاف المحاضر: إنه على الرغم من أن هذا الموضوع لا يؤثر مباشرة في طلاب جامعة جورج واشنطن، إلا أن واشنطن العاصمة فيها عبيد يعملون في أماكن المساج، وفي منازل خاصة، وفي زوايا شوارع واشنطن. وختم بالقول: على الرغم من أن المعركة ضد تجارة الرقيق لا تزال في البداية ولكنه متفائل، وقال: نحن بحاجة إلى حركة لإيقاف هذه التجارة، وأذكر أنني كتبت في كتابي (الغرب من الداخل: دراسة للظواهر الاجتماعية) بعض الفقرات عن تجارة الرقيق، أو الرقيق الأبيض.

- بالطبع لدي تحليل لما قدمت من أخبار من جامعة جورج واشنطن، ولكني أترك لكم الاجتهاد حتى تنظروا في هذه الأخبار، وتكتبون شيئاً عما يمكن أن تخرجوا به من معرفة مثل هذه الأمور، صحيح أنني قدمت في الحلقة الماضية بالقول: إن جامعاتهم نشطة، ونحن نائمون، وذكرت نومة أهل الكهف. والحقيقة أن هؤلاء كانوا فتية مؤمنين، هداهم ربنا إلى الحق، ونومتهم إنما كانت آية من الله عز وجل، والقصة في سورة الكهف، فأعتذر إن استخدمت العبارة في غير محلها، وأستغفر الله العظيم، وليتكم نبهتموني لذلك. فلا يصح أن نستخدم من أعلى الله شأنهم في القرآن في موضع نتندر فيه بشيء يتعلق بهم. ليتنا كنا كأولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى.

Twitter: @ketab_n

الرحلة إلى لندن والعودة في اليوم نفسه

أعتذر عن التوقف مؤقتاً عن القضايا الاجتماعية والقانونية والثقافية في أمريكا وبريطانيا، لأحدثكم عن رحلة قمت بها بالأمس من إكستر إلى لندن، وعدت في اليوم نفسه، وما دار في تلك الرحلة.

كان الهدف من الرحلة مراجعة دائرة الهجرة التابعة لوزارة الداخلية في العاصمة لندن، لتعديل التأشيرة والسماح لي بالبقاء لحين وضع زوجتي أو لحين حضوري المؤتمر السنوي لمعهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة إكستر حول الخليج.

كان اختياري الركوب في الحافلة؛ لأن ثمن تذاكر القطار أضعاف ثمن الحافلات، ولدى شركة الحافلات أسعار طريفة جداً، تصل إلى ربع قيمة التذكرة العادية إن استطعت أن تحجز عن طريق الإنترنت، وقد تيسر لي الحجز بأربعة وعشرين جنيهاً تذكرة مرجعة إلى لندن من إكستر. وكانت الرحلة تنطلق من إكستر الساعة الرابعة وخمس وثلاثين دقيقة صباح يوم الإثنين، ومدة الرحلة خمس ساعات إلا ربع، أي تصل إلى لندن الساعة التاسعة والثلث.

Twitter: @ketab_n

استيقظت الثالثة والنصف صباحاً، وهو موعد صلاة الفجر في إكستر، فبعد الصلاة انتظرت التاكسي على الساعة الرابعة تماماً، وقبل الموعد بخمس دقائق كانت سيارة الأجرة بالباب، وامتطيتها وعلى الرابعة تماماً كنت في محطة الحافلات، وفيما أنا أذرع المحطة جيئة وذهاباً انتظاراً للحافلة، جاءت امرأة سوداء، ومعها مفاتيح فوقفت أمام أحد الأبواب وفتحته، وأخرجت أدوات نظافة من مكانس وآلات مسح للأرض وغيرها وبدأت عملها، وهنا وقفت لأسأل: ما الذي أخرج هذه المرأة في هذا الوقت المبكر؟ وكم يبعد بيتها عن مقر عملها؟ وهل لديها زوج وأولاد؟ وما أصغر طفل لديها؟ ومن هذا الزوج الذي يرضيه أن تخرج زوجته في هذا الوقت لتكد وتتعب وتشقى؟

وهنا تذكرت المرأة السوداء التي ذكرت في الحديث الشريف، أنها كانت تقُمُّ المسجد، فافتقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأُخبر أنها ماتت، فقال صلى الله عليه وسلم: (هلاّ آذنتموني، فذهب إلى قبرها وصلى عليها) فقلت في نفسي: إننا قوم نعرف العمل التطوعي منذ ألف وأربعمائة سنة وزيادة، بل إن معظم قيام الدولة الإسلامية كان مبنياً على التطوع، فلماذا نتأخر اليوم؟

انطلقت الحافلة في موعدها، ولم يكن عدد الركاب يزيد على عشرة ركاب، ولم تكن الحافلة لتقف في مطار هيثرو؛ لأنه لم يكن أحد من الركاب يريد السفر هذا اليوم. وبدأت الحافلة مشوارها، فأخرجت دفتري وبدأت أكتب وأراجع بعض القصاصات الصحفية، التي كنت قد جمعتها في الأيام الماضية، وترجمت البعض وعلقت عليها، كما

Twitter: @ketab_n

كتبت مقالة طويلة باللغة الإنجليزية وبالعربية: من يدرس عن الإسلام والمسلمين في الجامعات الغربية وكيف؟ وسبب اهتمامي بهذا الموضوع هو أولاً تخصصي في الاستشراق. (كثيرون لا يروقهم أن يكون هذا تخصصاً). وثانياً لأنني سمعت عبارة من أكثر من باحث غربي أو مسؤول يقول: نحن لا نريد علماء مسلمين يدرسون الإسلام ليعظون الطلاب، إنما نريد تقديماً موضوعياً للإسلام.

وفيما يأتي بعض ما كتبته:

قبل أكثر من عشر سنوات دعت القنصلية الأمريكية عدداً من أساتذة الجامعات والصحفيين لسماع محاضرة أستاذ أمريكي يعمل رئيساً لقسم الأديان في جامعة ديوك الأمريكية، وكنت حينها أعمل في كلية الدعوة في المدينة المنورة، فسافرت إلى جدة (وقد سافرت إلى جدة من المدينة مرات عديدة لحضور أنشطة عند القوم، وأحياناً أعود إلى المدينة في أقل من أربع وعشرين ساعة). وتحدث لورانس بنيت Lawrence Bennit، ورسم صورة وردية لتدريس الإسلام في الجامعات الأمريكية، وقال عن نفسه: إنه في منتصف الطريق بين الإسلام والنصرانية، والذين يدرسون الإسلام أناس طيبون مخلصون وغير ذلك من الصفات. فتساءلت في نهاية حديثه: هل علينا أن نصدق كل ما نسمع؟ فترددت في قبول ما قاله، وقلت: لدي سؤال من شقين: الأول: لماذا معظم من يدرس الإسلام في الجامعات الأمريكية (والغربية عموماً) ليسوا مسلمين، بينما من يدرس اليهودية والنصرانية هم في غالبيتهم العظمى من أتباع تلك الديانتين؟ والشق الثاني: لاحظت أن

Twitter: @ketab_n

الكتب المنهجية أو قراءات الطلاب هي في الغالب من الكتب التي ألفها غير مسلمين، فأين الكتب التي ألفها المسلمون؟ وأضفت موضحاً أعرف أن بعض المسلمين لهم مؤلفات باللغة الإنجليزية، أو هناك كتب ترجمت إلى الإنجليزية، وضربت له المثل بكتاب إسماعيل راجي الفاروقي رحمه الله وغيره مثل كتب المودودي.

فكانت إجابته كالآتي: «نحن نخشى من قيام المسلمين بتدريس الإسلام بأن يقوموا بدور الواعظ وليس المدرس الذي يلتزم بالموضوعية والحياد». أما الكتب ففي نظره غير متوافرة، وأجاب بأن كتاب الفاروقي أعلى من مستوى فهم الطلاب. (وهو تهرب غير ذكي)، وأتساءل: ما الموضوعية فيمن يقدم الإسلام كما هو، كما أنزل، كما فهمه وطبقه الجيل الأول أو كما عرفناه من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ هل يكون من يقدم الإسلام في موضوع الحكم وتأكيد الإسلام على الشورى وعلى العدل واعظاً؟ هل من يقول: إن الإسلام أعطى المرأة حقوقاً ورفع شأنها من الجاهلية التي كانت فيها يكون واعظاً؟ هل من يصف تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع المرأة من الرأفة والرحمة والعطف والاحترام يكون واعظاً؟ تعجبت أي معايير هذه يقبلونها حتى لا يكون الأستاذ المسلم واعظاً؟

وزيادة في إزعاجي له قلت: لقد لاحظت أنكم ما زلتم تدرسون كتب المستشرقين القدامى، التي ثبت بالدليل القاطع أنها تسعى إلى تشويه صورة الإسلام، وتفهمه فهماً خاطئاً، وقد ظهرت بحوث إسلامية توضح هذا، وضربت له المثل بكتب جولدزيهر وشاخت وغيرهما، فقال: لا، ليس

Twitter: @ketab_n

في أقسام دراسات الأديان، وإنما هذه الكتب موجودة في أقسام دراسات الشرق الأوسط، وبضحكة صفراء قال: أنت تعرف أن أقسام دراسات الشرق الأوسط لها أجندة سياسية. وأتحداه أن يقول مثل هذا الكلام في أمريكا، لأنه بحاجة إلى التدليل عليه، وهو يقول لنا ما يرضينا.

وكتبت المقالة باللغة الإنجليزية كذلك، وراجعت بعض القصاصات الصحفية التي معي في الحقيبة، فترجمت بعضها، ولخصت البعض الآخر، حتى وصلت لندن على الساعة التاسعة وعشرين دقيقة حسب التوقيت الذي حددته شركة الحافلات. وانتظرت قليلاً حتى لقيت الأستاذ عبد الفتاح سعد من المنتدى الإسلامي بلندن، الذي تبرع بمساعدتي على الوصول إلى مقر وزارة الداخلية، ولنناقش بعض القضايا الفكرية. وكنت قد بعثت للأستاذ عبد الفتاح السيرة الذاتية، وقلت له: آسف لإزعاجك بسيرتي الذاتية، فهي طويلة ومملة. فقال لي لقد أحضرت إبريق الشاي، وقرأت السيرة بتمعن. وكان مما دار حوله الحديث بعض المشروعات الفكرية، التي أرجو أن ترى النور في الأيام القادمة، وأولها دعوتي لإلقاء بعض المحاضرات في لندن، ولقاء بعض الشخصيات الفكرية، والمشاركة في حديث في إحدى القنوات التلفزيونية- سأخبركم بالتفاصيل في حينها إن شاء الله-.

وصلت مبنى وزارة الداخلية في شرق كريدون، وأخبرت أحد الشرطة أن لدي موعداً في الساعة الواحدة بعد الظهر، فقال: قف في الصف مع هؤلاء الناس فكل منهم عنده موعد مثلك. ودخلنا المبنى، وبعد التفتيش المعتاد(هات حقيبتك، أطفئ جوالك، أخرج ما عندك من معادن).

Twitter: @ketab_n

ثم قف هنا، وتعال من هنا، ورأيت بعض الموظفين كبار السن ينظمون الصفوف، فتعجبت كيف يكون موظفاً في هذا العمل كل عمله أن يقول لك تعال من هنا، أو اذهب إلى هناك.

وجاء دوري وكان الموظف الذي ينظر في قضية تمديد التأشيرة من أصل هندي أو باكستاني، ولا أعرف هل هو مسلم أو لا؟ ونظر في الأوراق وقال: لمَ لمْ ترسلها بالبريد؟ ثانياً: نريد إثباتاً أنك تدفع أو دفعت فواتير علاج زوجتك. وثالثاً: من الذي ينفق عليك؟ فأريته خطاباً من الجامعة أنني في سنة تفرغ في كل من هولندا وبريطانيا، قال: هذا لا يكفي، ثم قال: الأفضل أن ترسل أوراقك بالبريد. فانظر إلى الموظف يخاف أنني أستغل الخدمات الطبية الإنجليزية، وكأن علاج زوجتي وولادة طفلنا القادم سيؤثر في ميزانية الحكومة البريطانية، لا أدري لمَ يضعون موظفين جهالاً في مثل هذه الأماكن؟ ألا ينظر إلى ما يمكن أن أقدمه للطلاب في جامعة بريطانية؟ هل جئت إلاّ بدعوة من جامعة إكستر؟ فهل هذا من إكرام الضيف؟! الشك في أنه يستغل خدماتهم الطبية. وكنت قد أعددت شيكاً بمبلغ خمسمائة وخمسة وتسعين جنيهاً (وتكاليف إعداد الشيكات من البريد خمسة وعشرون جنيهاً). قال أرسل كل الفلوس وهم سيعيدون إليك الباقي. وعدت خالي الوفاض، وكما يقول المثل العربي: (كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا)، ولكن كان لقاء الأستاذ عبد الفتاح يستحق عناء السفر، فقد كان الحديث معه ممتعاً ومشجعاً، وأرجو أن يكون له ثمر.

Twitter: @ketab_n

محاضرة في لندن

وها أنا أزور لندن مرة ثانية خلال أقل من عشرة أيام (الرحلة في الحافلة تستغرق خمس ساعات كاملة)، وذلك لتقديم محاضرة في مسجد المنتدى الإسلامي بلندن، ولقاء بعض العاملين في مجال البحث العلمي والمهتمين بالشأن الإسلامي. ويقع المسجد المذكور في حي فولام أحد أحياء الطبقة المتوسطة والمتوسطة العليا. وكما هي الحال في الدول الرأسمالية، تنقسم الأحياء وفقاً للمستوى الاقتصادي لسكانها ومهنهم ودخولهم. وفهمت أن الطبقة المتوسطة العليا هي التي يعمل أهلها في مهن المحاسبة والطب والهندسة، ومعظم البيوت متوسطة، ولكن هناك بعض الأثرياء، ويقع هذا الحي في الجهة الجنوبية الغربية من لندن.

كانت المحاضرة بعنوان: «**أهمية معرفة الشعوب والأمم الأخرى**». وقد بدأت الحديث من مؤتمر جامعة كمبريدج الذي عقد في ٥يونيه، وحضره رئيس الوزراء ومفتي مصر الشيخ علي جمعة، وبعض المدعووين من المسلمين، ولم يكن مؤتمراً مفتوحاً وإنما للخاصة، ليقولوا كلاماً

Twitter: @ketab_n

حول كيفية منع المسلمين من أن يصبحوا متطرفين أو متعصبين أو «إرهابيين». وألقى رئيس الوزراء كلمة في المؤتمر، ووعد بدعم دراسات الإسلام. وعلمت أن الشيخ ابن بيه كان حاضراً، حيث إنه يعمل على إنشاء دراسات للغرب ضمن مؤسسة الفرقان لصاحبها أحمد زكي يماني. وذكرت في المحاضرة مجموعة من المؤتمرات التي تسعى إلى معرفة الإسلام، ومنها ما يأتي:

- المؤتمر الدولي حول المجتمعات الإسلامية في القرن الواحد والعشرين، الذي عقده المجلس الأمريكي لدراسة المجتمعات الإسلامية في مدينة دنفر بولاية كولورادو الأمريكية. ٢٠-٢١أبريل ٢٠٠٧م.
- المؤتمر الدولي حول مستقبل آسيا، يعقده معهد الدراسات الغربية في جامعة ماليزيا الحكومية يو كي إم في شهر أغسطس٢٠٠٧ بالتعاون مع المعهد الدولي لدراسات الإسلام في العصر الحديث في هولندا.
- المؤتمر العالمي الثامن والثلاثين حول الدراسات الآسيوية والشمال أفريقية، سيعقد في أنقرة في شهر سبتمبر من هذا العام.
- الجمعية النوردكية (دول أوروبا الشمالية: النرويج والدنمارك والسويد وفنلندا) لدراسات الشرق الأوسط ستعقد مؤتمراً في فنلندا حول دراسات الشرق الأوسط في سبتمبر ٢٠٠٧م.

وأكدت في المحاضرة أننا حين كنّا العالم الأول كنّا نحرص على معرفة غيرنا من الأمم والشعوب والثقافات، بل إن العرب في جاهليتهم كانوا يعرفون ما حولهم من البلاد من خلال رحلتي الشتاء والصيف. وكان هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم معروفاً لدى حكام الدول

Twitter: @ketab_n

المجاورة كقيصر الروم وكسرى. وكان القيصر يكن لهاشم كل احترام وتقدير، حتى إن غزة يطلق عليها غزة هاشم.

ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم واضطهدت قريش المسلمين، أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة؛ لأنه كان بها ملك لا يظلم عنده أحد. وهذه المعرفة تنبهنا إلى ضرورة معرفة الحكام والسياسيين في العالم. وقد سبقنا الصهاينة إلى معرفة كل من يعمل في الحقل السياسي أو الفكري في الغرب، وأعدوا لهم ملفات، حتى إذا رشح شخص لمنصب مهم وكانت له مواقف ضدهم أو مؤيدة للعرب وقفوا دون وصوله إلى ذلك المنصب، إلاّ إذا اعتذر وتاب وندم، كما حدث مع أحد الذين رشحوا لمنصب في الأمم المتحدة.

وكان من معرفتنا للشعوب الأخرى أن ربعي بن عامر رضي الله عنه حين دخل على كسرى وأراد أن يجلس معه على عرشه وجاء الحرس ليقيموه، قال لهم تلك القولة الرائعة: «كانت تبلغنا عنكم الأحلام أنكم تتساوون فيما بينكم، فإذ بكم يستعبد بعضكم بعضاً. إن قوماً هذا حالهم فمصيرهم إلى زوال». وقوله: كانت تبلغنا عنكم الأحلام. يعني: أننا كنّا نعرفكم معرفة جيدة عن طريق العقلاء الذين عرفوكم، (وكان بعض ملوك الفرس عادلاً وإلاّ لما تحقق لهم عز ولا قوة). ثم انظر إلى هذا الذي لم يدرس الفلسفة ولم يدخل الجامعات سوى جامعة الإسلام العظيمة وتربية القرآن الكريم على يدي سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، كيف فهم مسألة قيام الحضارات وانهيارها.

Twitter: @ketab_n

وعرفنا الشعوب والأمم الأخرى بعد الفتح، وقام المسلمون بإدارة دولة واسعة كأحسن ما تكون الإدارة، لم يستخدموا «فرّق تسد»، ولم يستخدموا تكوين ما يسميه الاحتلال الأوروبي النخب المتغربة أو المتأوربة، وهم الطابور الخامس المتعلمن المدعي التحرر، (يطلق عليهم اليوم الليبراليون). لم يعرف عن المسلمين أنهم اصطفوا من أبناء الشعوب المفتوحة لخدمتهم ضد أبناء جلدتهم، كما فعل الاحتلال الأجنبي، ومازال تحت أسماء مختلفة.

وعرفنا الأمم والشعوب الأخرى من خلال الرحّالة (لم يعملوا جواسيس)، ولكنهم كانوا رجالاً حرصوا على العلم والمعرفة، وجبلوا على حب المغامرة، فأبدعوا في رحلاتهم، وكانوا صادقين فيما كتبوا عن الأمم والشعوب الأخرى).

وعرفنا الملل والنحل ودرسنا أديانهم دراسة عميقة، وانظر إلى كتب ابن حزم (الفصل في الملل والنحل)، وكتاب البغدادي، وكتاب الشهرستاني، وكتابات ابن تيمية وابن القيم، حتى في العصر الحديث كيف أبدع أحمد ديدات في الرد على النصرانية، وكان جهده فردياً، فأين المعاهد والجامعات في عالمنا العربي التي تتبنى دراسة الغرب وفقاً للمعايير والموازين الإسلامية. وإنهم ليحاولون أن يخدعونا اليوم بتلقف الدعوة إلى دراستهم لمزيد من تكريس تفوقهم واستعلائهم. وسوف يتحقق شيء من هذا إن لم يتحرك الغيورون من أبناء هذه الأمة وبسرعة.

Twitter: @ketab_n

وكتب أسامة بن منقذ الفارس الأديب الذي كان من قواد صلاح الدين الأيوبي كتاباً رائعاً، أعُدُّه من رواد دراسة الغرب، وهو (الاعتبار) الذي وصف فيه الصليبيين وصفاً دقيقاً.

وسأل أحد الحاضرين عن دعوة الغرب إلى دمج المسلمين الدمج الكامل، قلت للسائل: لا يدمج دمجاً كاملاً إلاّ من كان ضعيفاً، هم يقصدون بالدمج الكامل أن يتخلى المهاجرون أو المسلمون الذين أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من نسيج المجتمعات الأوروبية عن هويتهم وذاتيتهم، وأن يصبحوا أوروبيين. وذكرت ذلك الأفريقي السويدي الذي قال لي: المسلمون لا يعاملون الشاذين أو المثليين (يسمونهم كذلك تلطفاً) معاملة طيبة. قلت له: وكيف للمسلم أن يتنازل عما جاء في دينه من غضب الله على الشاذين، وأنهم استحقوا عقاب الله، وأن الله أرسل نبياً إلى قوم كان فيهم الشذوذ، فدمر قريتهم، وجعل عاليها سافلها. إن المسلمين لن يوادوا هؤلاء، وذكرت كيف أن بعض الآباء والأمهات من الأوروبيين والأمريكيين يرفضون لأبنائهم الاختلاط بأهل الشذوذ خوفاً عليهم من العدوى.

وقد عرف الغرب في العصر الحديث بعض الكتاب المسلمين، ولكن كانوا أقرب إلى الانبهار بالغرب، لأنهم لم يكونوا على درجة كبيرة من الاعتزاز بالإسلام، وإن كانوا أفضل من كثير من المبتعثين اليوم، وهؤلاء هم رفاعة رافع الطهطاوي، وخير الدين التونسي، وعلى الرغم من أنهم امتدحوا الغرب كثيراً، لكن لم يصلوا إلى (التوافه) من أبناء أمتنا الذين يكتبون اليوم منبهرين بالغرب (مثل إبراهيم البليهي)، ويرون

Twitter: @ketab_n

أن الأمة الإسلامية لم تقدم للبشرية شيئاً. ومن حبهم للغرب يدافعون عن الانحلال الأخلاقي والفوضى الجنسية. ولو عرف الحقائق لما وصل إلى كل ذلك الانبهار والإعجاب والوله والعشق لكل ما هو غربي. وذكرت أنني في لقائي أعضاء المجلس البلدي في مدينة هيلسنبوري (هلسنبورج) بالسويد أنني حذرتهم من فكرة الدمج الكامل للمسلمين، لأن هذه الفكرة خطيرة. وقد حاول الاحتلال الفرنسي في مستعمراته دمج بعض الأفراد، فكانوا مسخاً مشوهاً، وإن كان يدّعي دائماً أنه يريد دمج الشعب كله، ولكن الحقيقة أنه لم يرد إلا القلة، أما بقية الشعب فيكفي أن يتخلى عن هويته العربية والإسلامية فلا يصبح فرنسيًّا ولا يعود عربيًّا مسلمًا، كما ينبغي أن يكون.

Twitter: @ketab_n

«مستقبل لندن الإسلامي»
وحاجة العالم إلى الإسلام

قبل سنوات تحدث السفير الأمريكي في القنصلية الأمريكية بجدة في حفلة للترحيب بالمستشارة الثقافية الجديدة لورا بيرج Laura Berg عن الإسلام في أمريكا، وما يحدثه وجود المسلمين في أي مكان من رفع المستوى الأخلاقي في تلك المنطقة، وإبعادها عن الخمور والمخدرات وغير ذلك، وقد كتبت بعدها مقالة في زاويتي في صحيفة المدينة المنورة (أعادها الله) بعنوان: «العالم بحاجة إلى الإسلام: ذلك أنني وجدت عدة أمثلة قدم فيها مسلمون نماذج رائعة أدهشت الغربيين، فأول هذه النماذج هو أول مؤتمر لاتحاد مسلمي أمريكا الشمالية حضره ثلاثة آلاف، وعقد في أحد الفنادق، مما دعا صاحب الفندق لاستدعاء عدد من رجال الأمن ليراقبوا المسلمين، وبعد ثلاثة أيام صرح مدير الفندق قائلاً: لا أدري أهؤلاء ملائكة أم بشر؟ فقد مرت ثلاثة أيام لم تهرق قطرة خمر واحدة، ولم تحدث أي مشاجرة ولا معاكسة، وهؤلاء الناس يتحركون للصلاة خمس مرات في اليوم. ليتني لم أستدع الشرطة.

Twitter: @ketab_n

وفي عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) أتيحت لي الفرصة لكي أطلع على الصحف البريطانية وبخاصة صحيفة التايمز، فقرأت مقالات عن إقبال النساء البريطانيات على الإسلام، وما وجدنه في الإسلام من راحة نفسية وعقيدة عظيمة. كما أوردت الصحف في ذلك الحين تقارير عن مقاومة المسلمين في مدينة برمنجهام بصفة خاصة لبائعات الهوى وبائعي المخدرات، وكيف كانوا يقومون بحراسة مناطق سكناهم من هاتين الفئتين ومن المجرمين عموماً، مما جعل الحكومة البريطانية تتصل بالمسلمين لتفيد من تجربتهم وخبرتهم لمحاربة الجريمة في أماكن أخرى. بل علمت أن بعض أفراد الشرطة البريطانيين دخلوا الإسلام حينما أرسل بعضهم للتجسس على المسلمين فرأوا حياة نظيفة وصدقاً في التعامل وبعض قيام الليل.

ومن الجوانب الإيجابية لإعلامهم أن مجلة الاقتصادي (الإكونومست) أعدت تقريراً عن الاقتصاد الإسلامي، أشادت بما يوفره من فرص حقيقية للاستثمار، وما فيه من حرص على قيم العدل والتنمية الحقيقية.

وقبل عدة سنوات وافقت الحكومة البريطانية على إنشاء بنك إسلامي في لندن، ويقوم بجميع المعاملات فيه وفقاً للشريعة الإسلامية. بل من المعروف أن جميع البنوك خصصت قسماً للتعاملات الشرعية، وتستشير عدداً من العلماء في هذا المجال. وقد سبقت بريطانيا غيرها من الدول الأوروبية لإدراك أهمية المعاملات الإسلامية في مجال البنوك. وقد شرع البرلمان الفرنسي في مناقشة إدخال تشريعات توافق الاقتصاد الإسلامي في تشريعاتهم.

Twitter: @ketab_n

هذه الأمور تحدث في العالم وبعض أبناء الأمة الذين يتسمون بأسمائنا، ويتحدثون بلساننا، ينكرون ويصرون في النكير ويرفعون أصواتهم في كل منتدى، معترضين على الإسلام، حتى إن بعضهم يقول: إن هؤلاء الإسلاميين يريدون أن يجعلوا الإسلام يتدخل في كل أمر، حتى إنهم في جامعة الإمام جعلوا قسماً للاقتصاد الإسلامي، لم يعجبهم الاقتصاد في العالم، فيريدون أن يجعلوا الاقتصاد إسلامياً. وليس هو وحده من يقول بذلك، فإنهم يقولون ما هو أخطر من هذا، حتى إن بعضهم نادى بإغلاق مدارس تحفيظ القرآن، ولو لم يخش على رأسه لطالب بإيقاف تعلم الدين كلياً. بل إن قناة العربية استضافت أحدهم كان يعيش في داخل الجزيرة العربية، ليتحدث عن غرامه بالغرب تاريخاً وفلسفة وتراثاً وحضارة وواقعاً، حتى إذا قيل له: إن لدى القوم انحرافات أخلاقية أو انحلال جنسي وجد من المبررات السخيفة ما لا حاجة إلى إعادته.[1] وهذا المغرم العاشق للغرب لا يرى أن الأمة الإسلامية قدمت شيئاً للحضارة البشرية. فتعساً لمثل هذا التفكير.

المهم أنه ينحرف نفر من بني قومنا، ويأتي الله عز وجل بواحد من أبناء الإنجليز، ليقدم ملفاً من عدة صفحات في صحيفة سيارة، ليعترف بحاجة لندن إلى الإسلام، وهو يقصد بريطانيا والعالم الغربي. وإليكم بعض التفاصيل:

(١) لست بحاجة إلى ذكر أسماء هؤلاء، ولا توثيق ما قلت، فهو شائع ومشهور. أما الذي يدافع عن الحضارة الغربية بحب وإعجاب وولّه، فهو إبراهيم البليهي الذي أصدر كتباً في هذا الشأن، وشاهدت لقاءه في إحدى القنوات التلفزيونية الفضائية العربية.

Twitter: @ketab_n

مجلة لندنية بعنوان تايم أوت Time Out العدد السادس بتاريخ ١٢ يونيه ٢٠٠٧م، وهي مجلة متخصصة في الفنون والسينما والتسلية، قد كتبت على غلاف العدد (مستقبل لندن إسلامي؟) (وخط عربي جميل) وعنوان المقال داخل المجلة: (لماذا تحتاج لندن إلى الإسلام؟)، وكاتب المقال هو مايكال هودجز، وقد تحدث عن حاجة لندن للإسلام، وذكر المجالات التي ستفيد فيها لندن من الإسلام، وهي كالآتي:

- الصحة العامة: وتحدث فيها عن الصلاة، وكيف تساعد الإنسان على تحقيق صحة بدنية من خلال حركة الجسم والمفاصل، كما أن الصلاة تتطلب الوضوء، وفي ذلك نظافة للبدن وتخليص الإنجليز من بعض الأمراض الجلدية. ومما يرتبط بالصلاة تحريم الكحول، وهو من أكبر المصائب التي تواجه المجتمع البريطاني، لأن عدد من يموت بسبب الكحول يصل إلى ١٧,٦ لكل مائة ألف وفي مناطق كامدان يصل هذا الرقم إلى ٣١,٦ لكل مائة ألف، وقد بلغت أعداد الوفيات بسبب الكحول ٢٢ألف وفاة، أما ما تنفقه الحكومة على الجرائم المتعلقة بتعاطي الكحول فقد بلغت سبعة بلايين وثلاثمائة ألف جنيه سنوياً.
- البيئة: ينظر الإسلام إلى الإنسان على أنه خليفة الله في الأرض، ولذا فهو مؤتمن على أن يحسن للبيئة، وإن أول من اعتنى بالبيئة الرسول صلى الله عليه وسلم، حين اتخذ الحمى لترك الحياة الفطرية تعيش دون مضايقات، بل إنه حرّم قطع الشجر والعشب،
- التعليم: فعلى الرغم من أن الطلاب المسلمين في المدارس البريطانية ليسوا على المستوى المطلوب، ولكن ليس الإسلام هو الذي يلام على

Twitter: @ketab_n

ذلك، ولكن ظروف الطلاب الاجتماعية هي التي جعلتهم يتأخرون، وإلاّ فإن هناك قيماً لدى المسلمين تنادي بالانضباط واحترام الذات، ولو تحسنت الظروف الاجتماعية للمسلمين لأبدع أبناؤهم في المدارس.

- الطعام: يأمر الإسلام أتباعه بتناول الطعام الحلال، ومن ثم سوف يتخلص الإنجليز من الطعام الزبالة الذي يتناولونه الآن. كما أن بعض أنواع الطبخ لدى مسلمي جنوب شرق آسيا يقدم طعاماً متوازناً.
- العلاقات بين الأديان: ينادي الإسلام بالحوار بين الأديان، والإسلام دين يدعو إلى التسامح.
- الفنون: لقد أبدع المسلمون على مدى التاريخ في مجال الفنون، فما زالت آثارهم المعمارية وإبداعاتهم في الصناعات اليدوية، مثل السجاد - دليلاً على تشجيع الإسلام للفنون.

العدالة الاجتماعية: من أبرز ما يمكن أن يحقق العدالة الزكاة التي تبلغ ٢,٥٪، فلو جمعت الزكاة من العاملين في لندن الذين يبلغون نحو خمسة ملايين، فإن هذا سيوفر أكثر من ثلاثة بلايين جنيه سنوياً.

- العلاقة بين الأجناس: من المعروف عن الإسلام أن الجميع يتساوون فيه، فلا فرق بين أبيض وأسود ولا أحمر وأصفر، الكل إخوة.

وقد استضاف المحرر عدداً من المسلمين تحدثوا عن نظرتهم إلى مدينة لندن، وعن مستقبل الإسلام فيها. فتنوعت الإجابات، وذلك لأن العينة التي اختارها عشوائية، فهي تضم أشخاصاً من أصول

Twitter: @ketab_n

إسلامية، ولكنهم لا يمارسون الإسلام في حياتهم، كما قابل عدداً من البريطانيين الذين تحولوا إلى الإسلام. وقابل بعض الأئمة والعاملين في مجال الدعوة، حيث أوضح أحدهم كيف يقضي يومه من صلاة الفجر حتى صلاة العشاء، وما يقوم به من أعمال طوال النهار. كما قدم بعض المواقع في الإنترنت التي أنشأها المسلمون الجدد للإجابة عن تساؤلات هؤلاء عن دينهم الجديد، وكذلك تقديم المعلومات لغير المسلمين.

وأعتقد أن المحرر لو فتح المجال لوجد من المسلمين من يملك ناصية البيان باللغة الإنجليزية، ليزيده فهماً للمسائل التي تناولها.

Twitter: @ketab_n

قراءات مختارة في الصحافة الإنجليزية (١)

تحفل صحفنا ووسائل إعلامنا الأخرى بقراءات في الصحافة الغربية، وكأنه لا تكتمل الصحيفة عندنا إلاّ إذا زينت بتلك القراءات. وأكثر من محطة تلفزيونية فضائية إخبارية عربية وغير إخبارية تقدم شيئاً من هذا القبيل. ولا أدري هل تنقل الصحافة العربية أو وسائل إعلامنا ما يقال في الإعلام الغربي بدقة وأمانة، أو إنهم يمارسون التدليس.(لم يعد أحد يعرف التدليس، منه حسن ومنه غير حسن، أو مقبول وغير مقبول). وها أنا ذا أُبْتَلى مثلهم بقراءة الصحف البريطانية، ولكن قد تختلف قراءاتي عن تلك القراءات التي ذكرت، لأنني باحث أكاديمي – أو هكذا أزعم- فاختياراتي ستختلف. وفيما يأتي بعض هذه القراءات:

محال (أبو ريالين) الإنجليزية!!!!!

ابتلينا في المملكة بمحال «أبو ريالين» (تنتشر في شمال الرياض أكثر من جنوبها)، والريالان ليس حقيقة، وإنما كناية عن رخص البضائع

Twitter: @ketab_n

المعروضة. ومن المعروف أن لدينا في السعودية هيئة رسمية تسمى هيئة المواصفات والمقاييس، لكنها لا تتعرض لهذه المحال على الرغم من أن بعض البضائع المعروضة مثل الأدوات الكهربائية والمعدات خطر على حياة المواطن من جهة وخسارة مادية، ومن الأمثلة على ذلك أنني اشتريت ذات مرة من أحد هذه المحال خضاضة لبن لصناعة اللبن المخيض (الشنانة) والزبدة، وكانت قيمتها أكثر من مائة ريال، فما أن أوصلتها بالتيار الكهربائي حتى ارتفعت حرارة الجهاز ولم أكمل استخدامها، ففسلتها وعدت إلى المتجر وطلبت شراء الجهاز الأغلى ثمناً. فلو رضيت بالسعر المنخفض وتركتها تعمل مدة أطول لحرق الجهاز وضاعت المائة ريال وزيادة. فمن كان يحميني من هذا الغش التجاري أو هذا التقصير من هيئة المواصفات والمقاييس. أتعجب أن الهيئة تهتم بالحليب واللبن وتضع شعارها على أنواع كثيرة من الألبان والحليب، فإذا سافر أحدنا خارج المملكة أحس أن الحليب الذي عندنا كأنه مغشوش أو مضاف إليه الماء أو مسحوب دسمه أكثر مما يزعمون. فهل تحرص الهيئة على صحتنا أكثر من الهيئة البريطانية التي يكون الحليب فيها نسبة الدسم في الحليب كامل الدسم ٣,٦ في المائة، بينما لا يتجاوز عندنا الثلاثة في المائة بل يكتبون على الأقل وكأنهم لا يستطيعون تقدير النسبة بدقة.

سقت هذه المقدمة الطويلة لأتحدث عن مقالة قرأتها عن افتتاح معرض كبير لمحال برايمارك الإنجليزية في شارع أكسفورد، الذي يزدحم بالمتاجر الكبيرة، التي تعرض البضائع الثمينة أو البضائع التي

Twitter: @ketab_n

لا يحتمل سعرها إلاّ في أثناء التخفيضات الموسمية، (وهي بالمناسبة فرج للمساكين من أساتذة الجامعات ومن على شاكلتهم)، وبالإضافة إلى هذا المتجر الكبير، فهناك شركات أخرى مثل تسكو وآزدا ومحال أرض الجنيه، ومحال ادفع نقداً واحمل (Cash and Carry). وفي أمريكا متاجر بأسماء قريبة، مثل محال العشرة سنتات، وربما أصبحت الآن محال أبو دولار لتغير قيمة الدولار عن تلك الأيام الخوالي، ومحال قف واحمل.

لكن لماذا اهتمت الصحيفة البريطانية بهذه المحال؟ فإليكم القصة.

نشرت الديلي ميل Daily Mail في عددها الصادر في الأول من شهر أبريل ٢٠٠٧م تقريراً عن المحال الكبرى التي تبيع البضائع المخفضة، وكيف استطاعت أن تقدم هذه البضائع بهذه الأسعار، فتقول: إنك ستجد الملبوسات نفسها الموجودة في المحال الراقية (تقريباً أو شكلها)، ولكن بأسعار خيالية، فما يمكن أن يكون بثلاثمائة جنيه تجده في هذه المحال بثلاثين جنيها.

وهذه المحال أنشأت مصانع أو تعاقدت مع مصانع في البلاد الفقيرة؛ ففي بنغلاديش مثلاً يوجد مليون ومائتي ألف وظيفة في صناعة النسيج، لكن ما أحوال العمال والعاملات في هذه المصانع؟ يقول التقرير الآتي:

١- معظم العاملين من النساء، والغالبية العظمى أعمارهن بين الخامسة عشرة والعشرين.

٢- الرجال يعملون في الزراعة والبناء.

٣- عدد الساعات التي تعملها هؤلاء النسوة من ثماني عشرة إلى

Twitter: @ketab_n

عشرين ساعة في اليوم، ويعملن في الأسبوع نحو ست وتسعين ساعة.

٤- الأجرة التي يحصلن عليها هي تسع بنسات في الساعة (الجنيه مائة بنس)، ولا تتجاوز مدخولاتهن تسعة جنيهات شهرياً.

وعلى الرغم من مواجهة برايماك Primark وغيرها من الشركات بالأرقام عن مآسي العمال لكن شيئاً لم يتغير، ويدعي أصحاب شركة برايمارك وغيرها أن أسعارهم التنافسية مرجعها إلى قدرتهم على الإنجاز والإنتاجية العالية.

أما أصحاب المصانع في بنغلاديش فيواجهون التهديد بأنهم إن طالبوا بزيادة أجور العمال أو تحسين أوضاعهم أو تقليل ساعات العمل، فإن تلك الشركات الكبرى ستنقل أعمالها إلى دولة أخرى ترضى بما اضطروا هم للقبول به.

ويطالب كاتب التقرير بأن تقوم تظاهرات أمام هذه المتاجر لتحسين أوضاع العمال. وذكر عن بعض الأفراد والمؤسسات البريطانية التي طالبت تلك الشركات بعمل شيء ما لإنقاذ الإنسانية المعذبة في الدول الفقيرة.

أما تعليقي على هذا فهو: ما موقف حكومات الدول الفقيرة التي يحدث فيها هذا الظلم؟ هل يرضى رئيس الوزراء أو رئيس الحكومة أن يعمل أحد أقربائه في مثل هذه الظروف؟ ولماذا لا تشترط تلك الدول على الشركات احترام حقوق الإنسان؟ وأين المنظمات الدولية التي تتشدق بحقوق الإنسان والمبادئ العالمية؟ ثم لماذا لا تستفيد هذه الدول

Twitter: @ketab_n

فتقوم هي بصناعة الملابس لصالحها وتقوم ببيعها في الأسواق العالمية؟ أليس في العالم منظمة التجارة العالمية التي تصر على فتح الحدود؟ هل حدود الدول الكبرى أو الغنية مفتوحة فعلاً؟

من يملك بريطانيا؟

عندما كنت طالباً في الجامعة أدرس التاريخ الروماني عرفت أن الدولة الرومانية تقسم الأمم إلى عدة أقسام: الأسياد وهم سكان روما ومن حولها، ثم بقية سكان إيطاليا، ثم بقية العالم العبيد، وكانت ممتلكات أعضاء مجلس الحكم أو السنات (النواب) كانوا لهم ممتلكات واسعة في شتى أنحاء الممالك التي كانوا يحكمونها خيالية، حيث كان الواحد يزعم أنه يملك من الجبل إلى الجبل، ومن الشاطئ إلى الجبل، وتجري الأنهار في أراضيه والوديان والجبال. والتقرير البريطاني نشر في صحيفة الإندبندنت The Independent يوم ٩ أبريل ٢٠٠٧م، وكتب التقرير روبرت فيركايك Robert Verkaik ويقول في التقرير: «لم يتم عمل إحصاء للملكيات في بريطانيا منذ ألف عام، منذ أيام وليام الفاتح، حينما طلب الملك إصدار كتاب دومزدي Domesday Book، ويضيف التقرير: إن الأمر صعب الآن، حيث إن أربعين في المائة من أرض بريطانيا وويلز غير مسجلة. ووفقاً لمشروع الحكومة، فإن كثيراً من الملكيات الواسعة سوف تصبح معروفة، فالملكة وأمير ويلز (وهم من كبار الملاك) وعدا بالتعاون مع إدارة تسجيل الأراضي. ومن بين الأسر الأرستقراطية في بريطانيا دون بدفورد ودوق نورفولك اللذان يملكان بينهما ٧٠ ألف إكرا (فدان)، وقد أعطى الوزراء موظفي السجلات

Twitter: @ketab_n

الحق في أن يكونوا صارمين في فرض التسجيل على جميع الملاك.

فالنظام الحالي يقر بأن الأرض التي لم يتم بيعها أو تداولها تبقى في يد أصحابها دون تسجيل، حتى بعد أن وضع قانون في القرن التاسع عشر يفرض تسجيل الأراضي، لكن بقيت ملايين الفدادين غير مسجلة.

وأذكر أن الدكتور عبد الله بن فهد النفيسي قد تناول مسألة ملكيات الأراضي في كتابه النظام السياسي في الإسلام، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وضع تنظيماً لذلك، قوامه إحياء الأرض، والإحياء الحقيقي. وليس بوضع الأسوار وتقطيعها إلى مخططات. وأشار إلى أراض أعطاها الرسول صلى الله عليه وسلم لأفراد لإحيائها، فلما لم يتم ذلك سحبت منهم. فهل في عالمنا العربي أي تنظيمات لملكية الأرض تأخذ في الحسبان ما أقره وأمر به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم؟

Twitter: @ketab_n

قراءات في الصحافة البريطانية (٢)

اهتمامنا بالشذوذ الجنسي أشغلنا عن القضايا الكبرى

رئيس شركة البترول البريطانية يتنحى عن منصبه لإخفائه علاقاته الشاذة.

ورد الخبر الأول في صحيفة الديلي تلغراف The Daily Telegraph يوم الإثنين التاسع من أبريل ٢٠٠٧، وكتب التقرير جيمس سلاك James Slack محرر الشؤون الداخلية، ويقول فيه: إن الآرك بشوب Arch Bishop قسيس مدينة يورك قد حذر كنيسة بريطانيا من أن اهتمامها بالشذوذ الجنسي قد صرف اهتمامها عن القضايا الأهم. وقال الدكتور جون سنتامو: «إن الكنيسة فشلت في نشر كلمة الله؛ لأنها غارقة في مناظرات لا نهاية لها حول قضايا مثل تكريس القسس الشواذ والنساء الشاذات». وقال في مقابلة صحفية إن الكنيسة لم تقم بمهمتها في نشر رسالة المسيح، أو ما تعنيه هذه الرسالة، وإننا شغلنا أنفسنا في جدال كثير، أعتقد أنه لا علاقة له بالإيمان، وقال: إن أحد اهتماماته هو النقاش حول تكريس القسس الشواذ والشاذات، وهو الأمر الذي يهدد بانقسام

Twitter: @ketab_n

الكنيسة الإنجليكانية حول العالم، وأضاف أن الكنيسة فاشلة في تحقيق رسالة المسيح حول العالم، ونحن أعضاء الكنيسة كلنا نحتاج إلى أن نعمل أكثر.

وأشار إلى انخفاض عدد مرتادي الكنائس، وقال: إن انحدار الإيمان التقليدي يهدد المجتمع، وقال: إن المجتمع يتوجه إلى تحقيق الذات أو تأكيد الذات أكثر من نقدها، وفي النهاية يصبح المجتمع أكثر عيّاباً ويوجه اللوم للآخرين، ويتجه للحط من شأنهم. واستشهد بعبارة رئيس ديني آخر بأن بريطانيا تتحول إلى معادية للدين بعنف.

أما الخبر الثاني فقد انتشرت أخباره في العالم كله، حيث إن اللورد براون كان شخصية ناجحة بالمقاييس البشرية، حيث نجح في إدارة شركة البترول البريطانية، وكان يطلق عليه بلير بترول لشدة ارتباطه برئيس الوزراء وبسياسة النفط البريطانية. ولكن هذا الرجل دخل في علاقات شاذة، منها علاقة مع شاب من أمريكا اللاتينية فيما أذكر، ووفر له أن يعيش في بذخ غير عادي، وبعد سنوات وكما هو الحال في كل حرام لا بد أن تنتهي تلك العلاقة، فقرر الشاب أن يبيع قصته لصحيفة ما. ولم يكن سبب تنحيه عن المنصب (وكان سيخرج منه بلا شك في وقت قريب) أنه دخل في علاقة شاذة، وإنما لأنه كذب في شهادة من شهاداته. ولم أهتم بقراءة بقية التفصيلات، ولكن المهم أنه في النظام السياسي عندهم إن ظهر أن المسؤول قد ظهر عيبه أو سرقته أو مصيبته خرج غير مأسوف عليه، لا كما يحدث في دول العالم الثالث، كلما فاحت رائحة مصائب ذلك المسؤول استمر واستمر واستمر.

Twitter: @ketab_n

يا كبار التجار دعوا أبناءنا لحالهم- الشركات تهدد الطفولة كما يقول المعلمون.

تقرير موجز نشر في صحيفة الديلي ميل The Daily Mail يوم ٧ أبريل ٢٠٠٧م:

حث المعلمون بالأمس الشركات الجشعة على التوقف عن سرقة طفولة الأطفال البريطانيين، فهم متهمون بالتركيز على الجنس لدى الأطفال من خلال الملابس الخليعة واستدراجهم إلى الطعام الزبالة، ودفعهم لعشق نماذج معينة من الممثلين والفنانين.

ويطالب اتحاد المعلمين أن تصدر الحكومة قراراً بمنع كل الدعايات في المدارس، ويقول السكرتير العام للاتحاد ستيف سينوت Steve Sinnott: إننا نتخلى عن أطفالنا، إنهم هدف الوسائل الإعلامية ولا تخدمهم، بل إنها تدمر صحتهم وكيانهم. إن الطفولة يجب أن يكون التركيز فيها على التعليم والمتعة وليس الاستغلال.

وكان سوف يعلق على تقرير نشره اتحاد المعلمين يفضح التدمير الذي يحدثه تحويل الطفولة إلى تجارة والعيش في مجتمع مادي. ويوضح التقرير كيف تستغل الشركات الكبرى الأطفال، فيما يسمى بقوة الإزعاج، ليفرضوا على والديهم شراء الملابس الثمينة والألعاب حتى يسكتوا ويطيعوا. ومن الأشياء التي تتهم بها المحال التجارية بيع حمالات للصدر لبنات أقل من تسع سنوات، وهناك اتجاه لدى البنات أقل من الثالثة عشر لارتداء ملابس غير مناسبة ومثيرة جنسياً.

Twitter: @ketab_n

وطالب التقرير بمنع الإعلانات قائلاً: إن هذه الإعلانات تقدم رسالة خاطئة، وهي وضع الأطفال تحت الضغط لكي يكبروا بسرعة، وأضاف: إن الصناعة تتغلغل في حياة الأطفال معيقة عمل المدارس لمساعدة الأطفال أن يفكروا لأنفسهم، وأن الأطفال وآباءهم تجب حمايتهما من الإعلانات، التي تهدف إلى توجيههما لشراء سلع معينة.

البابا لا يرى تحت أنفه ويرى أعماق أفريقيا

هذا العنوان ليس من عندي، وإن كان يحمل في طياته ما أعنيه في الكلمات السابقة. والخبر جاء في صحيفة الإندبندنت The Independent يوم ٩ أبريل ٢٠٠٧م، بقلم بيتر بوبهام Peter Popham وفيما يأتي تفاصيل الخبر: تحدث البابا في موعظته الخاصة بعيد الفصح، وذكر المآسي حول العالم، فذكر دارفور والعراق والصومال والكونغو ولبنان وأماكن أخرى تواجه المآسي، ولم تكن لدى البابا مساحة في تلك الخطبة ليذكر النساء اللاتي أسيء إليهن من قبل قسيس الإبرشية في مدينة ريجينا دي باس (مملكة السلام) في ضواحي فلورنسا، وهؤلاء النسوة حاولن منذ مدة طويلة أن يقنعن الكنيسة باتخاذ إجراءات قاسية ضد قسيس الأبرشية الذي يتهمونه باستمالتهن لممارسة الجنس معهن منذ كنّ صغيرات، واستمر يفعل ذلك عدة سنوات وبصفة مستمرة. وعندما واجهن الكنيسة بشهاداتهن قامت الكنيسة بمعاقبته عقاباً صورياً، حيث تم نقله إلى أبرشية أخرى، ثم أخرج من العمل الوعظي.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية هناك فشل في اتخاذ إجراءات حاسمة ضد عدد من القساوسة، الذين افتضح أمرهم في أعمال

Twitter: @ketab_n

جنسية مشينة، مما أدى إلى فقدان الكنيسة ثقة الناس فيها، ومن ثم تحملت فواتير قانونية في مدينة بوسطن بمبلغ مائة وخمسين مليون دولار (٧٦ مليون جنيه).

وهناك قصة القسيس الذي بلغ الثمانين الآن واسمه لوليو كانتيني Lelio Cantini، الذي كان قسيس الأبرشية في منتصف السبعينيات، وله أسلوبه الخاص وشخصية كارزمية، وكانت ترافقه امرأة يقال إنها ذات بصيرة (مكشوف عنها الحجاب)، وكان يمسك الأبرشية بيد من حديد، ولا يسمح بأي تخلف عن العمل أو إهمال، ولكن كان لهذا القسيس جانب خاص، وهو ممارسة الجنس مع البنات، حتى ممن دون سن العاشرة، فإحدى هؤلاء البنات بلغت الآن الخامسة والأربعين وهي متزوجة وعندها طفلان، لقد حاولت كتمان كل الذكريات لاستغلالها جنسيا من قبل القسيس . وهناك نساء أخريات خدعهن هذا القسيس، وكتمن قصصهن حتى وقت قريب، حيث قدمن شهادات مكتوبة وشفوية حول هذا الوضع، ومع أن القسيس قد عوقب، ولكن عقابه نظرت إليه هؤلاء النسوة بالسخرية والألم.

والسؤال نطرحه مرة أخرى، كما طرحه الكاتب: لماذا يرى البابا مآسي العالم كلها، ولا يرى مآسي أتباع كنيسته وفضائح القساوسة؟ ولماذا لا تعيد الكنيسة النظر في السماح لرجال الدين بالزواج؟ أليست هذه مخالفة للفطرة، وتاريخ الكنيسة مليء بمثل هذه المآسي.

«ممنوع قراءة الصحف في المحل» عبارة نجدها عند بعض المتاجر، ولكن بعض المحال الكبرى لا تستطيع السيطرة على الزبائن، فتترك

Twitter: @ketab_n

الأمر، فيمكن للشخص أن يقرأ ما يشاء ثم يمشي، بينما تتشدد محال أخرى. وفي محل للسيخ أو الهندوك في إكستر علقت لوحة صغيرة: ادفع أولاً، ثم تصفح أو اشتر. وعندما أدخل أي حانوت أقرأ العناوين الرئيسة للصحيفة، فأجد أن الموضوع يستحق القراءة، وأحياناً أجلس في مقهى لتناول الشاي أو القهوة، وتقدم هذه المقاهي خدمة لزبائنها، بأن توفر لهم عدداً من الصحف. والصحف تختلف أسعارها بحسب الأيام، فيوم الأحد ترتفع الأسعار، لأن الصحف تضع ملاحق كثيرة، ولكنها أيضاً تكون فرصة لجني الأرباح من الإعلانات. ولا أريد التفصيل في الأسعار، غير أن الصحف في جامعة إكستر بربع جنيه، وهو سعر معقول جداً.

وقراءتي للصحف ليست منتظمة، لكني أجد كلما اشتريت عدداً منها أن هناك موضوعات تستحق القراءة والتلخيص. ولما أخبرت أحد الإخوة العاملين في المنتدى الإسلامي بلندن عن هذا النشاط، قال: تحتاج إلى من يساعدك على الرصد؟ قلت: وأين المساعد؟ وقديماً قرأت في كتب التراث : إن صاحب المهنة يجب أن يتخذ مساعداً، وأن الدولة تتكفل بتكاليف المساعد. ولفت انتباهي أن الصحف البريطانية تهتم بأخبار الدول الأوروبية الأخرى، فوجدت أن الفضائح الأخلاقية والفساد في ألمانيا نال اهتماماً من أكثر من صحيفة، كما أن الجريمة من القضايا التي تهتم بها الصحافة. وإليكم بعض هذه الأخبار:

الفساد الألماني في الصحافة الإنجليزية- التايمز ٣١مايو ٢٠٠٧م.

استقال أحد كبار النواب الألمان، قبل أن تنطلق إحدى المحاكمات الأكثر إثارة وفضائحية في هذا العام، حيث من المتوقع أن تقوم ست من البغايا

Twitter: @ketab_n

بالكشف عن عش الحب (الجنس)، الذي تديره شركة فوكس واجن من قبل التنفيذيين للترفيه أو لتحلية أيام الأشخاص الكبار في اتحادات التجارة. واسم هذا النائب هو هانز-يورجن أوهل Hans-Jurgen Uhl من الحزب الديمقراطي الاجتماعي، الذي كان عضواً ضمن الشخصيات القيادية في مجلس أعمال فوكس واجن بين عامي ١٩٩٠و٢٠٠٦م، ويواجه هذا النائب عدداً من التهم المتعلقة بالتزييف أو الكذب، وبكيفية إنفاق أموال إحدى أكبر شركات صناعة السياسات. ومن الطريف أن أوهل هذا يقوم بدور بطولي في الحديث عن حقوق العمال منذ عام٢٠٠٢م. ولكن الآن سوف تتحدث البغي الروسية لولا ذات التسع والعشرين سنة عن اشتراك أوهل في ممارسة جنسية جماعية في ١٤ يونيه في مدينة هانوفر. وهناك خمس بغايا أخريات من المتوقع أن يتعرفن عليه كمستفيد من حفلات الجنس، التي ترعاها شركة فوكس واجن. وعمر أوهل خمس وخمسون سنة. وهذه الفضيحة الثانية التي تطال الشركة، حيث كانت الفضيحة الأولى تتعلق بمدير شؤون الموظفين، الذي يعد مهندس الإصلاحات العمالية في ألمانيا. وقد كتبت عنها الصحف البريطانية أيضاً.

الجاسوسية في بريطانيا- صحيفة التايمز يوم ٣١مايو ٢٠٠٧م

كنت قد تناولت في كتابي (الغرب من الداخل: دراسة للظواهر الاجتماعية) مسألة التجسس في المجتمعات الغربية عموماً وفي بريطانيا بصفة خاصة. فمنذ عدة سنوات بدأت بريطانيا في نشر أعداد من آلات التصوير في الشوارع (سمعت لقاءً مع أحد الخبراء في الإذاعة السعودية عن رغبة أمانة الرياض في تركيب كاميرات في الشوارع

Twitter: @ketab_n

وبخاصة في وسط البلد) وقلت: هذا الغرب الذي اهتم بالحريات (كما يزعم) وبخاصة الحريات الشخصية أخذ ينتهكها- إن هو احترمها أصلاً-. وقد ذكرت عبارة لأستاذي الدكتور علي الغمراوي الذي عاش في أوروبا سنوات طوالاً، وأتقن عشر لغات، حيث قال: «يا مازن حياتنا هنا أفضل ألف مرة من الحياة في الغرب. إن الواحد هناك يتحول إلى مجرد رقم يتابعونه أينما تحرك».

المهم كما قال أحدهم معجباً بالغرب: «إن الغرب ينتقد نفسه، وهو صريح في الحديث عن مشكلاته»، قد يكون هذا صحيحاً، ولكن الأمر العجيب أنه حتى مع الحديث عن المشكلات والانفتاح والنقد الذاتي، لكن تبقى بعض الأمور كما هي، والحديث والشكوى إنما هي من قبل التنفيس. وهذا يذكرني بالفنان (الكبير) دريد لحام في مسلسلاته المؤثرة (وادي المسك، الحدود، ضيعة تشرين، وغيرها)، وكيف أنني سهرت ليالي أشاهد وادي المسك، وأعجب بالتناول الرائع لمسألة الفساد الحكومي، فكنت أقول: لن يتم هذا المسلسل حتى يقبض عليه، فلا يكون له بعدها حياة، ليعد مسلسلاً آخر. وفي النهاية يكرّم الفنان. إذا أين ذهب كل ذلك النقد القوي الصريح؟

أعود إلى الحديث عن الجاسوسية في المجتمع البريطاني، فمن قضايا التجسس أن الحكومة البريطانية قررت أخذ بصمات ستة ملايين طفل ابتداءً من سن الرابعة من العمر، وفي هذا التقرير الحديث عن آلات التصوير في بريطانيا. تقول العناوين المصاحبة للتقرير ما يأتي:

Twitter: @ketab_n

تقريباً كل الكاميرات غير قانونية، كما يقول مراقب الآلات تخترق قانون المحافظة على المعلومات الأدلة المأخوذة من هذه الكاميرات يمكن تحديها في المحكمة.

يقول المحرر ميلاني ريد Melanie Reid: «نحن نعيش في عصر التجسس، ولكن ٩٠ ٪ من آلات التصوير البالغة أربعة عشر مليوناً ومائتي ألف (١٤،٢٠٠،٠٠٠) (شبكات تلفزيونية مغلقة) قد تكون مخالفة للقانون.

وقد صرح بذلك مكتب استشاري قومي يحظى بدعم الشركة ومكتب حرية المعلومات: أن الغالبية العظمي من كاميرات الدوائر التلفزيونية المغلقة، تستخدم بطريقة غير صحيحة، ويمكن ألا تكون مقبولة في المحكمة. وقد صرح رئيس المنظمة جوردون فيري Gordon Ferrie بأن البحث الذي قمنا به يظهر أن ٩٠٪ من الكاميرات لا تتفق مع أنظمة الحكومة البريطانية، وكثير منها يعمل بصورة غير قانونية، وهذا يضر بسمعة الدوائر التلفزيونية المغلقة، وبضاعة أدوات التجسس، وكل من لهم علاقة بها.

وهذه الكاميرات من الكثرة بحيث أصبح لكل شخص في بريطانيا أربع عشرة كاميرا، وقد تكلفت وزارة الداخلية ثلاثا وستين مليون جنيه لتركيبها.

ومن التعليقات على كثرة الكاميرات قول أحد المسوؤلين: «أصبح المجتمع البريطاني مجتمع تجسس، حيث من المحتمل أن يتم تصوير

Twitter: @ketab_n

الشخص الواحد (الفرد) من قبل ثلاثمائة كاميرا في اليوم، ومع كل هذا فالشرطة تؤكد أهمية هذه الكاميرات وتدافع عن وجودها».

- أخبار قصيرة
- تخفيض عدد المساجين هو السبيل الوحيد لحل مشكلة ازدحام السجون (التايمز ٣١ مايو ٢٠٠٧م.) بريطانيا عاصمة الجريمة باستخدام السكاكين (التايمز ٨ أبريل ٢٠٠٧) لمزيد من المعلومات عن الجريمة في بريطانيا يمكن مراجعة الموقع الآتي: www. timesonline.co.uk/crime
- الأجنة يشعرون بأحوال أمهاتهم ابتداءً الشهر الرابع أو الأسبوع السابع عشر (التايمز ٣١مايو ٢٠٠٧)

اكتشف العلماء أن النساء اللاتي يعانين التوتر خلال الحمل ينقلن قلقهن إلى أطفالهن أو الأجنة، وأشارت البحوث إلى أن التوتر لدى الجنين يرتفع وينخفض وفقاً لحالة أمه في الوقت الذي يبدأ الحمل في الظهور. وقالت قابلة (القابلات عندهن دراسة وتخصص وعلم): إن الضغوط في أثناء الحمل ستكون لها نتائج على صحة الجنين، ومن المهم ان نحاول إبقاء الجنين دون التعرض التوتر.

وفي استطلاع للرأي أجري على ألف امرأة تبين أن النساء يتعرضن للضغوط من أرباب العمل، الذين يظهرون تذمرهم حين معرفة أن الموظفة حامل، ويتوقعون منها الأداء نفسه قبل الحمل. وأكد البحث أن هرمونات التوتر إذا ارتفعت في دم الأم، فإنها ترتفع في السائل الإمبريوني المحيط بالجنين. والطبيب الذي قام بهذا البحث أكد في

Twitter: @ketab_n

بحث سابق: أن الضغوط كلما زادت على الأم في أثناء الحمل أثر ذلك عكسياً على ذكاء الطفل.

وتعليقي بسيط أيها الباحثون عن حرية المرأة في البلاد العربية والإسلامية ومساواتها بالرجل، لو عرفتم ما تعانيه المرأة هنا لتغير رأيكم وإعجابكم وانبهاركم. وقد أعلنت مسؤولة كبيرة في شركة ما: أنها كانت مرشحة للترقية، فلما عرفوا أنها حامل ذهبت الترقية إلى زميلة أخرى.

والقرآن الكريم وصف حمل المرأة أنه (كرهاً على كره)، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى المرأة، فكيف حينما تكون حاملاً.

ولمزيد من المعلومات عن هذه القضية يمكن الرجوع لموقع جريدة التايمز www.times online.co.uk/childhealth

Twitter: @ketab_n

تيارات فكرية ومذاهب في بريطانيا

الماسونية توسع نشاطها في بريطانيا وفي الجامعات بصفة خاصة

ذكرت لكم في العام الماضي أنني لم أجد سكناً إلا حجرة في بيت عجوز إنجليزية، تنتمي إلى الماسونية، وكان زوجها ينتمي إلى محفل إكستر. وعلى الرغم من صغر مدينة إكستر، فإن الماسونية اهتمت بها، وأنشأت فيها محفلاً كبيراً، ولكني لم أبحث عن مقره فقط من باب حب الاستطلاع أن يعرف من يدخل إلى المحفل ومن يخرج منه، وربما وجدت مطبوعات عندهم وربما .....

وقبل أسابيع وجدت خبراً عن إعلان الجمعية الماسونية رغبتها في أن تزيد عدد أعضائها من طلاب الجامعات، وممن هم أقل من الواحد والعشرين حتى بداية من سن الثامنة عشر. والماسونية أصبحت علنية منذ عدة سنوات، ولكنها مع علنيتها تبقى سرية. وكان الإعلان يتضمن أنها ترغب في زيادة عدد الأساتذة الملتحقين بها، وقد صرّح بعض مسؤولي الجامعات: أنه لا مانع لديه من التحاق الشباب بالجمعية، مادام ذلك لا يتعارض والتزاماتهم الدراسية.

Twitter: @ketab_n

فقد ورد الخبر في صحيفة التايمز ليوم الجمعة الثامن من يونيه ٢٠٠٧م بقلم ألكساندرا فريان Alexandera Frean المراسلة التعليمية، وتبدأ تقريرها بالحديث عن الطريقة التي يعرف الماسون بعضهم بعضاً، فتقول: إنه إذا كشف الرجل ثديه الأيسر، وثنى رجل بنطاله، فإن ذلك لا يعني أنه خارج من حفلة شرب وسُكْر، وإنما تعني الإشارة إلى التحاقه بالماسونية. والمحافل الماسونية موجودة في كل من أكسفورد، وكمبريدج، وبرستول، ودرم، وإكستر، ومانشستشر، وبرمنجهام ومدن بريطانيا الأخرى. والهدف من استقطاب الشباب هو السعي إلى تطوير صلات الماسونية بالتعليم العالي من خلال تخفيض رسوم الاشتراك إلى النصف للأعضاء تحت سن الخامسة والعشرين. ويبلغ عدد أعضاء المحافل الماسونية في بريطانيا مائتين وخمسين ألفاً (٢٥٠،٠٠٠) لا تزيد نسبة الذين دون الخامسة والعشرين على الواحد في المائة.

أما أسباب حرص الماسونية على جذب الطلاب فلأن هؤلاء الذين سئموا من البارات وشرب الخمور والذهاب إلى المباريات سيجدون البديل في الاحتكاك بأعضاء المحافل ممن هم أكبر منهم سنّا ونضجاً وتجربة.

ومن المعروف عن الماسونية أن الرابطة بين الأعضاء تسمى (الإخوة)، والذين يعرفون الماسونية من الداخل كتبوا عنها أنها توفر المصالح المادية لأعضائها، ولكن مسؤول العلاقات العامة في الجمعية أنكر أن تكون الماسونية فرصة لدخول الطامحين في الوظيفة أو المكاسب المادية الشخصية. وادعى أن من القواعد الأساسية للماسونية أنها

Twitter: @ketab_n

تؤكد على أعضائها ألا يستخدموا العضوية لتحقيق مكاسب شخصية أو مالية.

معاملة كبار السن:

نقلت العام الماضي من صحيفة بريطانية ما فعله ابن أو حفيد إحدى النساء المشهورات في أمريكا، التي كان يطلق عليها أميرة نيويورك من معاملة أمه أو جدته معاملة قاسية بعد أن تجاوزت التسعين. وفي هذه الأيام ستصدر دراسة (ربما صدرت) عن معاملة الكبار في السن. وربما ذكرت لكم العجوز التي نزلنا في بيتها العام الماضي، كيف أنها ليس لها أولاد، وأقاربها يهملونها إهمالاً تاماً، بل إن بعضهم يصرح أمامها بأنه ينتظر موتها، ليرث منها بعض الأشياء. والدراسة تقول: إن سبعمائة ألف عجوز في بريطانيا تعانين المعاملة القاسية: إما في منازلهم، أو في بيوت الرعاية (يطلق عليها عندنا بيوت العجزة). وهذه الإساءات متنوعة: فمنها الإساءة اللفظية أو السلوكية، التي تؤثر في نظرة الكبار لأنفسهم واحترامهم لذواتهم، وعلى الرغم من أن كمية الإيذاء البدني إلا أن الإصابات ليست كبيرة. وتقول إيفان لويس وزيرة الرعاية: «نحتاج إلى نظرة جديدة لكل ما يخص حماية الكبار .. أريد أن أرى الناس يغضبون لسوء معاملة الكبار، كما يغضبون لسوء معاملة الصغار، وأضافت الوزيرة: «إننا بعيدون عن ذلك كمجتمع ولذلك يجب أن تتغير ثقافتنا».

أما نوعية الإيذاء للكبار فمتنوعة، فمنها السخرية والإهمال أو سرقة الكبار أو الضغط عليهم لتغيير وصاياهم. وهذه أول دراسة تتم في بريطانيا في البيوت، التي يسكنها كبار السن، وليس فقط في الملاجئ

Twitter: @ketab_n

أو دور الرعاية فقط. وقد أعدها فريق من كينجز كولديج بجامعة لندن بالتعاون مع المركز القومي للبحوث الاجتماعية، وتم تمويله من إحدى إدارات وزارة الصحة. ولذلك أليست مناسبة ليتعلم الغرب من الإسلام ما يزخر به الإسلام من نصوص وتطبيقات تحث على حسن التعامل مع الكبير، فالكبير لا بد أن يكون أحد الوالدين الذين قرن الله عز وجل الإحسان لهما بالإيمان به ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وغيرها من الآيات الكريمة التي تؤكد الإحسان إلى الوالدين، ليت الإنجليز أو العالم كله يعرف وصية لقمان لابنه:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان].

Twitter: @ketab_n

قتل الأجنة أو الحمل غير المرغوب فيه وهل ضربك زوجك؟

رحم الله حافظ إبراهيم شاعر النيل، حين وصف الطبيب الذي يخالف شريعة الله عز وجل، ويستحل القيام بعمليات الإجهاض دون مبرر طبي أو شرعي (إن وجد) في قصيدته التي مطلعها:

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي
فى حب مصر كثيرة العشاق

والتي قال فيها:

وطبيب قوم قد أحل لطِبّه
ما لا تحل شريعة الخلاق

قتل الأجنة في البطون .....
(من يأتي بالباقي.....؟)

واليوم يناقش البريطانيون قتل الأجنة أو الإجهاض ومشروعيته وقانونيته، وقد فجرت الحديث عن الإجهاض تصريحات للكاردينال

Twitter: @ketab_n

الكاثوليكي من أسكتلندا، حين قال: إن سماحنا بالإجهاض إنما نكون كمن يرتكب مجزرة كل يوم، أو يقتل عدداً يساوي قاعة من الطلاب كل يوم. ولكن الكاردينال لم يتعرض لماذا هذا الإجهاض؟

كنت أسير في شارع اسمه سيدول Sidwell في مدينة إكستر، فرأيت تجمعاً من الفتيان والفتيات، قد خرجوا لتوهم من مراجعة العيادة، التي تعطي الفتيات حبوب منع الحمل، وتعطي الشباب الواقيات الذكرية، حتى إن أحدهم كان يقف أمام الباب وبيده أحدها يلهو به. وقد زرنا تلك العيادة بناء على دعوتهم لنا للاهتمام بابننا هاشم الذي لم يبلغ الثلاثة أعوام، فرأينا عجباً. فها هم يقولون لهم: مارسوا الجنس كما تشاؤون وزيادة، ونحن نقدم لكم النصائح كيف تتجنبوا الحمل، والأمراض السرية أو الأمراض الجنسية. وعندما تحمل الفتاة وهو الأمر المتوقع بلا شك، فإن هناك من يقدم لها الإجهاض أو من يتبنى الطفل. وعن الثقافة الجنسية هناك الكثير من المواقع التي تقدم المعلومات التفصيلية عنها، ومنها على سبيل المثال موقع هيئة الإذاعة البريطانية وغيرها. وقد فتحت دور السينما لتسهيل اللقاءات، وكذلك الحدائق العامة التي جعلت من أجل الأطفال الصغار لتصبح ملتقى للعشاق، والمدارس. بل إنه أعلن تطعيماً جديداً يعطى للفتيات دون سن العشرين (من الثانية عشرة إلى العشرين)، لتحميهم كما يزعمون من الأمراض الجنسية.

وما نتيجة ذلك كله إلاّ أن ارتفعت أعداد المصابين والمصابات بالأمراض الجنسية، وازدياد حالات الإجهاض إلى رقم تقول عنه

Twitter: @ketab_n

صحيفة الديلي ميل The Daily Mail بتاريخ ٢٠ يونيه ٢٠٠٧م: إنه مرتفع جداً حيث بلغ مائتي ألف حالة في العام الماضي، وبلغت الحالات بين الفتيات دون العشرين أعلاها، ومنذ بدأت الحملة ضد الإجهاض تبين أن عدداً متزايداً من النساء ينظرن إلى الإجهاض بصفته إحدى وسائل منع الحمل.

وعندما أصبح الإجهاض مسموحاً به في عام ١٩٦٩م سُجلت خمسة وخمسون ألف حالة إجهاض، بينما بلغت حالات الإجهاض في العام الماضي مائة وثلاثة وتسعين ألفا وسبعمائة وسبعة وثلاثين (١٩٣٧٣٧)، ونظراً لأن بريطانيا تنقسم إلى ثلاث مناطق كبرى (إنجلترا وويلز أسكتلندا) (مقال رئيس في إحدى الصحف قبل أيام يقول عنوانه: هل نحن مملكة واحدة أم أكثر؟ وأترك للقارئ أن يتخيل)، فالأرقام في أسكتلندا ترفع حالات الإجهاض إلى مائتين وأربعة عشر ألفًا ومائتين وأربع وخمسين. (٢١٤٢٥٤) وارتفعت حالات الإجهاض بين النساء أقل من ١٨ سنة إلى ثمانية عشر ألفاً وستمائة وإحدى وتسعين (١٨٦٩١)، وكان هناك ارتفاع أيضاً بين الفتيات أقل من ستة عشر عاماً.

ويدور النقاش بين مؤيدي الإجهاض (يطلقون على أنفسهم: حرية الاختيار) ومعارضي الإجهاض (يطلقون على أنفسهم من أجل الحياة)، فالمعارضون ينتقدون المجهضين والمجهضات بأنهم أصبحوا يستخدمون الإجهاض كنوع من أنواع تحديد النسل أو موانع الحمل، بينما ينتقد المحاربون للإجهاض الحكومة البريطانية بأنها لم توفر موانع حمل كافية (لو وضعوها في مياه الشرب حتى تكون سهلة جداً وبلاشي نسل

Twitter: @ketab_n

من أصله). ويقول أحدهم: إن الأرقام مخيبة للآمال وتصيب بالكآبة. ويصب جام غضبه على ضعف الخدمات المقدمة في مجال منع الحمل، وعدم توافر حبة ما بعد الجماع. (الصباح المقبل) التي يجب أن تتوافر في الصيدليات في الشوارع الرئيسة في جميع المدن البريطانية.

وعند تحليل الأرقام يتبين أن واحداً من كل أربع حالات حمل يتم إنهاؤه بالإجهاض، وهذا ليس أمراً جيداً في مجتمع متحضر (عن أي حضارة يتكلمون؟)، وتحدثت مسؤولة في عيادات منع الحمل أن هذه الخدمات في وضع متدهور، وفي أسوأ أحوالها، بل تمر بأزمة حسب قولها. وقد بلغ ما ينفق على منع الحمل في إنجلترا أحد عشر جنيهاً(١١جنيها) بينما في بعض المناطق أقرت بأنها لم تنفق سوى ثمانية عشر بنسا (أقل من عشرين في المائة من الجنيه).

ضرب الزوجات أو العنف المنزلي:

طالما اتهم المسلمون باضطهاد المرأة من خلال إجبارها على الحجاب، والضرب، ولكني قرأت في صحيفة الديلي ميل The Daily Mail ليوم ٢٠يونيه ٢٠٠٧: أن النساء البريطانيات يتعرضن للضرب، حتى إنه أصبح قانوناً: أن الأطباء في الطوارئ والعيادات الخارجية أصبحوا يسألون أي امرأة تأتي لهذه العيادات، وهي مصابة بجرح أو آثار عنف: هل تعرضت للضرب من زوجها؟ أو مما يطلقون عليه العنف المحلي أو المنزلي. ويقول التقرير: إن هذا الأمر قد أصبح وباءً مسكوتاً عنه. ويدعي التقرير: أن خمسة ملايين امرأة تتعرض للعنف مرة في حياتها في حين أن ثلاثمائة وخمسين ألف حالة تصل إلى الشرطة سنوياً (٣٥٠٠٠٠)، وقد أصدرت

Twitter: @ketab_n

رابطة الأطباء البريطانيين تعميماً إلى جميع الأطباء يوضح لهم أن من نتائج العنف المنزلي الجروح المباشرة إلى الكسور إلى العذاب النفسي. ولذلك فعلى الأطباء أن يوجهوا الأسئلة الصحيحة للمساعدة على التغلب على العنف المنزلي. ولكن المسألة ليست بهذه البساطة، فإن الموضوع أثار ردود أفعال مختلفة، فقد تغضب النساء من مثل هذه الأسئلة المباشرة، كما أن الأزواج أو الآباء لا يعجبهم أن يوجه إليهم الاتهام بأنهم سبب الحادث. ومن البحث في هذه القضية تبين أن ثلث حالات الاعتداء تبدأ من الحمل. وهناك وسائل ينبغي أن تتبع لمعرفة السبب في الحادث، وأن تعطى المريضة الفرصة أن تكون وحدها مع الطبيب، لتتمكن من الحديث بحرية عن أسباب الحادث، وفيما إذا تعرضت بالفعل للعنف. ومن نتائج العنف كما بينت بعض البحوث الإصابة بأمراض القلب، ولكن الأغلب أن يكون التأثير في العقل.

ولو انتقلنا من بريطانيا إلى أمريكا فإنني قبل مدة كتبت عبارة (العنف ضد المرأة) في موقع مجلة (علم النفس اليوم) Psychology Today وجدت عشرات الألوف من المقالات التي تتناول هذا الأمر، بل إن الحكومة الأمريكية قد ناقشت هذه القضايا في مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وهناك قرارات حكومية بهذا الشأن. وأذكر مقالة للأستاذة نوال السباعي في مجلة المجتمع عن العنف ضد النساء في المجتمعات الأوروبية عموماً، وقد أنشئت عيادات ومكاتب وجمعيات في أوروبا، لتساعد النساء اللاتي يتعرضن للضرب. وقد شاهدت العام الماضي رجلاً في مدينة إكستر يعتدي على امرأة معه بطريقة وحشية.

Twitter: @ketab_n

والقوات الأمريكية والمتحالفة معها، أَلَا تعامل نساء المسلمين وأطفالهم بالعنف والقسوة حتى تقتلهم بحجج واهية!! وأختم بفكرة سأتناولها في الصفحات القادمة إن شاء الله عن انتشار القتل في أمريكا، حتى قال أحدهم في تلك المقالة: «كما نقتل غيرنا في الخارج، فإن هذا الأمر ارتد علينا فأصبحنا نقتل أنفسنا). وسمعت ذات مرة من والدي رحمه الله: (بشّر القاتل بالقتل ولو بعد حين). ومن أصدق من الله حديثاً، ومن أصدق من الله قيلاً: (ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً)، فمن يوصل هذه الرسالة إلى أمريكا وحلفائها؟

Twitter: @ketab_n

الصحافة الإنجليزية ومعرفة الشعوب والأمم الأخرى

عندما كان العرب والمسلمون سادة الحضارة البشرية بما نشروا من الهداية والعدل والتسامح، كانوا أيضاً على وعي بأهمية معرفة الأمم والشعوب الأخرى. ولأنهم كانوا بحق يطبقون الآية الكريمة :(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم). وقد كان حب الاستطلاع والرغبة في معرفة الشعوب الأخرى موجودة عند العرب قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فقد ذكر الله سبحانه وتعالى رحلتي الشتاء والصيف. ولما خرج المسلمون في الفتوحات إلى بلاد الشام والعراق كانوا يعرفون جغرافية المنطقة معرفة عميقة، ويعرفون شعوب البلاد المجاورة وحكوماتها وأنظمتها. وكان جد الرسول صلى الله عليه وسلم هاشم معروفاً لدى القيصر، ومن كثرة زياراته لغزة في بلاد فلسطين يطلق عليها غزة هاشم. وعندما بدأت الفتوحات ودخل أحد رسل الجيش الإسلامي على كسرى وأراد أن يجلس معه على عرشه، فأسرع الحرس إلى إبعاده، فقال لهم تلك القولة المشهورة: «كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا

Twitter: @ketab_n

أرى قوماً أسفه منكم، إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضاً، فظننتكم تواسون قومكم كما نتواسى، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه، ولم آتكم ولكن دعوتموني، اليوم علمت أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون وأن مُلكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول.

فقالت السفلة: صدق والله العربي، وقالت الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه، قاتل الله أولينا ما كان أحمقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة، فهابه رستم وبدأ بممازحته ليمحو ما صنع».

ويعجبني وأنا مسافر أن أطلع على الصحف، وفي زيارتي هذه لبريطانيا لفت نظري عدد من الموضوعات عن الشعوب والأمم الأخرى، وكما هو معروف يختلف تناول الإعلام الغربي (عموماً) في تناول قضايا الأمة العربية والإسلامية، وتناولهم لقضايا الأمم والشعوب الأخرى. وسأقدم فيما يأتي بعض هذه القضايا:

نشرت صحيفة التايمز اللندنية يوم ٩يونيه ٢٠٠٧ م تقريراً عن الانتحار في اليابان، حيث قالت: «بدأت اليابان حملة لمنع حالات الانتحار بين الأطفال والنساء وكبار السن، وقد أعلن مجلس الوزراء الياباني عن عزمه تخفيض حالات الانتحار بنسبة عشرين في المائة، بعد أن أظهرت الأرقام تحسن الوضع الاقتصادي، ولكن ذلك لم ينجح في تخفيض عدد حالات المنتحرين، ويدعو اقتراح الحكومة إلى معالجة البطالة والديون الشخصية، وتعيين مستشارين نفسيين في أماكن العمل لرفع الوعي النفسي».

Twitter: @ketab_n

وتضمن التقرير أن هذا العام هو العام التاسع على التوالي الذي تصل فيه أعداد المنتحرين إلى ثلاثمائة ألف شخص، بينما كان هذا العدد في العام الماضي قد بلغ ٣٢١٥٥حالة، وكان هناك تناسب بين البطالة والانتحار، ولكن نسبة البطالة قد انخفضت في اليابان إلى ٣،٨٪، ولكن الانتحار مازال مرتفعاً.

وأشار التقرير إلى الانتحار بين المراهقين، وقد أصدر وزير التعليم تحذيراً للآباء والأمهات والمعلمين بسبب السخرية والاستهزاء في المدارس. وذكر الخبر عن رسائل تلقاها الوزير من مراهقين يهددون بالانتحار لما يعانونه في المدارس. كما أن نسبة الانتحار بين كبار السن ما تزال تحتل ثلث عدد الحالات.

هجرة العقول الألمانية:

نعاني نحن في العالم العربي الإسلامي هجرة العقول، وكتبت ذات مرة أن العقول تنزف بالهجرة وتنزف وهي في مكانها، ولكن أن تعاني ألمانيا أكبر موجة من هجرة العقول منذ الأربعينيات من القرن الماضي لقضية تستحق أن يهتم بها الأوروبيون، وإن كانت الهجرة إلى دول أوروبية أخرى أو إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ويقول التقرير الذي نشرته صحيفة الإندبندنت The Independent يوم ١ يونيه ٢٠٠٧ «إن ألمانيا التي اخترعت مصطلح «العمال الضيوف» أصبحت تعاني هجرة المتخصصين فيها للعمل خارج ألمانيا، فقدارتفعت نسبة الذين هاجروا وفقاً لإدارة الإحصائيات الفيدرالية إلى مائة وخمسة وخمسين ألفا ومائتين وتسعين ١٥٥٢٩٠ في العام الماضي (٢٠٠٦م)، وانخفضت نسبة

Twitter: @ketab_n

العمال الوافدين. ويقول الاقتصاديون الألمان: إن هذه الأرقام تنذر بالخطر، ذلك أن الذين يغادرون البلاد هم المتعلمون تعليماً عالياً، بينما الذين يأتون إلى ألمانيا هم في الغالب الفقراء وغير المدربين.

سبب الهجرة أن البطالة ارتفعت إلى ١٧٪، بالإضافة إلى ارتفاع الضرائب والبيروقراطية (ماذا يقول المساكين في العالم الثالث؟). وأما أعداد المهاجرين فمنهم من هاجر إلى سويسرا، حيث بلغ عدد الألمان الذين هاجروا إليها في العام الماضي ثمانية عشر ألفاً، بينما هاجر إلى الولايات المتحدة ثلاثة عشر ألفاً ومائتان وخمسة وأربعون، وهناك من هاجر، إلى النمسا. وقد بدأ السويسريون يتذمرون من هجرة الألمان إلى بلادهم، حتى أطلقوا على هذه الهجرة بـ(الغزو الألماني).

شمس ورمال ورِقٌ Sun, Sand and Slavery

نشرت مجلة الجارديان The Guardian في عددها الصادر في ٢٢ مايو ٢٠٠٧م مقالة أو تحقيقاً صحفياً بقلم ليو هيكمان Leo Hickman تقريراً عن دبي، تلك المدينة الصغيرة في الخليج العربي، وكيف انطلقت فيها المشروعات الضخمة التي لا يوجد مثلها في العالم، فهناك نسخة من برج إيفل، ونسخة من تاج محل، ومشروعات لا يمكن تخيلها، وتحدث عن الخدمات التي توجد في دبي، ولا يمكن أن تجدها في مكان آخر من العالم حتى إن بعض غرف الفنادق يمكن أن تصل أجرة الليلة فيها إلى ثمان وعشرين ألف دولار في الليلة الواحدة.

وقال الكاتب: إن هذه المشروعات والخدمات الخيالية يقوم بها جيش من العمال، الذين يعيشون مأساة لا شبيه لها في أي مكان من العالم،

Twitter: @ketab_n

وأطلق عليها في العنوان: (العبودية أو الرق)، وعندما قدم التفسيرات فكان قريباً من الحقيقة أو هي الحقيقة بعينها. وليس هذا الكاتب هو الوحيد الذي ينتقد الأوضاع في عالمنا، فقد تقدم شاب من أصل هندي (قال: إنه من دبي- وهو محق، فثمانين في المائة من أهل دبي لم يولدوا فيها) بأن دبي بحاجة إلى العدل الاجتماعي. وذكر شيئاً من سيرة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وأنه لا بد من استلهام هذه السيرة، وتلك الإدارة العظيمة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لإصلاح أوضاع دبي، وبخاصة الطبقة العاملة فيها.

تقرير العبودية والشمس والرمال استغرق عدة صفحات، ولكني في الحقيقة بعد أن قطعت شوطاً في القراءة شعرت بحزن شديد أن يسعى أحد لمثل هذا البناء على حساب إنسانية وسعادة وصحة مئات الآلاف من العمال، حتى لو كانوا سيموتون جوعاً، لو لم تتوافر هذه المشروعات فإنه لا شيء مطلقاً يبرر الظلم والطغيان.

اطلب العلم من المهد إلى اللحد:

إنجليزي عمره اثنتان وستون سنة يحصل على درجة الماجستير الثامنة، فقد كان يعمل في وظيفة أمين مكتبة قبل عشر سنوات عندما حصل على درجة الماجستير الثانية، ولكنه عندما علم أن سجيناً حصل على ست درجات ماجستير في ثلاث عشرة سنة. قرر أن يتحدى ذلك الرقم فشرع في الحصول على تلك الشهادات. وليست العبرة هنا بعدد الشهادات، ولكن بالإصرار والحرص على الدراسة، حتى إن تقدمت به السن. وفي بعض البلاد التي تقدم الدولة أو الجامعات الرسمية الحكومية

Twitter: @ketab_n

الدراسات العليا تمنع من تجاوز الأربعين أن يلتحق بالدراسات العليا، وكأن العملية لديهم مادية بحتة، فنحن لا ننفق على شخص لن يكون منتجاً أو نفيد منه في التدريس. ما دام التعليم مجانياً، وهكذا يجب أن يكون، فلماذا يحرم من تجاوز الأربعين الحق في الدراسة؟ ونشرت الخبر صحيفة الإندبندنت يوم ٢٩ مايو ٢٠٠٧م.

Twitter: @ketab_n

من أبوهم؟ ومتى يستيقظون؟

قدم التليفزيون البريطاني في أوائل شهر مايو تقريراً بعنوان: (جون وجانيت) –كناية عن الرجل والمرأة في الأسرة البريطانية– تناول فيها أوضاع الأسرة في بريطانيا وتفككها، وقدم إحصائيات دقيقة حول المجتمع البريطاني. ولكن بعد أن صدر قرار الحكومة البريطانية، الذي يفرض على كل امرأة تضع مولوداً أن تسجل اسم الأب، وقد كانوا من قبل لا يطلبون من الأم تسجيل اسم الأب، فكانوا يتركون مكان اسم الأب فراغاً، ولكن ليس بعد الآن. وتساءلت: هل رجع الإنجليز إلى عقولهم...لو كان عندهم عقول؟ كيف يمكن أن يكون الأب فراغاً، ثم يأتي وقت لا بد أن يسجل في خانة الأب: جون أو جورج أو توني أو بيتر أو خان أو محمود. ولكن هل يصدق كلام الأم؟ ألم يدر في خلدهم أن هذا الذي تدعي المرأة أنه والد الطفل سيرفض أو ينكر فماذا لديها من دليل؟ نعم إنهم اخترعوا فحوص الحمض النووي الدي إن إي. DNA، ولكن هل سيجبر من تدعي المرأة أنه الأب أن يجرى له الفحص؟ لم تكن هذه القضية تشغل العرب في الجاهلية، فالزواج عندهم كان

Twitter: @ketab_n

على أربعة أشكال، كما حكتها السيدة عائشة رضي الله عنها في كتب الحديث. فالمرأة التي تعاشر مجموعة من الرجال إن حملت دعتهم، وقالت: ابنك يا فلان ولا يستطيع أن يرفض. (على أنها بغي لكن كانت لها سلطة معينة)، أو ربما دعوا من يعرف بالأثر والشبه، فنسبه إلى أحدهم، فلا يستطيع أن يتخلى. أو النساء ذات الرايات ولهن طريقة أخرى في مسألة الولد. أما الزواج النظيف المشروع فهو أن يخطب الرجل المرأة من وليها، وهو الزواج الذي أقرّه الإسلام. وثمة مسألة أخرى أن الزنا لم يكن شائعاً عندهم. فلما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم مبايعة بعض النساء وكانت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان تقف أمامه، فسمعت شرط المبايعة: (وأن لا يأتين ببهتان يفترينه من بين أيديهن وأرجلهن) فقالت: يا رسول الله أو تزني الحرة؟ استنكاراً، لأن الحرة عندهم لا تزني) والقرآن عندما أذن للمسلم أن يتزوج الكتابية، وصف من يحل الزواج منها (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان).

هذه القضية دعت صحيفة الديلي ميل The Daily Mail في ٢٧ يونيه (حزيران) ٢٠٠٧م إلى إفراد صفحتين للحديث عن هذه المشكلة باستضافة فتاة لم تعرف أباها وأم أخفت اسم الأب عن الحكومة، كما أخفته عن ابنتها، ولا تزال الابنة تبحث عن أبيها حتى الساعة.

ماذا دار من حديث في هاتين الصفحتين؟ تقول الأم: إن الرجل كان سيئاً فقد كانت دون العشرين وغرة وساذجة، فأوهمها أنه يحبها فقبلت أن تنام معه، وبعد أيام طلب منها خاتماً ليعطيه لإحدى

Twitter: @ketab_n

صديقاتها، فاكتشفت أنه يمارس الخداع، وأنها مجرد نزوة، فهو لم يحبها، وما توهمته علاقة دائمة كان مجرد متعة مؤقتة. ومن ثم عندما حملت ووضعت قررت أن تحرمه من أن يعرف أن له بنتاً، وتحدثت كيف أن أهلها أجبروها على أن تترك الرضيعة لدى من يتبناها، ولكنها لم تستطع أن تعيش دون طفلتها، فأرجعتها وعاشت حياتها كلها من أجل طفلتها بمساعدة من والدها.

أما الفتاة فقد كبرت وهي ترى غيرها من الأطفال ينعمون بحنان الأب ورعايته، فتتمنى أن يكون لها أب، وكانت تسأل أمها عن أبيها، وفي كل مرة تتهرب الأم من الإجابة، بل أحياناً يحدث بينهما بعض الشجار حول هذه المسألة. والأم تصر على ألا تبوح باسمه. فهي لا تريد أن يكون لها أو لابنتها أي علاقة به. وتحدثت الفتاة بعاطفة عن حزنها وألمها لغياب أبيها من حياتها، وأنها تحيا كاليتيمة مع وجود أبيها. ولا تزال تبحث عنه، حتى الصحيفة طالبت القراء من يعرف عنه شيئاً أن يعلمهم بخبره، لأن الفتاة أصبحت في العشرين من عمرها.

ليس هذا يتم مع حياة الأب ووجوده. وقد قال شاعر عربي يصف مثل هذه الحالة بأن من أصعب اليتم أن يكون الأب والأم موجودين، ولكنهما منشغلان عن أبنائهما، وهذا واقع.

أمة من المخمورين؟

لما وقفت عند بقالة أو متجر كبير وقف أكثر من زبون في الصف ومعه مجموعة من القوارير، ورأيت في المحل إعلانات عن تخفيضات في أسعار الخمور، وازدادت المحال التي تبيع الخمور، فليست هناك

Twitter: @ketab_n

بقالة واحدة لا تبيعها (عدا بقالة البركة، صاحبها رجل مسلم ويصلي) وهناك أكثر من مقالة، بل إن المقالات بالعشرات عن الخمر ومصائبها، فصحيفة الطلاب في الجامعة واسمها إكسبوزي Expose نشرت مقالة بعنوان: (أمة من المخمورين منذ أيام شكسبير) يوم ١٨ يونيه ٢٠٠٧ تقول فيها: «هل الكحول شيء غريب؟ لماذا هذه الضجة الجديدة حوله؟ هل أصبحنا نجهل مضار الخمر أو فوائده؟ أو سلبيات الكحول وإيجابياته؟ فما الذي حدث؟

لقد أعلن مكتب الإحصاءات القومي أن عدد الموتى بسبب الخمور قد تضاعف منذ عام ١٩٩١م حتى عام ٢٠٠٥م من ٤١٤٤ إلى ٨٣٨٦حالة وعدد الذكور ثلثا هذا الرقم. أصبح الناس يشربون على مدار الساعة، وهذا يشير إلى زيادة استهلاك الكحول، وهل أصبح الناس يشربون في سن أقل وكميات أكبر وتركيز أكبر للكحول؟

وتشير المقالة إلى مسرحية عطيل التي كتبها شكسبير في القرن السادس عشر تشير إلى أن الشعب الإنجليزي مغرم بالشرب، حتى إن عبارة «سكران حتى الموت» وردت في تلك المسرحية، ولا تزال تستعمل حتى اليوم Dead Drunk ، ويرى كاتب المقالة أن المال والوقت والحرية هي التي أوجدت جيلاً دون الثلاثين من العمر لديهم قوة أكثر وضغوط حياتية أقل، حيث ليس لديها ذلك العمل المضني، الذي كانت تقوم به الأجيال السابقة، التي كانت تشرب في أوقات معينة، بينما هؤلاء يشربون في كل وقت.

أما صحيفة التايمز فقد كان الخبر الرئيس في صفحتها الأولى يوم ٥ يونيه ٢٠٠٧ عن حملة ضد استهلاك الخمور لدى الطبقة المتوسطة

Twitter: @ketab_n

ولدى الشباب من سن الثامنة عشرة حتى سن الرابعة والعشرين. وذكرت الصحيفة أن نفقات الخدمات الطبية على الأمراض المتعلقة بالخمور بلغت ١,٣-١,٧ مليار جنيه. وتسعى الحملة إلى جعل السكر في الأماكن العامة أمراً غير مقبول اجتماعياً، كما هو الحال مع التدخين، وأعلن رئيس الكلية الملكية للأطباء أن التركيز يجب أن يكون على تكاليف الإفراط في الشراب، فقد ذكر أن تكاليف الخمر قد انخفضت بنسبة ٥٤٪ منذ عام ١٩٨٠م، ولذلك فإن من بين الحلول زيادة الضريبة على الكحول، كما يقترح آخر بأن توضع في الأماكن التي يتوافر فيها الخمور إعلانات أو لوحات بارزة عن مخاطر الخمر، والحد المناسب من الشرب، وهنا خلاف حول هذه المسألة فالناس يختلفون في الكمية التي تجعلهم مخمورين.

Twitter: @ketab_n

الأمريكيون أيضاً يقتلون أنفسهم

Day in the Death of America

قبل أربعين سنة عندما كنت مبتعثاً، وفي ليلة كانت سلوتي الوحيدة أن أشاهد التلفزيون، ولم أكن من هواة مشاهدة المسلسلات أو الأفلام إلا قليلاً. في تلك الليلة، استمعت إلى متحدث أمريكي ربما كان اسمه بول هارفي يقدم كلمة، كما تقدم الإذاعات والتلفزيونات (قديما) كلمة موجزة كأنها موعظة. وكانت الكلمة في تلك الليلة لشخص اسمه بول هارفي قال فيها: «أيها الأمريكيون أنتم تقتلون أنفسكم. إن عدد الذين يموتون قتلاً يزيد على أي سبب آخر. لقد أصبح الشخص لا يقتل إنساناً يعرفه وبينهما خصومة أو عداوة، ولكن أصبح يقتل أشخاصاً لا يعرفهم ولا تربطه بهم أي صلة».

بعد سنوات من رجوعي إلى المملكة قرأت أن ورنر إخوان Warner Bros، وهي شركة إنتاج سينمائي قد أنتجت فيلماً بعنوان: (قتلة بالفطرة) Born Killers، وتتلخص قصة الفيلم في أن يكون فتى وفتاة في حالة حب وغرام وعشق يمارسان القتل ويستمتعان بذلك، فكأنه جزء من قصة حبهما، ولا تزعجهما مناظر الدماء البتة. وما إن عرض

Twitter: @ketab_n

الفيلم في أمريكا حتى وقعت عدة حوادث قتل أكدت الشرطة الأمريكية تأثر القتلة بمشاهدة الفيلم.

هنا أعلنت بريطانيا أنها لن تسمح بعرض الفيلم، ولكن الصحف قالت: إن الشركة سوف تسعى بكل الطرق ولها وسائلها فيعرض الفيلم في بريطانيا، ويكون المنع المؤقت نوعاً من الدعاية للفيلم ومن ثم تزداد شعبيته وإيراداته.

في يوم التاسع من يونيه اشتريت العدد الأسبوعي لصحيفة الجارديان، وفي المجلة المصاحبة وجدت مقالة عن القتل في أمريكا. وإليكم العناوين التي اختارها المحرر للمقالة التي كتبها جاري يونج Gary Younge

- طفل عمره سنتان يقتل نفسه مستخدماً مسدساً كان خلف الكنبة.
- متسوق يقتل من قبل حارس أمن.
- أخ يطلق الرصاص على أخيه.

هكذا تسعة يقتلون في أربع وعشرين ساعة.

أما حوادث القتل التي سجلت في يوم واحد، فإليكم بعض تفصيلاتها:

الحادثة الأولى: شاب عمره تسعة عشر عاماً يعمل حارس أمن في كلية الحقوق في نيويورك، كان عائداً من عمله فمر بآلة صرف آلي وسحب منها مائة وعشرين دولاراً. وفي الطريق وقف ليتكلم مع صديقته، وفيما هو يحدثها قال لها إن سيارة كانت تتبعه، وفجأة سمعت شجاراً في كشك الهاتف ثم انقطع الصوت. فاتصلت تلك الفتاة بوالدته لتسألها هل وصل صديقها إلى البيت، فقالت الأم لا، وخرجت لتجده مضرجاً بدمائه.

Twitter: @ketab_n

الحادثة الثانية: شاب عمره ١٨ عاماً غادر المنزل لحضور حفلة مدتها ثلاثة أيام، يطلق عليها (حفلة الفستان القصير)، ورسوم دخول للشباب خمسة دولارات، بينما الرسوم التي تدفعها البنات دولاران. وعند الساعة الثانية وخمس وأربعين دقيقة بعد منتصف الليل أعلن عن حريق في الميكرفون، فقرر بعض الحضور المغادرة، ولكن هذا الشاب بقي، وجاء بعض الجيران لمكان الحفل يشتكون من الضجيج، وأنهم قد يشتكون إلى الشرطة، وحدث شجار، وعند الساعة الثالثة وعشرين دقيقة سمعت طلقات رصاص جرحت فيها فتاتان ١٤ و١٥ سنة وولدان ١٦و١٧ سنة، وقتل جوناثان.

الحادثة الثالثة: طفل عمره سنتان استيقظ في الصباح فأخذ يلعب في غرفة الجلوس في بيته، وأخذ يقفز فوق الفراش والكنب حتى عثر على مسدس، فأخذ يلعب فيه وفجأة أطلق الرصاص على نفسه.

الحادثة الرابعة: شاب قتله شرطي لم يكن على رأس عمله، والشرطي هذا له سوابق في سوء استخدام السلاح والقتل، ولكنه كان يخرج من العقوبة وهذه هي إحدى جرائمه.

أما التقرير فيقول: إنه من المعتاد أن يقتل ثمانية أشخاص أمريكان يومياً تراوح أعمارهم بين التاسعة عشر وما دونها، وفي خلال سنة يكون العدد أكثر من العدد الذي قتل في أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ووفقاً لإحصائيات عام ٢٠٠٤ م (المتوافرة)، فإن سبعة من هؤلاء القتلى من الذكور وواحدة أنثى، وهم ثلاثة من السود وأربعة بيض، وواحد من أمريكا الجنوبية. خمسة يقتلون واثنان ينتحران وواحد يصنف على أنه قتل غير عمد.

Twitter: @ketab_n

وفي هذا اليوم الذي اختير عشوائياً ثمانية أطفال فقدوا حياتهم أكبرهم عمره ١٩، وأصغرهم عمره سنتان، وثمانية منهم من السود والتاسع أمريكي جنوبي (هسبانك)، والقاتلون إما أقارب أو أصدقاء أو مجهولين أو عاملاً في مطعم بيتزا، يقوم بتوصيل الطلبات، وواحد قتله شرطي بالخطأ.

فما معنى كل هذا القتل في أمريكا؟ يقول كاتب التقرير على لسان بعض الأمريكيين: نحن خرجنا إلى العالم لنقتل، وها نحن ندفع الثمن فنقتل أنفسنا.

عبد القدير خان: أبو القنبلة النووية الباكستانية:

أعدت إحدى الصحف اليومية في ملحقها الأسبوعي تقريراً عن كتاب صدر في بريطانيا عن عبد القدير خان، تناول جوانب من حياته ومسيرته العلمية، وخطوات تصنيع القنبلة النووية الباكستانية، وذكرت أن الرجل حرص على أن تمتلك بلاده السلاح النووي لمواجهة الخطر الهندي، بل إنه في وقت من الأوقات كانت القوات الهندية على وشك الهجوم على باكستان، فلما علمت أن باكستان أصبحت دولة نووية توقفت وأحجمت.

ومن المقابلة هذه الفقرات: سئل عبد القدير: هل يزعجك أن يصفوك في الغرب بالشيطان، والدكتور «محب الغريب»؟ فأجاب بوضوح: «إنهم يكرهون إلهنا، إنهم يكرهون نبينا، إنهم يكرهون قادتنا، ولذلك فلا عجب أن يكرهوا أي شخص أن يضع بلاده على طريق الاستقلال والاعتماد على الذات. ما دمت متأكداً أنني أقوم بشيء جيد لبلادي، فسوف أهمل كل تلك الشتائم وأركز على عملي».

Twitter: @ketab_n

وذكر التقرير أن عبد القدير حصل على العديد من شهادات التقدير والأوسمة وشهادات الدكتوراه الفخرية، ومنها ست درجات دكتوراه، وخمس وأربعون ميدالية ذهبية، وثلاثة تيجان ذهبية، ومرتان نيشان الامتياز، وهو أعلى وسام لمدني في باكستان.

نصف من يموتون «مبكراً» في روسيا بسبب الكحول:

نشرت صحيفة الإندبندنت The Independent يوم ١٥يونيه ٢٠٠٧ تقريراً عن أسباب موت الروس المبكرة، فوجدت أن أكثر من نصف حالات الوفاة «المبكرة» –نحن لا نقول مبكر، فالإنسان يموت حين يموت يكون قد انتهى أجله- فيقول التقرير: «ليس الكحول هو وحده الذي يقتل الروس في سن مبكرة، فهناك دراسة قام بها باحثون بريطانيون في عدة قرى ومدن روسية، وجدوا أن الناس هناك لا يتعاطون الكحول وحده، فثمن الفودكا أو غيرها من أنواع الكحول أكثر من قدرة معظم هؤلاء الناس، لذلك فهم يلجؤون إلى تعاطي الكولونيا ومطهرات طبية وسوائل تنظيف، وبعض هذه الأشياء يحتوي على كحول بنسبة ٩٧٪، ويشتري الروس بعض الأدوية لشربها بدلاً من الكحول لرخص ثمنها وتوافرها.

وتعجبت من فريق بريطاني يسافر إلى روسيا لاستقصاء أسباب وفاة الروس المبكرة، فهل يستفيد الروس من نتائج هذه الدراسات؟ وهل الغرب أو الحضارة الغربية السكرى الثملة يمكنها أن تفيق وتترك هذه الأمور؟ فيا أيها العلمانيون الليبراليون ماذا تريدون؟ تعالوا وادرسوا هذه الحضارة دراسة حقيقية، لتعرفوا عظمة هذا الدين

Twitter: @ketab_n

لو طبقناه بطريقة صحيحة، ولم نصل إلى الحال التي كان أبو حامد الغزالي يردد فيها بيت الشعر:

يـا قـراء الـبـلـد أنـتـم الملح

فمـا يصلـح الملـح إذا الملـح فسد

Twitter: @ketab_n

علماؤنا ونوابهم

حفل التاريخ الإسلامي بأسماء العلماء المسلمين، الذين كانت لهم مواقف مشرفة مع الحكام، صدعوا فيها بالحق، ولم يخافوا في الله لومة لائم. ويمكن أن نبدأ بسيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي رضي الله عنه، ثم تستمر القافلة المباركة حتى يومنا هذا. وقد مررت في أثناء قراءاتي بموقف لسفيان الثوري رحمه الله مع أبي جعفر المنصور. فقد طلب أبو جعفر مقابلة سفيان، وكان سفيان لا يحب مقابلة السلطان أو السلاطين. فقل أبو جعفر: «يا سفيان لمَ لا تأتنا فنستشيرك فما أمرتنا بشيء فعلناه، وما نهيتنا عن شيء تركناه». فقال سفيان: كم بلغت نفقتك في الحج؟ فإني أرى قوماً كثيراً يحجون معك. فقال الخليفة: لدي من يقوم بهذا الأمر. وكأنه ظن أن الإجابة ستقنع العالم، فأسرع سفيان بالقول: «ولكني أتذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كان في الحج سأل غلامه، كم بلغت نفقتنا في الحج؟ فقال الغلام: ثمانية عشر ديناراً يا أمير المؤمنين، فقال عمر رضي الله عنه: «ويحك لقد أجحفنا بيت مال المسلمين».

Twitter: @ketab_n

ولا شك أن كلام الفقيه العالم واضح في أنه ينتقد إسراف أبي جعفر، فضرب له المثل بما كان من عمر رضي الله عنه.

لم يعتقل الخليفة سفيان الثوري على جرأته في النقد، ولذلك كانت لهم دولة قوية مهيبة الجانب. وفي العصور الحديثة أخذ الغربيون في أنظمتهم السياسية مسألة المحاسبة للحاكم، وإن لم يطبقوها التطبيق الصحيح، فعلى الأقل ليست لديهم السجون السياسية والمعتقلات التي لا حصر لها، كما هو الحال في دول العالم الثالث. وإن صاحت هذه الدول أنها سوف تنهض وتتقدم، وهي تفقد المعايير الصحيحة لقيام الدولة، فإن هذا خيال في خيال.

وبعد قرون ظهر العز بن عبد السلام رحمه الله فأطلق عليه سلطان العلماء، وبائع الملوك، وكان منه ما كان من الوقوف في وجه طغيان بعض الحكام، حتى سأله ابنه يا أبتي ألا تخشى السلطان؟ فقال قولة عجيبة: «أتذكر عظمة الله، فيظهروا أمامي كالقطط». وفي مرة أخرى جاءه من يستدعيه من بيته، فخرج بملابس البيت، وقال له ابنه: ألا تخاف منهم قال: إن أباك أقل على الله من أن يموت شهيداً.

وذكر الأستاذ محمود شاكر في كتابه (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) كيف أن العلماء في عصر المماليك وقفوا في وجه استبداد وطغيان الحكام، فجعلوهم يكتبون حجة أو صكاً على أنفسهم، يعيدون بموجبه كل الأموال التي أخذوها من الشعب، ويتعدوا باحترام ممتلكات الناس وحرياتهم. وقال شاكر رحمه الله: إن هذه الوثيقة سبقت الماقنا كارتا التي يفتخر بها الإنجليز.

Twitter: @ketab_n

ومن خلال اطلاعي على بعض أعداد من الصحف الإنجليزية، فإنني وجدت محاسبة دقيقة حول رحلة توني بلير الوداعية. والسؤال: لماذا قام بهذه الرحلة؟ هل أفادت أو هل كان من المتوقع أن تفيد السياسة البريطانية والشعب البريطاني أو كانت لمصلحة بلير نفسه؟ لقد نشرت إحدى الصحف تفاصيل تلك الرحلة. وفيما يأتي ترجمة لذلك.

عنوان المقال هو: بلير متهم بإضاعة مليون جنيه على رحلته الوداعية

بقلم ميسر هول Macer Hall المحرر السياسي في صحيفة الديلي إكسبريس ليوم ٢٣ مايو ٢٠٠٧م The Daily Express

ونص المقال: «تلقى رئيس الوزراء بالأمس صفعة؛ لأنه أضاع ما يقارب المليون جنيه على رحلته الوداعية، وهذه الفاتورة بناء على تقديرات الوايت هول The White Hall، وهذا المبلغ يعادل نصف ما أنفقه العام الماضي على زياراته الخارجية.

وقد وصفت التقارير هذه الرحلة التي استغرقت ستة أسابيع بأنها لإشباع الرغبات الذاتية أو المتعة، وكانت التقديرات وفقاً لرحلات مشابهة. وقال الناقدون إن هذه الرحلة جاءت ليؤكد بلير مكانته كزعيم عالمي أكثر منها لمصلحة بريطانيا.

وقد بدأ رحلته الوداعية بزيارة عدد من المدارس في بريطانيا، ممتطياً طائرة مروحية تابعة للبحرية الملكية، وقد كلفت خمسين ألف جنيه، وقام بزيارة للبيت الأبيض بواشنطن، مستخدماً طائرة نفاثة خاصة، تقدر تكاليفها بنحو مائة وتسعة وثمانين ألف جنيه. وفي نهاية

Twitter: @ketab_n

الأسبوع، زار القوات البريطانية المرابطة في بغداد والبصرة، وتكلفة الرحلة مائة وخمسون ألف جنيه، ومن المقرر أن يعقد لقاء قمة في ألمانيا، ويكلف ذلك خمسين ألف جنيه. وسوف يزور جنوب أفريقيا ودولاً أفريقية أخرى للدعاية لجهوده في محاربة الفقر والمرض والجهل. ومثل هذه الرحلات ستكلف خمسمائة ألف جنيه. وقال أحد النواب من المعارضة وهو ديفيد كاميرون: إن بلير يتصرف كأنه نجم سينمائي.

وقال وزير المواصلات في حكومة الظل كريس جرايلنج Chris Grayling إنه في الوقت الذي تعاني الخدمات الصحية شح الوظائف يقوم بلير بإنفاق المال لتلميع صورته. وقال ماثيو إليوت Mathew Elliot من تحالف دافعي الضرائب: «إذا كان بلير يريد أن يقضي أيامه الأخيرة يصافح الزعماء العالميين فقد كان عليه أن يدفع تكاليف ذلك من مؤسسته الجديدة لا من أموال دافعي الضرائب الغلابا». وبالطبع لا تشمل فاتورة الرحلة الوداعية رحلة نائبة جون برسكوت إلى أمريكا والكاريبي، الذي سينتهي عمله بنهاية فترة عمل بلير كرئيس للوزراء.

جميل هذا النقد، ولكن هل يمكن لأحد أن يطالب بلير بأن يسدد فاتورة هذه الرحلة؟وهل كان على بلير أن يستشير حكومته قبل أن يقوم بالرحلة؟ هل من الديمقراطية أن يتكلم من يريد أن يتكلم دون الخوف من الاعتقال والسجن، ولكن لا شيء يتغير في الواقع.

بلير يتلقى الإهانة في مجلس النواب:

كان بلير قد صرح بأن الصحافة قد أسهمت في الحط من قيمة البرلمان، فانبرى له أحد البرلمانيين قائلاً: سيدي أنت الذي حططت

Twitter: @ketab_n

من قيمة البرلمان بتصرفاتك، ولدي تسعة أدلة على إهاناتك المستمرة لهذا البرلمان، ومنها ما يأتي:

١- أنت أقل الرؤساء مشاركة في التصويت في البرلمان منذ الحرب العالمية الثانية، وهذا يعني أنك لا تحترم البرلمان الذي يسن التشريعات للبلاد.

٢- لم تتحدث في البرلمان أو في مجلس العموم سوى أربع مرات، عدا تلك المرات التي كانت في حضور الملكة، ودافعت فيها عن سياستك في العراق.

٣- حولت مساءلة رئيس الوزراء من مرتين في الأسبوع إلى مرة واحدة.

٤- قدمت عدداً من التشريعات يزيد بنسبة ٢٢٪ أكثر من السنوات العشر الماضية، وهو عدد كبير من المشروعات، فلم تتح الفرصة للنواب أن يناقشوا تلك التشريعات نقاشاً جيداً.

٥- ألغيت منصب اللورد المستشار.

٦- حددت مواعيد التصويت على المشروعات، فلم يكن لدى الأعضاء وقتاً كافياً لمناقشتها.

٧- شجعت الوزراء على إعلان سياسات على محطة الإذاعة الرابعة دون الرجوع إلى البرلمان.

وفي إحدى النقاط، وهي مشاركة بلير في التصويت هناك مثل فرنسي يقول: إن المطعم الجيد هو الذي يأكل فيه صاحبه، وأنت لم تشارك في تصويت البرلمان إلاّ مرات قليلة جداً، مما يدل على أنك أنت الذي لم تحترم البرلمان.

Twitter: @ketab_n

بلير سوف يتعرض للمساءلة بعد انتهاء الحصانة:

كتبت إحدى الصحف أن رئيس الوزراء المتنحي سوف يتعرض للمساءلة في قضية مالية ما، ولكن بعد أن تزول عنه الحصانة الوزارية والحصانة البرلمانية. ولكن متى سيكون ذلك؟ لم تحدد الصحيفة الأمر.

تركيا والصراع الداخلي

قبل أكثر من ثلاثين سنة حضرت دورة إدارية عقدتها الخطوط السعودية في إسطنبول (مجموعة من الموظفين جاءوا ليقيموا أسبوعاً في إسطنبول ليستمعوا إلى مدربين أمريكيين في الإدارة في فندق كارلتون في إسطنبول، لماذا ترشيد النفقات...؟!!!). وكان من ضمن البرنامج القيام بزيارة سياحية كان من ضمنها: أن أطلعنا الدليل السياحي على خريطة لتركيا ضمن خارطة أوروبا، وقال: إن دولة هي الدولة الرابعة أو الثالثة من حيث المساحة في أوروبا، فقلت له: لماذا تقارنها بأوروبا، وليس من تركيا ضمن حدود أوروبا سوى جزء صغير جداً من إسطنبول)؟ فقال: نحن أقرب لأوروبا، فقلت له كلاماً قاسياً على هذا التفكير. والآن ها هي تركيا تسعى إلى الانضمام للسوق الأوروبية المشتركة أو الاتحاد الأوروبي، ولذلك تتعدد المقالات حولها. وقد قمت بترجمة معظم مقالة لأحد الكتاب في صحيفة الجارديان هو جوناثان ستيل Jonathan Steele المقيم في إسطنبول يوم ١٥ يونيه ٢٠٠٧، وفيما يأتي ترجمتها:

هل الإسلاميون مخلصون لقوميتهم التركية؟ من الأمور التي تثير القومية التركية الصفعات التي تلقتها تركيا على الوجه من رئيس

Twitter: @ketab_n

فرنسا ساركووزي، ومن أنجيلا ميركل مستشارة ألمانيا ضد انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى العداء لأمريكا الذي بدأ يزداد بين صفوف قيادات الجيش أكثر منه بين الإسلاميين. وعندما أعلن الحزب الحاكم ترشيح عبد الله جول لمنصب الرئاسة خرجت المظاهرات بلافتات تقول: لا نريد أي عبد الله رئيساً.

وارتفاع النعرة القومية إنما هو عنصر واحد ضمن عناصر الصراع داخل تركيا. وقد اتضح هذا في المظاهرات، التي خرجت في أربع مدن تركية، وكان أكبرها قد جمع مئات الآلاف، ولم تشهد تركيا مثلها منذ أجيال ضد الإسلاميين، تطالب بحماية تركيا من حكم الإسلاميين.

ويبدو أن الموضوع غريب، فالحزب الإسلامي يحكم تركيا منذ خمس سنوات، حقق الأتراك خلالها نمواً اقتصادياً متميزاً، والحكومة تتطلع للانضمام للاتحاد الأوروبي، وقد أجرت تغييرات مهمة لدعم الحقوق المدنية، وزيادة حقوق النساء وليس التقليل منها.

ولكن في تركيا يعد الرئيس هو حارس البوابة، فلديه الحق في استخدام حق النقض أو الفيتو ضد أي تشريع، ويملك الصلاحيات لتعيينات مهمة في القضاء وفي التعليم (رؤساء الجامعات مثلاً). وبوجود رئيس الدولة ورئيس الوزراء من الإسلاميين، فإن آخر باب لتغييرات كاسحة سوف يفتح.

وكانت المظاهرات تحمل تخوفاً من أن الإسلاميين سوف يطبقون الشريعة، أو يقلبوا الحكم ضد الحجاب في المدارس وفي الجامعات والمكاتب الحكومية، فبدلاً من أن يكون الوضع بمنع أي امرأة ترتدي

Twitter: @ketab_n

الحجاب، سيكون القانون أنه لا يسمح لأي امرأة من دخول الجامعات والمكاتب الحكومية إن لم تكن مرتدية الحجاب. فزوجة جول نفسه ترتدي الحجاب، ولا يتصور الأتراك (لا يهضمون) فكرة أن تكون السيدة الأولى ترتدي الحجاب.

وقد أعد البروفيسور بيناز توبارك Binnaz Topark أستاذ العلوم السياسية في جامعة مرموقة تدرس بلغتين عدة دراسات عن الرأي العام يكذب مخاوف العلمانيين؛ فالأتراك الذين يريدون حكماً إسلامياً قد انخفض من ٢٠٪ عام ١٩٩٩م إلى ٩٪ في العام الماضي. والنساء اللاتي يحتجبن قد انخفض من ٧٤٪ عام ١٩٩٩م إلى ٦٤٪ في العام الماضي، وهي حقيقة لا تخطئها العين حتى في الأحياء المحافظة من إسطنبول، حيث ترى الأم تسير في الشارع متحجبة، بينما بناتها يسرن وقد كشفن شعورهن السوداء أو المصبوغة. وهذا يظهر أن المجتمع المدني أيضاً حريص على الدولة، وليس الجيش الذي أصدر أكثر من تحذير، كأنما يريد أن يقول: إن السلطة لا تزال بأيدينا.

هذه المظاهرات يمكن أن تعطي انطباعاً خاطئاً بأن تركيا منقسمة بين الإسلاميين والديمقراطيين، وفي الحقيقة فالعلمانيون يميلون إلى أن يكونوا ضيقي الأفق وقوميين وأكثر نخبوية من الحزب الإسلامي، فالمتظاهرون كانوا أساساً من الطبقة الوسطى والوسطى العليا، وفيهم عنصر مهم ضد الهجرة من الأرياف إلى المدن.

والرمزية مهمة هنا، فالحزب الإسلامي لم يفعل شيئاً، لمضايقة المؤسسات العلمانية، ويقول مصطفى إيكل (صحفي إسلامي شاب)

Twitter: @ketab_n

مهاجماً الأصولية العلمانية وطريقة تعريف أتباعها للجمهورية العلمانية بأنها جمهورية للناس العلمانيين، وليست جمهورية لكل المواطنين.

والخطأ الآخر هو إثارة قضية الصراع بين الإسلام والتحديث، فقد استطاع الإسلاميون كسر كثير من الحواجز ابتداءً من القضية الكردية إلى القضية الأرمنية، فهم أكبر أوروبيين وعولميين من النخبة القديمة. إن القضية الحقيقية هي: هل يستطيع الكماليون تحديث معتقداتهم أو أفقهم ببناء حزب متطور وواسع الأفق. ومن ثم هل يستطيعون المنافسة مع الإسلاميين الذين لا يعتمدون على التفرقة الطبقية أو على الجيش ليضرب طاولة الشطرنج كآخر الحلول.

أما تعليقي على المقال فهو أورد حقائق عن إنجازات الحزب الإسلامي، وعن تفتح الإسلاميين ومعرفتهم بطبيعة الشعب التركي، وعدم مصادمة الواقع الذي يعيشونه، وينتقد الكماليين. ولكن مأخذي على مثل هذه الكتابات أنه أشار إلى أستاذ جامعي وبحوثه دون توثيق (غالباً لا يطلب التوثيق في الصحافة)، ولكن عندما تكون المسألة تتناول قضايا حيوية مثل توجه المجتمع وميوله. والحكم على التيارات الفكرية من خلال بعض المظاهرات، وهذه من العيوب المنهجية الانتقائية في الأدلة والشواهد. وأود أن أضيف أن مندوب الاتحاد الأوروبي والسفير البلجيكي في اليابان صرح بصعوبة أو حتى استحالة دخول تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، ليس لأنها دولة مسلمة، ولكن لأن لتركيا ارتباطات تاريخية، فهي قد كانت إلى عصر قريب إمبراطورية كبرى، ودخولها يعني أنه سيكون لها نفوذ كبير. ولكن أيضاً كانت مسألة الانضمام

Twitter: @ketab_n

للاتحاد الأوروبي دافعاً لتركيا لإجراء تحسينات حقيقية في قضايا حقوق الإنسان، جميل لو يكون مثل هذا في بعض دول العالم العربي والإسلامي.

سلمان رشدي لا يستحق اللقب، وهذه هي الأسباب:

نشرت كاتبة من أصل إيرلندي، اتخذت بريطانيا موطناً لها، مقالة تتناول حصول سلمان رشيد على لقب السير أو الفارس، وهو من الألقاب التشريفية التي تمن بها الملكة على رعاياها في مناسبة عيد ميلادها، والمقالة نشرت في صحيفة الديلي ميل The Daily Mail يوم ١٩ يونيه ٢٠٠٧م، فوصفت رشدي بأنه شخص مهووس بنفسه وباحث عن الأضواء والشهرة، وناكر للجميل. وقد ذكرت أن كتاباته لا ترقى إلى مستوى الأدب الرفيع، فعندما فاز بجائزة الكتاب عام ١٩٨٠ على روايته (أطفال منتصف الليل) حاولت مراراً أن تقرأها فلم تستطع تجاوز الصفحة الخمسين.

وذكرت كيف أنه في كتاباته وفي عهد تاتشر شتم رئيسة الوزراء وسخر منها، وسماها السيدة (تعذيب) Torture وتاتشر نفسها هي التي أمرت بسحب السفير البريطاني من إيران، وطردت القائم بالأعمال الإيراني، ثم أمرت بأن توضع جميع الإمكانات لإبقائه حياً. وقد كلفت تلك الحماية أكثر من عشرة ملايين جنيه. ويزعم رشدي في مقابلة إن مبيعات كتبه والضرائب التي حصلت عليها الحكومة تفوق هذا المبلغ ومن ثم ليس لهم فضل في حمايته. وتقول الكاتبة: إنها أصيبت بالدهشة عندما علمت أن رشدي حصل على هذه الجائزة.

Twitter: @ketab_n

فهذه الأمة التي ينتقدها ويحتقرها هي التي تضفي عليه ألقاب الشرف والرفعة والمكانة!!!

وقالت الكاتبة: إن رشدي يكره بلاده الهند، ويزعم أنه مسلم يفهم الإسلام بعمق، ومع ذلك يكتب عن هذا الدين ما يعد كفراً، يستحق معه عقوبة القتل، فلماذا يفعل هذا؟ إلا أن تكون مراهقة المثقف أو مشاغبة. ولم تكن كتاباته تستحق الاهتمام، وهذا ما لقيه رشدي دائماً من نقاد الأدب في الساحة الأدبية البريطانية، وهو الأمر الذي يزعج رشدي، ويجعله يحقد على الساحة الأدبية.

فما السبب أن يتحدث بلير عن دعم دراسة الإسلام، ويدافع عن المسلمين المقيمين في بريطانيا، وأنهم يسعون إلى خدمة مجتمعهم، ثم بعد أيام يعلن إعطاء سلمان رشدي تلك الجائزة؟ فإما أنهم غير صادقين في الأولى ومخادعين وماكرين وكاذبين وأغبياء. وأي عقل لدى رؤساء الدول من ميجر إلى كلينتون حين قابلوا رشدي؟ أو إنهم أمنوا غضب العالم الإسلامي الحقيقي فأساءوا الأدب. وأخيراً فالذين أعلنوا فتواهم بهدر دم رشدي يعرفون أنهم كانوا يستطيعون فعل ذلك دون ضجة إعلامية إن كانوا صادقين، وإلا فهم شركاؤه في شتم الإسلام، لأنهم وفروا له أسباب الشهرة.

على الرغم من أن قضايا الأمم والشعوب الأخرى لا تحتل مساحة واسعة في الصحافة البريطانية أو الصحافة الغربية عموماً، إلا أنني استطعت أن ألتقط بعض هذه القضايا خلال فترة إقامتي في مدينة إكستر. وحبذا لو قام باحثون من عندنا بدراسة اهتمام الشعوب

Twitter: @ketab_n

الغربية وصحافتها بالأمم والشعوب الأخرى. أعرف أنه ثمة دراسات عن التغطية، التي تنالها قضايا العالم الإسلامي، وبخاصة الصراع مع يهود على أرض فلسطين، وثبت التحيز الكبير لمساندة إسرائيل، كما أثبتت ذلك العديد من الدراسات، ومنها دراسة كنت قد أشرت إليها في تقرير لي عن ندوات المعهد الجامعي الأوروبي، التي تعقد سنوياً في مدينة مونتي كاتيني بالقرب من فلورنسا (الاتحاد الأوروبي أنشأ هذا المعهد الجامعي، لدراسة قضايا أوروبية وقضايا العالم)، وتناولت فيها الباحثة مع طلابها اهتمام كبريات الصحف الأمريكية بقضية فلسطين بصفة خاصة.

وفي المقابل، ليتنا ندرس تغطية أخبار الشعوب والأمم الأخرى في صحافتنا، كيف تتم؟ هل لدينا مراسلون يتقنون لغات الشعوب والأمم الأخرى؟ أو هل ننقل تلك الأخبار من وكالات الأنباء العالمية مثل رويتر أو الأسوشيتد برس أو وكالة فرنسا؟ لقد لفت انتباهي ذات مرة أن خبراً من أعماق أفريقيا تنقله مراسلة لهيئة الإذاعة البريطانية من تلك الدولة الأفريقية. فتعجبت لمغامرات تلك النساء والمراسلين عموماً، فأين نحن؟ صحيح أننا نقصر أحياناً في نقل أخبارنا المحلية، لأن لنا اعتبارات كثيرة في كيف تنقل الأخبار، ولكن متى نتعلم مهنة الصحافة، ونضع لها معايير خاصة تناسب قيمنا ومعتقداتنا وثوابتنا؟ متى؟ متى؟

التعذيب في السجون الإسرائيلية:

كتب ستيف وايزمان Steve Wiesman مراسل صحيفة الإندبندنت The Independent يوم ٢٧ مايو ٢٠٠٧ يقول: إن الشن بيت (جهاز الاستخبارات

Twitter: @ketab_n

الإسرائيلي) يقوم بتعذيب السجناء الفلسطينيين بطريقة روتينية مخالفة بذلك قرار المحكمة لعام ١٩٩٩م. فالمحققون يضربون المتهمين ويجبرونهم على الوقوف ساعات طويلة في أوضاع مؤلمة، ويحرمونهم من النوم مدداً طويلة، وذلك وفقاً لتقرير مكون من ٩٦صفحة بعنوان: (محرم تماماً) Absolutely Forbidden بقلم ب. تسيلمTselem ومركز الدفاع عن الأفراد. The Center for the Defense of the Individual

جميل أن تكتب الصحافة البريطانية شيئاً عن حقائق ما يحدث في إسرائيل، ولكن هذا لا يؤثر كثيراً في سياسات الحكومات الغربية عموماً التي تدعم إسرائيل، مع أن المقالة نشرت في زاوية محدودة وصغيرة في الصحيفة لكننا لا بد أن نشكرهم؟ وهنا أتوقف عند هذا التقرير المكون من ستة وتسعين صفحة أين هو، وما موقف الإعلام العربي منه؟ هل حرصنا على ترجمته ونقله إلى العالم؟ لا أقصد الإعلام الرسمي العربي، فإنه مشغول بما هو مشغول به. ولكن ألا يمكن أن يكون لنا إعلام حقيقي مواز للإعلام الرسمي يتبنى القضايا الكبرى للأمة؟ أين أصحاب الأموال؟ ليتهم ينفقون بعض أموالهم فيما يعود على أمتهم وقضاياه بالخير، ومن ذلك ترجمة هذا التقرير وتوزيعه في أنحاء الكرة الأرضية، أقول: لعله يكون مفيداً في تغيير سياسات بعض الدول تجاه هذه الدويلة المحتلة الغاصبة. وأيضاً إن كان في عالمنا العربي من يمارس ما تمارسه إسرائيل، فلعله يخشى أن تدور الدوائر، فيفضح على الملأ، كما تفضح إسرائيل، فيرعوي ويعطي الإنسان قيمته، فلا يمارس التعذيب والتنكيل بالمواطنين.

Twitter: @ketab_n

وأضيف ليت وسائل الإعلام الغربية تعيد مرة بعد مرة فضائح دولها في بيع أدوات التعذيب إلى دول العالم الثالث، وكذلك ما تقوم به الكليات العسكرية والأمنية من تدريب الضباط والجنود من دول العالم الثالث على أساليب التعذيب، التي يسمونها أساليب التحقيق. وقد ثبتت لنا وحشية الغرب في سجون جوانتنامو وفي سجن أبي غريب، وما خفي كان أعظم وأكثر بلاء. ويعجبني أن أذكر دائماً ما يكتبه الدكتور علي المزروعي أستاذ العلوم السياسية في إحدى جامعات نيويورك عن وحشية الغرب وعنفه. -كان قد ألقى محاضرة بهذا الخصوص في إحدى حلقات مهرجان الجنادرية في الرياض - وهو ما يذكر ببعض ما كتبه سيد قطب رحمه الله عن (أمريكا التي رأيت).

Twitter: @ketab_n

المفتي الحكيم ومليون جنيه للدراسات الإسلامية في بريطانيا

دعي المفتي المصري الشيخ الدكتور علي جمعة لحضور المؤتمر الذي عقدته جامعة كمبريدج حول دراسة الإسلام في بريطانيا، فتحدث في المؤتمر حول الإرهاب والتطرف، وانتقد من يقوم بالإفتاء دون علم، مما أدى إلى تشويه صورة الإسلام. وذكر كلاماً عن بعض الذين يفتون فتاوى تدعو إلى العنف والتطرف بأنهم مخطئون. وقال كلاماً أعجب محرر صحيفة إنجليزية، فوصفه بالمفتي الحكيم.

والمفتي في مصر منصب رسمي تختاره الدولة، وقد كان العلماء المصريون ذات يوم مستقلين، فلا يتم تعيينهم من قبل السلطات. وهنا أذكر بحثاً قدمه الدكتور عبد العزيز شادي في المؤتمر العالمي الأول حول الإسلام والقرن الواحد والعشرين حول الإفتاء والسياسة. وكان فحواه: أن المفتين في بلادنا يقدمون للحكام الفتاوى المفصلة، ويمتنعون عن الفتوى في قضايا أساسية. وسواء أعجب المفتي الصحافة الإنجليزية لنبرته المعتدلة وحكمته فهذه مسألة، ولكن المؤتمر نفسه تمخض عن

Twitter: @ketab_n

اعتماد بلير وهو يغادر الحكم بمليون جنيه لتدريس الإسلام. وكأن القضية أن المليون جنيه ستأتي برأس كليب. أو بعدها سيفهم الإنجليز الإسلام أيما فهم، فلا يعود بيننا وبينهم أي مشكلات. ما المليون جنيه يا توني بلير؟ كم تنفقون على قواتكم في أفغانستان وفي العراق؟ وكم نصيبكم الآن من ثروات العراق ومن نفطه ومن مشروعاته ومناقصاته؟ وكم نصيبكم من الثروات في البحر الأسود؟ هل حقاً أزعجهم تطرف طالبان أو أن المسألة أكبر من ذلك؟ هل أقض مضاجعهم أن النساء في أفغانستان كن لا يعملن في التمثيل أو عروض الأزياء أو لا يخترن ملكة جمال أو لا يذهبن إلى المدارس؟ إن أفغانستان أسوأ مما كانت قبل خمس أو ست سنوات. لقد ازدادت تجارة المخدرات، وذهب الأمن الذي كان موجوداً إلى حد ما، وحلت محله الفوضى، وغزت أفغانستان جيوش الجامعات ومراكز البحوث الأجنبية وإرساليات التنصير وغيره.

يمكن أن يكون البعض قد فرح بالمليون جنيه، ولكن الجامعات البريطانية ترفض أن يتدخل أحد في توجيه طريقة تدريسها للإسلام. وهل تدريس الإسلام يمكن أن توضع له الحلول في مؤتمر واحد؟ حتى هذا المؤتمر عقد بأجندة سياسية، حيث كتبت الصحف أن حضور المؤتمر كان مقتصراً على مؤيدي سياسات توني بلير. ولو كانت الحكومة البريطانية قد كلفت معهداً إسلامياً بإعداد دراسة عن تدريس الإسلام في الجامعات البريطانية، فهذا المعهد أصبح جزءاً من المنظومة التعليمية البريطانية، وأن الذين يعملون فيه يعيشون في بريطانيا منذ عشرات السنين، فيغيب عنهم ما يعرفه من يزور بريطانيا من الخارج

Twitter: @ketab_n

ليتعرف على ما يدور في هذه الجامعات. لقد اشتكى عطاء الله صديقي وهو الشخص الذي ترأس فريق إعداد الدراسة من أن دراسة الإسلام طغى عليها الاهتمام بدراسة الشرق الأوسط، وأهملت الدول الإسلامية الأخرى. كما أشار إلى غياب العلاقة بين المجتمع المسلم والجامعات التي تدرس الإسلام. وطالب بوجود مرشدين دينيين للطلاب المسلمين وتوفير الأكل الحلال، وتوفير أماكن للصلاة والعبادة ومراعاة شعائر المسلمين؛ لأن كثيراً من طلاب الدراسات الإسلامية هم من المسلمين سواء البريطانيين (قلة) أو من خارج بريطانيا. وأسهب التقرير في شرح مسألة توفير الأئمة والمرشدين.

ولكن القضية في نظري أن الإسلام لا يدرس تدريساً صحيحاً، و لا يتم اختيار الموضوعات التي تتناول الإسلام بعمق. ففي أحد المعاهد لا يتوافر أي أستاذ يدرس الإسلام؛ أي يدرس الكتاب والسنّة، حتى إنني حضرت اجتماعاً للجمعية الإسلامية في جامعة إكستر، وكانت تتحدث إحدى الطالبات أو رئيسة الجمعية عن العقيدة الإسلامية، وبخاصة في مسألة الصفات من خلال ما قرأته من موقع الأزهر، وما يقوله الأزهر عن العقيدة الأشعرية، وينافح عنها بقوة وعنف. ولست في صدد الرد على ذلك، ولكن هل يمكن أن يكون موقع للإنترنت هو مصدر المعرفة الوحيد؟ لماذا لا يكون الطلاب الذين يدرسون الإسلام يتقنون اللغة العربية، ويدرسون مواد العقيدة والكتاب والسنة باللغة العربية؟

Twitter: @ketab_n

مؤامرة في الجامعة أو مؤامرة الجامعة

دخلت إلى المكتبة التجارية لجامعة إكستر، وهي مغامرة مكلفة أو باهظة الثمن، فالكتب مرتفعة الأثمان. ففي حسابات رواتبنا ودخولنا في السعودية لا يمكن للإنسان أن تكون لديه مكتبة، إلاّ إذا كانت هناك تخفيضات أو كتب مستعملة، والأستاذ المتفرغ موعود بعشرة آلاف ريال للكتب بعد انتهاء سنة التفرغ بنجاح، فالعجب ألا يعطى شيئاً منها قبل أن يسافر، فعليه أن ينفق من جيبه الخاص، ويا ويله إن كان سيقيم في بلد تكاليف العيش فيه مرتفعة. ولكن ما أجمل أن يعيش الإنسان بعض الوقت في جو جميل! يشعر بشيء من الراحة، لعدم وجود ارتباطات مستعجلة (عدا أنه أحياناً يقبل الباحث الارتباط بمؤتمر أو محاضرة، أو عليه أن يعمل لأنه لا حياة بلا عمل).

وفي رف للكتب المهمة عندهم، أو التي يريدون لفت الأنظار إليها، وجدت هذا الكتاب، وتعرفون أن الذي يجذب الإنسان لشراء كتاب أن يقرأ ما على الغلاف (وإن كان في الغالب دعاية)، ولكن يقرأ الفهرس

Twitter: @ketab_n

وبعض الأسطر في المقدمة، وربما في الخاتمة. وقد يفتح الكتاب على أي صفحة، ليرى هل ما في الكتاب يستحق أن يجذبه لشرائه.

اشتريت الكتاب، وبدأت القراءة، ففيما يأتي ملخص لما جاء فيه:

أستاذ جامعي يقترب من الستين من العمر درس العقيدة النصرانية، ومتخصص في الأخلاق (النصرانية طبعاً)، وله كتابات مشهورة عديدة، وبخاصة كتابه (علم الأخلاق النصرانية)، الذي يعد كتاباً منهجياً ومرجعاً في هذا المجال. وهو من أسرة ثرية؛ فأبوه كان من أكبر تجار الكافيار، وقد ورث ثروة ضخمة، كما أنه متزوج امرأة من الطبقة الأرستقراطية، فأبوها يحمل لقب سير، وثري.

في يوم من الأيام يدخل الأستاذ قاعة المحاضرة فيجد طالبة متبرجة، لا تكاد تستر جسمها، تطرح عليه سؤالاً في نهاية المحاضرة، ثم تطلب موعداً للقائه بعد المحاضرة لأمر يخص الدراسة. فيعطيها الموعد، وعندما يلقاها تعرض عليه أن يقبل موضوعاً، تزعم أنها كتبته في جامعة أخرى لمادة من المواد التي يدرس مثلها في هذه الجامعة. فيأخذ الموضوع ويطلب منها العودة في اليوم المقبل. وعندما جاءته في اليوم المقبل أخبرها أن الموضوع جيد، ولكنه لا يرقى إلى أن يقبل بدلاً من الاختبار في تلك المادة، التي تريد الإعفاء منها، وحذرها من أن الموضوع إن كان مأخوذاً من الإنترنت، فهناك وسائل لكشف ذلك، وتعد جريمة يستحق الطالب معها الطرد من الجامعة. وكانت الطالبة في أثناء اللقاء تعرض مفاتنها، وزادت على ذلك، بأن تحرشت بالأستاذ بقولها: إنه لن يندم إن وافق لها على طلبها. ولكنه كرر الرفض. وخرجت غاضبة.

Twitter: @ketab_n

ولم تمض أيام حتى كانت الطالبة قد تقدمت إلى الجامعة بشكوى أن الأستاذ تحرش بها جنسياً، فما كان من العميد إلاّ أن وجه للأستاذ خطاباً يطلب فيه المثول أمام الإدارة للاستماع لأقواله وروايته لما حدث. فكان الأمر كما يقول القانونيون: كلمتها مقابل كلمته، فليس لديها دليل على ما فعل، وليس لديه دليل على تحرشها أو أقوالها الإغرائية له. وعرف من خلال معارف له من العاملين في مجال المؤسسات الدينية اليهودية، أن هذه الفتاة ابنة أحد الأثرياء اليهود، الذي يعمل في صناعة حمّالات الصدر النسائية، ولديه أكبر المصانع في هذا المجال. أما ابنته فقد كانت لها قصة شبيهة في لندن، وأن الشخص الذي اتهمته وجد وظيفة في مكان آخر، فانهزم أمام تهديدات والدها. وأن والدها مستعد لوعد الجامعة بالتبرع، ولكن هذه التبرعات في البريد أو في الطريق، فهو ماهر في إعطاء الوعود، ولكنه قليلاً ما يصدق. وفي هذه الجامعة مثلاً أرسل يعدهم بإنشاء كرسي لدراسة الأخلاق في النصرانية عندما تتخرج ابنته باسم والدته، ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك، وابنته تتعرض للتحرش الجنسي، لا بد من معاقبة الأستاذ أولاً. ولكن الأستاذ بريء، ولا يريد أن يتقاعد ليفرح والد الطالبة . .

وبعد أن انتهت قصة الطالبة أصبحت للأستاذ شعبية في الجامعة، فزاد عدد الطلاب المسجلين معه في إحدى المواد إلى ثلاثة أضعاف، وعلى الرغم من أن له كتاباً منهجياً في الموضوع، ولكنه لا يستطيع أن يطلب منه شراء الكتاب، ومن ثم طلب من أمينة المكتبة المساعدة، وهي بالمناسبة زوج مسجل الجامعة أن تطلب نسخاً إضافية في المكتبة، وتضع عدداً منها في غرفة المراجع. وتلكأت ولم تستجب على الرغم من

Twitter: @ketab_n

رسائله الإلكترونية المتكررة لها. ولما فاض الكيل وزادت طلبات الطلاب على الكتاب، أرسل لها رسالة يوجهها إلى أداء عملها، وهنا اشتكت إلى العميدة أن الأستاذ تجاوز قدره، وأنه أغضبها، وتعدى على كرامتها، وأنها مشغولة في أمور كثيرة. وهنا قامت قيامة الجامعة، فدعي إلى جلسة تأديبية، فكيف يتجرأ على إزعاج المسؤولين (المحترمين- زوجة المسجل) ووجه إليه لفت نظر.

ولفت النظر الشفوي مدته سنة، فإن استطاع أن يحافظ على السلوك الطيب خلال السنة، وإلاّ وجه إليه لفت نظر كتابي ومدته سنتان، وهكذا حتى يصل الأمر إلى طرده. وما إن انتهت ضجة زوجة المسجل موظفة المكتبة، حتى قامت الطالبة اليهودية بإنشاء علاقة حب مع طالب الدكتوراه، الذي يشرف عليه الأستاذ، وقد كان من طلابه المميزين، الذين يعتني بهم عناية خاصة. وهذه العلاقة الغرامية أصبحت سلاحاً في يد الطالبة وأبيها، حيث تقدم الطالب بشكوى إلى الجامعة أن الأستاذ المشرف لا يقوم بعمله كما ينبغي، فلا يوجهه التوجيه الصحيح، ولا يقرأ له ما يكتب، ولا يعطيه مواعيد لمقابلته، ومن ثم فإن الطالب يطلب أن يغير المشرف بمشرف آخر. وهنا انزعجت الإدارة فلا بد من التحقيق. فجاء الأستاذ ومعه مستندات لكل المقابلات التي تمت مع الطالب والأوراق التي تثبت قراءته لكتابات الطالب والتصويبات التي طلبها من الطالب. فهنا أسقط في يد الجامعة والطالب. فما كان من الأستاذ إلاّ أن طلب أن ينقل الطالب إلى مشرف آخر، فلا يستطيع أن يكمل معه المشوار، وهو الذي فضل التآمر مع الطالبة اليهودية وأبيها ضد أستاذه.

Twitter: @ketab_n

وظهرت مشكلة أخرى: أن هذا الأستاذ كان ممتحناً داخلياً لطالب دكتوراه، فلما قرأ الرسالة كتب تقريراً: إن الرسالة فيها عيب أساس، وهو أن الطالب لم يتعلم اللاتينية، وهي لغة ضرورية لمن يريد أن يبحث في العهد القديم، ومن ثم وقع في أخطاء جسيمة. وهنا قال له المشرف الممتحن الداخلي مهمته أن يسعى إلى نجاح الطالب لا عرقلته، بل عليه أن يقف في وجه الممتحن الخارجي إن أراد ترسيب الطالب. فما عليك إلاّ أن تقدم قائمة بالأخطاء، ليصلحها الطالب ثم تناقشه. قال: لماذا تقبلون طالباً ليست لديه القدرة لتعلم لغة ضرورية في البحث؟ فعرف أن الجامعات تسعى إلى الحصول على طلاب الدكتوراه من أجل الرسوم، وأن عدد الحاصلين على الدكتوراه من الجامعة يعطيها نقاطاً، ومن ثم تحصل على معونة الدولة. فقال لهم الأستاذ هنا: (سلام على البحث العلمي، وعلى الأمانة العلمية، وعلى المعايير الأكاديمية، ابحثوا عن مناقش داخلي آخر...).

وكانت القصة الأخيرة أنه تلقى رسالة بالبريد الإلكتروني من أحد أعضاء اتحاد الأساتذة، فرد عليها (الرد على الجميع) دون أن يعي، وقال فيها كلاماً يصف المسؤولين في الجامعة بالفساد والجهل، ويتهمهم بشتى التهم. ولما وصلت الرسالة إلى الجميع استشاط المسؤولون غضباً، وعلى رأسهم نائب رئيس الجامعة. فكان لا بد من عقد جلسة تأديبية له على هذا الخطأ، وإن كان غير مقصود، وهو مستعد للاعتذار، ولكنهم أصروا ووجهوا له لفت نظر كتابي، بل هددوه بالفصل، لولا أن تدخل مندوب اتحاد الأساتذة وهدد الجامعة بأنهم سيثيرون عليهم الرأي العام وأن المسألة لا تستحق كل هذا.

Twitter: @ketab_n

وهنا جاء دور التفاوض للحصول على التقاعد المبكر، وزيادة راتبه التقاعدي، وإعطائه سنة تفرغ براتب كامل، فوافقت الجامعة، لأن اليهودي الثري كان قد وعدهم بإنشاء كرسي لدراسة الأخلاق أو غير ذلك. وكان المقصود بهذا المنصب هو خطيب ابنته والطالب السابق لدى هذا الأستاذ. وبالفعل قبلوا شروطه وأعطوه ما أراد. ولكنه في هذه الأثناء كان قد حصل على منصب أستاذ شرفي في جامعة أمريكية براتب مائة وخمسين ألف دولار سنويا ومنزل وغير ذلك من الامتيازات.

أما الطالبة اليهودية فقد هربت مع طبيب يكبرها بثلاثين عاماً متزوج ولديه أطفال، وقيل: إنها زارته لتحصل على تقرير طبي لإعفائها من امتحان من الامتحانات، وأغرته فأعطاها التقرير، ونشأت بينهما علاقة جعلتها تترك الشاب إلى هذا الطبيب. ولكن الجامعة قد تورطت فأعلنت الوظيفة، ولكنها كانت مخصصة لهذا الطالب الذي تخرج وأصبح أستاذ كرسي، وهو في بداية حياته، وهنا تراجع اليهودي عن التبرع؛ لأن ابنته لم تعد في الجامعة. ولكن فاز ذلك الطالب العاق دون أستاذه بالوظيفة، وخسرت الجامعة أستاذا متمكناً، لأنها طمعت في أموال لم تحصل عليها أبداً. وقاتل الله الطمع.

بعد أن حصل الأستاذ على ما يريد من جامعته من حيث التقاعد المبكر وسنة التفرغ مدفوعة الأجر، واقتربت بداية العام الجديد أبلغ جامعته الأولى أنه سوف يسافر إلى الولايات المتحدة لتولي منصب أستاذ شرفي في إحدى جامعاتها للتدريس هناك وإلقاء المحاضرات. فأسقط في أيديهم، حيث لو عرفوا بالترتيبات القادمة لما وافقوا له على

Twitter: @ketab_n

سنة تفرغ، ولكنه سيحصل على راتبين: أحدهما من جامعته الأولى، والثاني من الجامعة الأمريكية، ولكنه وفقاً للقصة تبرع براتب التفرغ لاتحاد الأساتذة. وهذا الاتحاد كان قريباً من الأستاذ في كل قضية يدخل فيها مع الجامعة في مشكلة.

فالسؤال هل الاتحادات هذه نعمة أو نقمة؟ بدت لي من خلال القصة أنها أشعرت الجامعة بأن الأستاذ لديه من يقف بجانبه، فهناك من يدافع عن حقوقه ويوقف الظلم عند حدّه. بل إنهم في المرحلة الأخيرة التي كادوا يتخذون ضده قراراً بالفصل تدخل مندوب الاتحاد بقوة ليهدد الجامعة بفضحها على رؤوس الأشهاد، وبخاصة أن أعضاء الاتحاد هم أساتذة أيضاً، ومطلعون على كثير من معايب الجامعة، التي يمكن أن تسبب لها حرجاً. والأمر الثاني الذي يدعم موقف الاتحاد أن الأستاذ الذي يتعرض للظلم له مكانة علمية مرموقة، وله علاقات واسعة بوسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز؛ فقد ظهر على شاشات التلفاز في العديد من البرامج. كما أن هذا الأستاذ نال جائزة قومية تسلمها من الملكة في حفل عام، وتحدثت معه الملكة عن كتابه الجديد، الذي يزعم أن عنوانه (فوائد الأنانية)، فسألته الملكة: هل أنت ترى أن الأنانية شيء إيجابي؟ فرد عليها بأنها أحياناً مفيدة، ولم يكن ثمة وقت للتفصيل. ولعل القصة لم تفصل في هذا الأمر حتى لا تكتشف هوية الأستاذ.

وغادر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فأقيمت حفلة كبرى على شرفه، وكانت أيضاً في يوم عيد ميلاد زوجته، ولقي ترحيباً غير عادي في تلك الجامعة. ولم تكلفه الجامعة إلاّ بمادة واحدة وبعض المحاضرات

Twitter: @ketab_n

هنا وهناك. واكتشف في أمريكا كثيراً من الأمور عن نظام الجامعات الأمريكية؛ فهذه الجامعة التي التحق بها تفرض رسوماً عالية للدراسة فيها، ومعظم الطلاب يستطيع آباؤهم أن يتحملوا تلك الرسوم، كما أن الجامعة تقدم منحاً لنسبة من الأقليات العرقية من عدد الطلاب، حتى تستطيع أن تصل إلى النسبة التي حددتها الحكومة لقبول أبناء الأقليات، وهي عشرون بالمائة من الطلاب، ومن ثم فبعضهم لا يكون مستواه مقبولاً. وهناك الطلاب الفقراء الذين يتحملون مصروفاتهم، فهؤلاء هم الطلاب الحقيقيون، الذين يجعلون للعملية التعليمية قيمة ومعنى عند الأساتذة. والصنف الأخير من الطلاب هم أعضاء الفرق الرياضية، فهؤلاء تبحث عنهم الجامعة وتقبلهم وتهيئ لهم فرصة الحصول على الشهادة، حتى إن تخرجوا وهم لا يعرفون القراءة والكتابة. وقد سمعت هذه الفكرة من قبل، حيث إن إحدى الجامعات في ولاية ميتشغان ألغت فريق كرة القدم فيها؛ لأن هؤلاء لا يتعلمون، وإنما يضيعون وقتهم في المباريات والتدريبات، والجامعة لا يمكن أن تمتهن شهادتها من أجلها أو تفرط في قيم التعليم العالي. ولكن هذه جامعة من بين آلاف الجامعات التي يهمها فريق كرة القدم. (هناك جامعات لها فرق كرة قدم ومستواها العلمي قوي مثل جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، التي كان يلعب في فريق كرة القدم اللاعب الأمريكي المشهور - صاحب محاكمة القرن الأمريكية أو جي سمبسون - ولكن هل كانت تتساهل مع اللاعبين لا أدري؟).

والغش في هذه الجامعة وغيرها مقبول، فالطلاب الفقراء يكتبون الموضوعات للطلاب الأثرياء أو للاعبي كرة القدم مقابل أجور عالية،

Twitter: @ketab_n

ويعرف ذلك الأساتذة والإدارة، ولكنها طريقة كسب العيش للطلاب الفقراء. والطلاب الأثرياء في كثير من الأحيان لا تهمهم العملية التعليمية، فوظائفهم مضمونة في مؤسسات آبائهم، أو حيث يستطيع آباؤهم توظيفهم بسهولة.

وأساتذة الجامعة أيضاً ينقسمون إلى قسمين: الفقراء المساكين، والأثرياء وبخاصة من كبار الإداريين. فالفقراء يعيشون في أحياء خاصة، والأثرياء في أحياء أخرى، وللأثرياء أندية رسومها مرتفعة جداً. وقد توافر لهذا الأستاذ الإنجليزي الاختلاط بالأثرياء أكثر؛ لأن الجامعة لم تستقطبه فقط لمستواه العلمي وشهرته فقط، ولكن لأنه ينتمي للطبقة الثرية البريطانية، وزوجه من أسرة أرستقراطية كذلك، وقد نال وساماً من الملكة. فكانت هذه المعلومات تسبق أي إعلان عن محاضرة له. وقد كانت أنشطته مبعثاً للحصول على التبرعات من الأثرياء الأمريكان. فاكتشف الأستاذ أنه مستغل لاستقطاب التبرعات، ولكنه وقع عقداً للعمل في هذه الجامعة ثلاث سنوات، فعليه أن يكملها.

أما الأساتذة في الأحياء الفقيرة فلهم حياتهم الخاصة، حتى إن هذا الأستاذ كان قد اشترى سيارة رولزرويس من تاجر إنجليزي يهودي مهاجر إلى أمريكا، وفي مرة زار الحي الفقير فلم يرجع حتى كانت سيارته قد تمت سرقة قطعة منها، أو النسر الموضوع في مقدمة السيارة. ولما عرف بعض الأساتذة الأثرياء عن زيارته للحي الفقير، قيل له: ما أصاب سيارتك كان خفيفاً، كان من الممكن إحداث أعطال أكبر في السيارة، فهذه الأحياء محرومة من مظاهر الترف هذه. (قرأت عن

Twitter: @ketab_n

مجموعة من الصبيان قتلوا رجلاً رجماً بالحجارة كان يلعب في ناد مع أحد أبنائه، وكان الصبية الذين قتلوا الرجل يرتدون أقنعة وما زالت الشرطة تبحث عن الجناة).

وقد ذكرت أن الجامعة لديها فريق كرة قدم، وعندما يدخل في المنافسات الكبرى فإن الجامعة تدعو كبار الأثرياء من الخريجين القدامى لحضور المباراة، فإن فاز الفريق انهالت التبرعات على الجامعة. وكان راتب المدرب (العظيم) نصف مليون دولار سنوياً، وفي تلك السنة فاز فريق الجامعة ببطولة من البطولات، فحصلت الجامعة على تبرعات بأكثر من مليون دولار، وهكذا فالمدرب يستطيع تغطية راتبه ونفقاته.

وفي نهاية القصة يروي أن فتاة أمريكية جاءته إلى مكتبه، وهي ترتدي ملابس فاضحة، مثل تلك الإنجليزية، وتريد منه أن يقدم لها خدمة معينة، وتوقف عن الكلام، وكأنه يقول: لا فرق في الفساد بين أمريكا وبريطانيا، أو إن لكل بلد فساده الخاص.

وقد لفت انتباهي عبارة لأستاذة من الفقراء في الجامعة قالتها للأستاذ الضيف: صحيح أنك متفتح، ولكن لماذا تترك زوجك مع هؤلاء الرجال الأجانب؟ فتعجبت هل من الممكن أن يفسد أحد امرأة تجاوزت الأربعين أو الخمسين ضد زوجها؟ وهل تقع خيانات زوجية بين كبار السن؟ ربما ...ولكن الحمد لله على نعمة الإسلام ونعمة الحجاب ونعمة الغيرة. وهذا يذكرني بكتاب أسامة بن منقذ (الاعتبار) الذي تحدث عن ضعف أو عدم وجود غيرة لدى الفرنجة، حتى إن الرجل يكون مع زوجه في السوق فيقابلهم صديق، فيطلب الحديث مع الزوجة

Twitter: @ketab_n

فتترك زوجها، وتذهب مع الرجل الأجنبي دون أن يشعر بأي غيرة، ولعله يطلب إليها ألا تتأخر كثيراً أو لا يقول شيئاً، وذكر أسامة قصصاً أخرى عن عدم الغيرة.

في هذه القصة، وقف ضد الأستاذ رئيس القسم وعميدة الكلية ومسجل الجامعة ونائب رئيس الجامعة. وقد فصّل في الحديث عن هؤلاء، ولكن الجامع بينهم المصلحة المشتركة، والمستوى العلمي المتواضع لرئيس القسم وعميدة الكلية، فليس لهم إنتاج علمي مهم. أما نائب رئيس الجامعة فرجل عرف بتخفيض النفقات أو ضغطها وتوفير المال للجامعة بأي أسلوب، ولعل هذا هو المطلوب. فقد عرفت هنا في إكستر أن بعض الأساتذة يملكون نفوذاً واسعاً؛ لأنهم يستطيعون أن يحصلوا للجامعة على أموال من دول الخليج بصفة خاصة، فأحدهم صديق لأحد المسؤولين في دولة خليجية استطاع أن يجذب عدداً من الطلاب للدراسة في إكستر، فهذه أموال تكسبها الجامعة بسبب صلات هذا الأستاذ.

وبعد قراءتي للقصة تساءلت هل كان الكاتب صادقاً في روايته؟ ولماذا لم يذكر اسمه؟ وهل المادة التي كان يدرسها هي فعلاً علم الأخلاق (النصرانية)؟ لماذا اختار أن يكون أستاذاً للأخلاق وأن يكون قسيساً يلقي المواعظ في بعض المناسبات في الكنائس وغيرها؟ لابد أن القارئ تتملكه أحاسيس معينة في أثناء القراءة وبعد القراءة وحتى قبل أن يقرأ الكتاب. لقد تجمع لهذا الأستاذ كثير من عناصر النجاح. ولذلك فإن الناجح لا بد أن يلقى أنواعاً من الكيد، ممن هم أقل منه نجاحاً- أذكر أن عميداً في كلية الدعوة قال لأخي: كل من يأتي للكلية يسأل عن

Twitter: @ketab_n

مازن بالاسم – ولكن هل يمكن أن تجتمع المعايب والمفاسد في المناوئين له؟ أميل إلى تصديقه، فهناك جامعات ابتليت بمثل هؤلاء. وأذكر أن الدكتور علي الغمراوي -رحمه الله - وصف مجموعة من المسؤولين في إحدى الكليات بالمرضى النفسيين، وقالها حتى باللغة الإنجليزي سيكوباتك psychopathic، بمعنى أنهم يحبون أن يؤذوا الآخرين أو أن لديهم اضطرابات نفسية.

وسألت نفسي سؤالاً لن أجيب عنه: هل يمكنني أن أكتب رواية عن تلك الأيام الخوالي التي عشتها في الجامعة؟ هل أستطيع أن أجعلها رواية؟ أعتقد أن جميع عناصر الرواية متوافرة، ولكن هل لدي المزاج للمغامرة؟ وهل يمكن أن أكتب اسمي صريحاً؟ ربما ولا أدري.....

Twitter: @ketab_n

المسلمون والمسجد في إكستر

هذا جانب لم أتحدث عنه من قبل، ولا أدري لماذا؟ ربما لأن السبب الأساس في ذلك أنني أزور المسجد في صلاة الجمعة أو في يوم السبت، حيث تحضر زوجي خديجة درساً في التجويد وقراءة القرآن. وقد أتيحت لي الفرصة للقاء الإمام مرة أو مرتين، فلم تنعقد أي صلات حقيقية بيني وبين أحد من المسلمين في إكستر على الرغم من أنه قال: إنه دخل موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق، ويعرف اهتمامي بهذا الجانب. ومن ثم كنت أتوقع أن يدعوني لإلقاء محاضرة أو أي نشاط آخر. ولا أدري هل العيب فيّ أني شخص غير اجتماعي؟ أو هل هم عازفون عن مثل هذه المعرفة والفكر، أو هل أصاب المسلمين المقيمين في بلاد الإنجليز بعض برودة الإنجليز في العلاقات الاجتماعية، فكل فرد مشغول بنفسه، لا يثق بالآخرين، أو ليس لديه الوقت لإضاعته في التعرف إليهم؟

ولكنّ للنساء درس في قراءة القرآن وتفسيره كل يوم سبت بعد صلاة الظهر ، وقد بدأت خديجة تحضره، وكان يحضره بعض النساء

Twitter: @ketab_n

الإنجليزيات اللاتي أسلمن، ورأت عجباً من حرصهن على تعلم القرآن الكريم، وعلى قراءته بطريقة صحيحة على الرغم من صعوبة ذلك على بعضهن. كما شاهدت عمق الصلات بين هؤلاء النسوة وإخلاصهن في المحبة بينهن. بل إن دروس السبت جعلت بعضهن يزرنها حين وضعت فاطمة في المستشفى، كما جئن إلى بيتنا المتواضع فأمضين وقتاً طيباً من بعد صلاة الظهر (الساعة الثانية بعد الظهر) حتى السادسة مساءً.

وهناك دروس يقيمها إمام المسجد للأطفال يوم السبت، لتعليم القرآن الكريم وبعض مبادئ الإسلام، ويحضرها عدد قليل من الأولاد والبنات.

أما خطب الجمعة فعهدي بها منذ الصيف الماضي، حيث كان خطيب الجمعة من السودان يخطب بلغة عربية جيدة، ولكن لم يكن لديه عمق فكري، حتى إذا كانت أحداث بيروت خطب عدة خطب يدعو إلى دعم ما يسمى (حزب الله)، وأنهم حقاً المجاهدون في سبيل الله، وأنهم الذين يذيقون إسرائيل الأمرين. فتعجبت من ضحالة فهمه لقضية الشيعة في تاريخ الأمة الإسلامية، وفي فهمه للقضايا السياسية الدولية. وطالب أكثر من مرة بالتبرع للبنان. وكانت هناك دعوات أخرى للتبرع لضحايا الزلزال في باكستان.

ولما انتهى الصيف وعدت مرة ثانية فكان يتقدم للخطبة إمام المسجد الرسمي، وهو شاب باكستاني متزوج من امرأة إنجليزية، ويرتدي الزي الباكستاني طوال الوقت، ورأيته مرات عديدة يسير في شوارع إكستر بهذا الزي. وعندما يغيب أو إنه ينيب عنه أحداً في

Twitter: @ketab_n

خطبة الجمعة فيتولاها أخ مهندس فلسطيني. وهم يبذلون جهداً طيباً في الخطبة ولكنها لم تقنعني. ولذلك حبذا لو أنه كان للمسلمين مجلس شورى في المدينة يتدارس مثل هذه الأمور، فينظر في السلبيات والإيجابيات، وتكون هناك فرصة لتبادل الرأي. فلماذا لا يكون مجلس المسلمين البريطاني يتعرف إلى هذه المساجد، فيدرس حاجتها من الأئمة والخطباء، فيقوم الموجود ثم يوفر لهم الدورات العلمية لترقية مستوياتهم. فمثلاً خطيبنا الرسمي -يبدو لي ذلك- (له مكتب وكأنه موظف) يخطب الجمعة بطريقة لا يراعي فيها وحدة الموضوع أو تناول القضايا المعاصرة التي تشغل المسلمين البريطانيين أو المسلمين في بريطانيا أو تتناول العلاقات بين المسلمين وغيرهم. كما أن الخطبة أحياناً تتحول إلى دردشة عامة. وربما يرى الإمام أن معظم الحضور من العوام، فيلجأ إلى هذا الأسلوب، ولكن الأفضل أن يرتفع بوعي الحضور إلى أعلى مستوى ممكن. لم يتحدث أحد منهم عن الدعوة بين البريطانيين، أو كيفية التعامل مع الجيران والزملاء في العمل، أو غير ذلك من القضايا.

وفي هذا الصيف قدم إلى إكستر شخص يبدو أنه من إرتيريا أو الصومال، وكانت أول خطبة له عن التوحيد والعقيدة بطريقة بعيدة عن العمق والتحليل. صحيح أنه تعرض لمقتضيات شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله. ولكن كان الأولى أن يعطي كل مقتضى من مقتضيات الشهادة خطبة خاصة بها، وأن يتوسع في التحليل وضرب الأمثلة. أما لغته فكانت هزيلة جداً، وما دامت الخطبة مكتوبة فلِمَ لَمْ

Twitter: @ketab_n

يقم أحد بتصحيحها؟! تسمعه يتحدث لغة إنجليزية ضعيفة جداً، أليس من العيب أن يكون الخطيب عيياً؟ ولاحظت أن الخطيب في جمعتين متتاليتين قرأ سورة الأعلى والغاشية، وهي وإن وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه كان يقرأ سوراً أخرى كالجمعة والمنافقون وغير ذلك، بل إننا نعرف الحديث الصحيح (مئنة من فقه الرجل أن يقصر الخطبة ويطيل الصلاة)، ولكن ألاحظ في الساعة التي أمامي أن الخطبة أكثر من عشرين دقيقة بينما الصلاة لا تزيد على خمس دقائق. بل أحياناً يقرأ الإمام في صلاة الجمعة صورة العصر أو مثلها. فأين الفقه يا ناس؟ وتقصير الخطبة أمر مطلوب حتى يستطيع الإمام أن يكسب انتباه الحضور، فعشر دقائق أو أقل كافية لتناول أي موضوع بعمق وقوة، فبدلاً من الاستشهاد بعشر آيات يمكن الاستشهاد بأقل، وكذلك الأمر بالنسبة للحديث.

وهناك ضعف في الخدمات التي يقدمها المركز للقادمين إلى إكستر، فتخبرهم عن مشكلة البحث عن سكن، فلا يقدمون لك لا النصيحة الحقيقية، ولا المساعدة المعقولة، كما أن الأنشطة شبه متوقفة على الدرس النسائي ودرس الأطفال. ولكن ربما هناك أنشطة أخرى لم أتعرف عليها.

أما بناء المسجد فهو في وضع سيء، يحتاج إلى إعادة بناء، وقد أعلن الإمام أن مشروع البناء سيبدأ قريباً، حيث تقدم متبرعون لإعادة البناء. ولكني أرى أن البناء أمر ثانوي بعد أن يتم النظر في إعداد الأئمة والخطباء. وأيضاً لم أر أي نشاط للمسجد أو للمركز في

Twitter: @ketab_n

معهد الدراسات العربية والإسلامية في الجامعة، على الرغم من أن عدداً من طلاب المعهد يصلون الجمع ويأتون المسجد، ولكن حتى لو كان توجه المعهد يغلب عليه التغريب والتشيع (الآن، بوجود عدد من الشيعة من الأساتذة والطلاب)، فإن ذلك لا يمنع أن يكون هناك تعاون بين الجهتين.

Twitter: @ketab_n

حبل الكذب قصير والإعلام البريطاني

كتب جوناثان ستيل Jonathan Steele المراسل المقيم في إسطنبول لصحيفة الجارديان يوم ١٥ يونيه ٢٠٠٧ عن الصراع الداخلي في تركيا، وكنت قد ضمنتها إحدى المقالات عن الأمم والشعوب الأخرى في الصحافة البريطانية، وكان في تلك المقالة قد أشار إلى أن الحزب الإسلامي التوجه استطاع أن يحقق كثيراً من الإنجازات على صعيد الاستقرار الداخلي والنمو الاقتصادي واحترام حقوق الإنسان. ومع ذلك فإن الشعب التركي يظل متمسكاً بعلمانيته، والدليل على ذلك المظاهرات الضخمة، التي خرجت لتحتج على ترشيح الحزب لعبد الله قول لمنصب رئاسة الجمهورية، وأنهم كانوا يصيحون لا نريد أي عبد الله...، وذكرت أن الكاتب استشهد بدراسات أعدها البروفيسور بيناز توبارك أستاذ العلوم السياسية في جامعة مرموقة تدرس بلغتين عدة دراسات عن الرأي العام يكذب مخاوف العلمانيين؛ فالأتراك الذين يريدون حكماً إسلامياً قد انخفض من ٢٠٪ عام ١٩٩٩م إلى ٩٪ في العام الماضي. والنساء اللاتي يحتجبن قد انخفض من ٧٤٪ عام ١٩٩٩م

Twitter: @ketab_n

إلى ٦٤٪ في العام الماضي، وهي حقيقة لا تخطئها العين، حتى في الأحياء المحافظة من إسطنبول، حيث ترى الأم تسير في الشارع متحجبة بينما بناتها يسرن وقد كشفن شعورهن السوداء أو المصبوغة. وهذا يظهر أن المجتمع المدني أيضاً حريص على الدولة، وليس الجيش الذي أصدر أكثر من تحذير، كأنما يريد أن يقول: إن السلطة لا تزال في أيدينا.

وفي الأيام الأخيرة من شهر يوليو جرت الانتخابات في تركيا، وحصل الحزب الإسلامي (العدالة والتنمية) على نسبة ٤٧ في المائة من الأصوات بزيادة اثني عشر في المائة أكثر من الانتخابات السابقة. وهنا أسقط في أيدي هؤلاء فعادوا يكتبون من جديد عن المظاهرات التي خرجت في تركيا قبل مدة قصيرة، وأنها لم تكن حقيقية، وأن المقصود منها هو إيقاف الحكومة (حكومة الطيب رجب أردوغان) من أسلمة البلاد. ومن الصحف التي تناولت هذا الموضوع صحيفة التايمز اللندنية، حيث كتبت يوم الثاني والعشرين من يوليو: «دعك من الحلويات التركية والسجاد ثمة علامات على الاقتصاد الراقي الواضحة في كل مكان من الأسواق التجارية المزدهرة إلى المدن المضاءة. لقد بلغت نسبة النمو في الاقتصاد التركي ٧ في المائة، وهو ما يجعل الأوروبيين يشعرون بالغيرة».[1]

(1) Matthew Campbell, " Turkey goes to polls in war of the veil" in The Times, Sunday July 22,2007.
"Forget about Turkish delight and carpets. Signs of a sophisticated market economy are visible everywhere from the glitzy shopping arcades to the throbbing city nightspots. The annual growth rate of 7% would be the envy of Europe"

Twitter: @ketab_n

كما أن مقالة أخرى أكدت أن ثلثي التركيات يرتدين الحجاب[1]

فأحب أن أتوقف في التحليل عند الاستشهاد بأستاذ يدرّس في جامعة مزدوجة اللغة، فهل تكون أكثر مصداقية فيما لو كانت تدرس باللغة التركية فقط؟ وما مدى مصداقية هذه الدراسات؟ هل يقصد منها التثبيط من التأييد الشعبي التركي لحزب العدالة والتنمية؟ وما المقصود من التقليل من عدد النساء اللاتي يرتدين الحجاب؟ لقد أصبحت النساء المحجبات قوة في الشعب التركي. وقد أوردت الأخبار أن النساء كان لهن دور بارز في التصويت، وأنهن يطالبن بحقوقهن.

إلى متى يستمر الإعلام الغربي في هذه اللعبة الخطيرة؟ ثم التركيز على الجانب الاقتصادي بالقول: إن النمو الاقتصادي كبير، ولكن كيف أصبح هذا النمو؟ هل هناك علامات على انخفاض الفساد في تركيا؟ هل ارتفع مؤشر الأمانة والشفافية والحرية الحقيقية؟ إننا بحاجة إلى إعلام عربي قوي ومتخصصين في الشأن التركي، وأجدها مناسبة هنا إلى أن أطالب بإنشاء أقسام للدراسات التركية والعالم التركي؟ لقد كان الدكتور محمد حرب يعمل في كلية الدعوة في المدينة المنورة، ويكلف بتدريس مواد لا علاقة لها بتخصصه، ولكنه كان يستغل وقته في الترجمة من اللغة التركية. وعاد إلى مصر وأنشأ مركز دراسات العالم التركي، فلماذا لا يكون في السعودية مثل هذا المركز؟ ولماذا لا تسعى الحكومة التركية للتعاون مع وزارة التعليم العالي في السعودية لإنشاء مثل هذا

(1) Suna Erdem Modern and chic, the young women in headscarves challenging the status quo The Times July 21, 2007 "Yet even though nearly two thirds of Turkish women cover their heads"

Twitter: @ketab_n

المركز أو حتى أكثر من مركز؟ متى نفيق في العالم العربي، فنحاول أن نعرف ما يدور في العالم بدل أن نكون عالة على المراكز الغربية؟

وهنا بدأ الإعلام البريطاني يوجه النصائح لرئيس الوزراء التركي: بألا تأخذه فرحة النصر أو مشاعر النصر، فيتصرف بطريقة قد تكون لها نتائج سلبية على حزبه وعلى البلاد. ويتساءل المرء: هل مثل هذه النصائح صادقة أو هي فقط حتى لا يمضي الحزب في طريقه التي رسمها منذ دخل عالم السياسة؟ لا شك أن فرحة النصر قد يكون لها أحياناً بعض الجوانب السلبية، فالقرآن الكريم حذر من الفرح (إن الله لا يحب الفرحين)، ولكن يجب أن نتنبه إلى ما يقوله الغربيون تماماً. كما كثرت التحليلات حول الإسلام السياسي، وكيف سيكون رد الفعل في العالم العربي.

وما زلت أذكر لقاءً تم في القنصلية الأمريكية، حيث حضر عدد من المسؤولين الأمريكيين في قسم الجزيرة العربية، ومنهم مساعد وزير الخارجية، فتحدث أحد الإخوة المثقفين السعوديين قائلاً: نعرف أنكم جئتم للترويج لضرب العراق (كان هذا قبل ضرب العراق المرة الأخيرة ٢٠٠٣م)، وأهدافكم دائماً أننا بحاجة إليكم وإلى أسلحتكم. وكان من ضمن الحديث حول نشر الديمقراطية في العالم العربي، فقال لهم: أنتم غير صادقين في رغبتكم أن توجد ديمقراطية في العالم العربي؛ لأنه من الأيسر لكم التعامل مع الحكام مباشرة، دون أن تكون هناك برلمانات، يجب أن تستشار أو تشارك في صناعة القرار. ولذلك عندما تتعاملون مع المسؤولين الإسرائيليين يزعمون لكم أنهم لا بد أن يرجعوا

Twitter: @ketab_n

إلى البرلمان، وأن عندهم معارضة. وأضاف: أن الوصول إلى المشاركة السياسية مسؤولية الشعوب العربية، ولن تكون منّة لا من أمريكا أو غيرها، ولكن فقط اتركوا الشعوب والحكام في المنطقة يتصرفون باستقلال ولا تتدخلوا. وبالمناسبة، فإن الأمم المتحدة جندت أكثر من عشرين ألفاً لتطبيق التجربة الديمقراطية في كمبوديا، وتشاهد التزوير في العالم العربي، وتفرح للمزورين وتؤيدهم وتدعمهم.

وهنا لا بد من ذكر أبيات من الشعر سبق أن رددتها في مناسبات أخرى

يجن جنوني حين ينتابني الذكر
وأفقد لبي شأن من ناله السحر
وأبعثها من جانب الصدر أنّة
يضيق اكتئاباً عن تحملها الصدر
يقول لك الإفرنج والقول كاذب
نريد لكم خيراً وهل يكره الخير
فما وعدوا والله إلاّ ليخلفوا
وما عهدهم إلاّ على وعدهم غدر

Twitter: @ketab_n

تكره بريطانيا .....وتحب .....

اضطررت إلى السفر إلى لندن ليوم واحد بالحافلة (وليس بالقطار، فالقطار سعر تذاكره مرتفع)، وفي كل مرة تتاح لي الفرصة أن أتأمل في الناس وفي الأشياء والأفكار، وأشاهد الشعب البريطاني في السفر. فأول ما لاحظت أن الذي يسافر وحده لا يجلس في مقعد فيه شخص آخر: إما رغبة في النوم في أثناء الرحلة، أو القراءة، أو رغبة في الاختلاط بالآخرين، الذين لا يعرفهم، أو رغبة في الاستمتاع بمقعدين دون أن يزعجه أحد. وحتى عندما تكون الحافلة مزدحمة قليلاً، ففي النادر أن يدور حديث بين شخص وشخص. وقد جلس إلى جواري أكثر من شخص لم يدر بيني وبينهم أي حديث سوى مرة واحدة، وجدت المقعد الأمامي خلف السائق فارغاً فجلست فيه، ولكن بعد قليل جاءت امرأة تحتاج إلى أكثر من مقعد فضايقتني، وكادت تكتم أنفاسي، ولكن قرب نهاية الرحلة دار حديث بيني وبينها عن رحلتها إلى جبال الهملايا (السفوح) وإن قالت: إنها صعدت بعض الجبال ..(لا أصدق) المهم تحدثت عن الحياة بعيداً عن مظاهر المدنية والاختلاط بالناس

Twitter: @ketab_n

البسطاء الذين لا يعرفون الكهرباء ولا مواقد الغاز ولا الإنترنت ولا الهاتف. وإذ بها فوق الخمسين ومطلقة. وكان طريفاً أن والدتها كانت في محطة الحافلات لاستقبالها، وعرضت عليّ إيصالي إلى المنزل، وهو أمر غير معتاد في العالم المادي.

وفي إحدى هذه الرحلات تأملت لماذا نكره بريطانيا؟ ولماذا يمكن أن نحبها؟ وفيما يأتي ما كتبت:

- تكره بريطانيا لأنها احتلت العديد من البلاد الإسلامية، فعاثت فيها فساداً؛ ففي الهند قربت الهندوس والسيخ وأعطتهم الفرص ليتعلموا وقدمتهم في المناصب، حتى أصبحوا هم الحكام بعدها.
- وتكره بريطانيا لأنها في أثناء الاحتلال عاثت بالتعليم والمناهج، ففي مصر على سبيل المثال لم تسمح للمنصرين بالعمل الصريح، لأن (اللورد) كرومر الحاكم العام (نائب الملكة هناك) وعد المنصرين أن يكون تدمير النظام التعليمي والتربوي أعمق على يد القسيس دنلوب، وكان له ما أراد.
- تكره بريطانيا لأنها في أثناء الاحتلال أنشأت مدارس لتدريس من أسمتهم النخبة من جميع أنحاء العالم الإسلامي، حتى البلاد التي لم تطأها جنود الملكة أتت بأبنائها، ومن هذه المدارس فيكتوريا (اقرأوا ما كتب محمد محمد حسين رحمه الله عنها). فقد درس فيها شباب من السعودية من نجد ومن الحجاز ومن الشرقية ومن المنطقة الجنوبية وربما أيضاً من الشمال. وظن هؤلاء أن أبناءهم سيتلقون تعليماً راقياً، ولكنها في تلك المدارس حرّمت عليهم اللغة

Twitter: @ketab_n

العربية وعلّمتهم التعليم الإنجليزي، الذي جعل مصطفى كمال (أتاتورك) بطلاً وبانياً لتركيا الحديثة وغير ذلك من الإفساد.

- تُكره بريطانيا لأنها في أثناء احتلالها حرصت على إنشاء النوادي الليلية وتشجيع الخنا والدعارة والفجور. وقد حكى لي والدي رحمه الله: أنهم أرادوا إنشاء مرقص في عهد الملك عبد الله في الأردن فأبى ولكنهم بقوة الاحتلال أصروا على ذلك، فما كان من الملك عبد الله إلاّ أن طلب من بعض أتباعه (الخويا) أن يذهبوا في الليلة الأولى لافتتاح المرقص، فيسهروا هناك ويحدثوا مشاجرة ويكسروا الأثاث، فلما اشتكى الإنجليز إليه قال: إن جماعتي لا يحبون مثل هذه الأماكن.

وقد قدم طالب دراسات عليا في المؤتمر الخاص بطلاب الدراسات العليا الذي عقدته الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط في أكسفورد (٥-٧)يوليو ٢٠٠٧ بحثاً عن الدعارة في أثناء الاحتلال البريطاني في مصر.

وقد حاول نابليون أن يفعل الشيء نفسه حين خطف بعض البنات من أهاليهن وأجبرهن على الدعارة أو التزوج بجنود فرنسيين بقصد تشغيلهن في الدعارة.

- وتكره بريطانيا لأنها لم تحتل بلداً وتخرج منه حتى تركت فيه مشكلة سياسية مستعصية، فهي التي كانت تحتل فلسطين وجاءت باليهود من شتى أصقاع الدنيا، لتعطيهم الوعد المشؤوم (أعطى من لا يملك لمن لا يستحق). وحين كانت في الخليج تركت المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت، وتركت واحة البريمي، وخلقت قضية بين

Twitter: @ketab_n

باكستان والهند وهي كشمير منطقة متنازع عليها. وهي في عدن لم تغادر البلاد حتى سلمتها للشيوعيين أو إنها سمحت لهم بأن يصبحوا أقوياء. وتركت في ظفار الشيوعية ثم قامت بمحاربتهم. وتدخلت فيمن يحكم ومن يخرج من الحكم.

- تكره بريطانيا لأسباب أخرى أنها قدمت الفرص للابتعاث لبلادها لدراسة العلوم الشرعية واللغة العربية والآداب، وهنا وقع كثير من الشباب فريسة الأساتذة الإنجليز وبعضهم دهاة حقاً، فغسلوا أدمغتهم وأفسدوا أخلاقهم. وإن كان الابتعاث إلى أمريكا كان دائماً أكثر، ولكن في بريطانيا ما فيها من الفساد الفكري والأخلاقي.
- تكره بريطانيا لأنها ساعدت الأنظمة العربية على نشر أدوات التعذيب؛ فقد انتشرت قبل مدة فضيحة بيع أدوات التعذيب للعديد من البلاد العربية، وكثير من ضباط الشرطة تلقوا تدريباتهم إما في بريطانيا أو أمريكا.
- وتكره بريطانيا لأنه ظهر فيها سلمان رشدي وأعطته من المكانة والحجم ما لا يستحق، فهو ليس أديباً وحتى كثير من الكتاب والأدباء الإنجليز يرون أن بعض الجهات البريطانية بالغت في العناية به، ثم بعد أن أهدر الخميني دمه (كذباً) وقدمت له الحماية بمئات الألوف من الجنيهات، تقوم الملكة بترشيح من توني بلير بإعطائه لقب فارس، وهي تعرف كم يؤذي هذا المسلمين.
- تكره بريطانيا لأنها تسهم في نشر الفساد المالي في كثير من الدول من خلال التعامل التجاري والرشاوى الكبيرة. فهؤلاء في بلادهم يحرصون على أن المسؤول يعلن عن أي هدية وصلته، وقد أحصوا

Twitter: @ketab_n

الهدايا التي تلقاها بلير في أثناء حكمه. وفي الوقت نفسه تقدم بريطانيا الرشاوى بالملايين لدول أخرى. (هي في النهاية تضيف تلك الرشاوى إلى قيمة الصفقة، فلا شيء تدفعه بريطانيا من مالها الخاص).

- وتكره بريطانيا لسيطرة شركات الخمور على البلاد، ففي الوقت الذي ترتفع الشكوى من ترويج الخمور كنت أتوقع أن تتوقف التخفيضات عليها، فإذ بها تستمر وكأن هناك من هو حريص على تدمير البلاد...

وهل ثمة ما يحب في بريطانيا؟

نعم وأبدأ ببعض الكتابات الأدبية التي قرأتها من قديم فتحب بريطانيا لما يأتي:

- لأن فيها أدباء كبار، قدموا للأدب العالمي إنتاجاً جميلاً، فمنهم على سبيل المثال شكسبير في مسرحياته، وبخاصة تلك التي وصف فيها اليهود وصفاً دقيقاً. وما فيها من حديث عن المشاعر الإنسانية.
- لأن فيها أيضاً تشارلز ديكنز صاحب الروايات التي تناولت المجتمع الإنجليزي، وكانت تعترض على الأمراض والمفاسد الاجتماعية بأسلوب أدبي جميل.
- تحب بريطانيا لأنها نظمت مدنها بطريقة تحترم الإنسان وتعطيه المتعة، فلا توجد مدينة بريطانية دون أن تكون فيها حدائق عامة حتى في الأحياء. وقد عرفت أن بعض المجالس بنت مجموعات كبيرة من المساكن، وفي كل حي هناك حديقة أو أكثر، وهناك المدارس. ولو

Twitter: @ketab_n

كنّا في بلدنا لأخذ أحدهم حتى الشارع فأغلقه، ولكم أن تزوروا شارع المكرونة وبعض الأحياء فيه، كيف أنه لو حدث حريق لأصابت الناس كارثة حقيقية لكثرة ما سرق من الأراضي التي كانت مخصصة ليفتح فيها شارع، أما مسألة الحدائق فأكتفي بتذكيركم بقول الشاعر (في فمي يا عراق ماء كثير....).

- تحب بريطانيا لأنها تقدم الخدمات الطبية لكل وافد إليها بطريقة رائعة جداً. لقد قيل لنا: ليست لديكم إقامة رسمية، وقد تدفعون مقابل الولادة وغير ذلك، وإذ بنا ندخل المستشفى ونخرج دون أن يحاسبنا أحد. بينما مدير مستشفى خاص يمنع والدتي من الخروج من المستشفى وتترك الممرضات إبرة المحلول في ذراعها حتى ندفع، وصاحب المستشفى ابن عم المريضة. يا لها من قسوة ووحشية! ولا أريد أن أقول أكثر. ولي قصص مع المستشفيات الخاصة، لن أفصل فيه الآن.
- تحب بريطانيا لأنها تعامل الناس في العيادات والمستشفيات بطريقة إنسانية حقيقية، فقد زرت طبيبة وعرفت أن لدي السكر، فأعطتني بطاقة أحصل على العلاج بموجبها مجاناً، ولم أكن أعرف عن ذلك، فقد كنت مستعداً للدفع.
- تحب بريطانيا لعنايتها بالمواليد الجدد، فزيارات القابلة أو الممرضة إلى المنزل كل يومين أو ثلاثة بعد الولادة، ثم كل أسبوع، ثم زيارة موظفة الصحة العامة.
- تحب بريطانيا لأن فيها فرصاً للتعليم الجامعي والتعليم العالي، وأنها تفتح المجال للمبدعين، وإلاّ لما وصلت إلى ما وصلت إليه من تقدم وتطور.

Twitter: @ketab_n

- وتحب بريطانيا للأدب المروري الجم الذي يتميز به الإنجليز، فقليلاً ما تسمع صوت المنبه، ويقف أحد السائقين للآخر، فأتعجب لماذا لا يكون أحدهما مستعجلاً. حتى إنني حاولت أن أفهم كيف يقفون فلم أستطع. فهو أدب ليس له مثيل في العالم.
- تحب بريطانيا للثقة التي تعطى للإنسان، ففي الخدمات الطبية تعطى الوصفة، ولك أن تختار إحدى الخانات، حتى لا تدفع وتترك وضميرك، ثم تعطى الدواء مجاناً دون أن يسألك أحد.

Twitter: @ketab_n

صنع في الواق واق

قبل عشرات السنين عندما فتحت عيني على الدنيا، وأنا أبحث في الأدوات التي نستخدمها ونستوردها وفي الملابس والأحذية: أين صنعت؟ ولا أنكر أننا كنّا نحب الأشياء التي صنعت في أوروبا وأمريكا، وأما اليابان فكنّا ننظر إلى صناعاتهم على أنها درجة ثانية أو مقلدة. بل إنهم قلدوا حتى بعض الأدوية، ومن ذلك دواء شراب مقوٍ كان يستورد من أوروبا، فأصبحت اليابان تصنعه. ولما قامت الثورة في اليمن وكانت الإذاعة هي الوسيلة القريبة لمعرفة الأخبار انتشرت أجهزة الراديو، وكانت الأجهزة المشهورة هي أجهزة الراديو الإنجليزي والألماني، وبخاصة قراندنج (ذو الثلاث وردات). أما الأجهزة اليابانية فكان ينظر إليها على أنها غير قوية. ولكنَّ اليابانيين نزلوا الأسواق بقوة، فانتشرت أجهزة الراديو اليابانية مثل السانيو والصوني والتوشيبا وغيرها. وتفنن الإخوة اليمنيون في العناية بالأجهزة بتلبيسها بأقمشة زاهية. وكان اليمني يحمل الراديو حيثما ذهب. بل كانت أجهزة الراديو وسيلة من وسائل الترفيه العجيبة، فكان البعض يقتني أجهزة راديو

Twitter: @ketab_n

كبيرة، بدأت عملها قبل الكهرباء ببطاريات، وربما استخدموا بطاريات السيارات أو بطاريات كبيرة.

وأما في الملابس فكانت تغرينا الأحذية الإيطالية؛ لأن صناعة الأحذية الإيطالية هي الأرقى والأجمل. وكنا نفرح بالملابس المصنوعة في الغرب.

والآن تشتري الملابس الأوروبية المشهورة أو الأحذية أو الأجهزة، ولكن مكتوب عليها: صنع في الصين وفي بنغلاديش أو إندونيسيا أو المغرب أو تركيا وحتى تونس. فهل هذه الدول هي الصانعة حقاً لهذه البضائع الراقية من ملابس أو أحذية أو أجهزة؟

لقد فتح الغربيون بلادهم في وقت من الأوقات للعمالة الأجنبية، لتهاجر إليها وتسكن فيها، وتعمل في مصانعها، لأنها كانت أرخص من استخدام العمالة المحلية، أو لأن أوروبا منذ أزمنة بدأت تنقص فيها اليد الشابة، والآن أصبح الأمر أوضح، حيث ارتفع المستوى الصحي، فيقولون: إنهم أصبحوا يعمرون أكثر. ومن الطرائف أنني كنت أدرس مادة الأحياء في جامعة أوريجن بمدينة يوجين، وكان لدينا واجب في المعمل، وكان حول تحديد النسل أو تنظيم النسل، فكتبت أن تحديد النسل سيؤدي إلى ارتفاع نسبة كبار السن، وانخفاض نسبة الشباب. ومن ثم سيعاني الغرب نقصاً في الأيدي العاملة، ويصبح الكبار عالة على عدد قليل من الشباب. فتعجب الأستاذ من إجابة طالب في السنة الجامعية الأولى، وكتب لي (أنت تفكر جيداً، ولكنك غير منظم أو مرتب أو فوضوي)، وربما لأنني كتبت الواجب بسرعة.

Twitter: @ketab_n

مؤتمر المجتمعات الإسلامية في القرن الواحد والعشرين مروراً بالعاصمة واشنطن

تخللت إحدى رحلاتي إلى بريطانيا زيارة الولايات المتحدة الأمريكية لحضور مؤتمرين: أحدهما في العاصمة واشنطن، والآخر في مدينة دينفر Denver بولاية كلورادو، ولذلك كتبت هذه الصفحات عن أمريكا، وهذا حديثي عن المؤتمر الأول:

أطلقوا اسم زعيمهم على عاصمتهم، ولكن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم سمّى مدينته (المدينة)، وأطلق عليها أسماء أخرى، مثل: طيبة، وطابة، ودار الإيمان، والدار وغيرها، وقيل: إذا عظم المسمّى كثرت الأسماء. ومدينة الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم عظيمة. ولا أزيد.

جئت إلى واشنطن العاصمة عدة مرات لا أذكرها بدقة، كانت أول مرة عندما كنت موظفاً في الخطوط السعودية، شاركت ضمن وفد الخطوط الذي جاء للتباحث مع الأمريكان في شأن عقد اتفاقية ثنائية للنقل الجوي، وكانت أمريكا في تلك الأيام تدعو أو تحاول أن تفرض ما

Twitter: @ketab_n

يسمّى «السماء المفتوحة» Open Skies، وكنت في وظيفة مدير الاتفاقيات الثنائية، وكان وضعي في السلم الوظيفي يتطلب أن أكون ساكتاً، فقد كان هناك عدة مراتب أعلى مني، وكنت في ذلك الحين أسعى للحصول على الماجستير في التاريخ من جامعة الملك عبد العزيز. فأفدت من وقت الفراغ فزرت جامعة جورجتاون، حيث اطلعت على بعض ملخصات الرسائل الجامعية، ومنها رسالة أعدت في جامعة ماقيل بكندا حول الشيخ عبد الحميد بن باديس، وعرفت كيف أحصل على نسخة منها، وذلك بدفع ثمانية عشر دولاراً، فطلبت من مدير الخطوط السعودية في نيويورك أن يساعدني على الحصول عليها، ويرسلها عن طريق بريد المؤسسة، (وكان وربما لا يزال أكثر ضماناً من البريد العادي، وبخاصة أن ذلك كان قبل عام ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م)

وفي تلك الزيارة كنت مع بعض أعضاء الوفد نسير في أحد شوارع جورجتاون، فوجدنا دكاناً صغيراً فيه قارئة الكف، فتعجبت: هذه أمريكا التي وصلت القمة في التقدم والتقنية يوجد فيها من يؤمن بقراءة الكف!! وهل قارئة الكف حقيقة هي التي تقرأ مستقبل الإنسان؟ أليس من الغيب أن الإنسان لا يدري ماذا يكسب غداً، ولا تدري نفس بأي أرض تموت؟

وزرت واشنطن العاصمة في أثناء إعداد بحث الدكتوراه عام ١٤٠٨هـ، ومررت بواشنطن لأزور المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وقابلت كلاً من الدكتور عبد الحميد أبو سليمان والدكتور طه جابر العلواني، ولم أعرف من المدير حقيقة، وإن كنت الآن أعتقد أنه كان أبو سليمان، لأن العلواني أصبح مديراً فيما بعد، ولعله هو المدير حالياً. ووجدت غموضاً في المعهد

Twitter: @ketab_n

على الرغم من الجهود الكبيرة التي يبذلونها فيما يسمى أسلمة المعرفة أو الدعوة لنهضة الأمة، والإنتاج العلمي الضخم الذي يقدمونه، كما أنهم حصلوا على تبرعات هائلة من جهات مالية في السعودية.

وقد سئلت ذات مرة في إحدى محاضراتي عن رأيي في المعهد، فقلت: لا أستطيع أن أبدي رأياً حتى أطلع على بعض إنتاجهم، أو أقوم بدراسة لإنتاج هذا المعهد، فليس من المعايير الإسلامية الحكم على شيء دون علم. وتذكرت قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾، فيا ويل من يدلون برأيهم في كل قضية بلا علم. ولا أدري هل أعدت رسائل لتقويم جهود المعهد أم لا؟ ولكني كلما حصلت فرصة احتكاك معهم أجد غموضاً، وأجد أن المعهد يحتاج إلى أناس من نوعية خاصة، ولست من هؤلاء.

وقد كانت لي تجربة مع أحد فروع المعهد وهي الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، حيث اتصلت بهم قبل شهر أو أكثر من قدومي إلى ماليزيا للمشاركة في مؤتمر بالمعهد، وطلبت أن يرتبوا لي لقاءات مع الطلاب في محاضرات عن الاستشراق، فوعدوا خيراً، ولكن عندما وصلت، وذكرتهم بما وعدوا ماطلوا، وكانت عملية سخيفة حقيقة، حيث قيل: إن مدير المعهد حوّل موضوعي إلى قسم التاريخ، وعليَّ الاتصال برئيس القسم، وفعلت، ولكن كانت العملية نوعاً من المماطلة، لتثبيط همي وإبعادي عن الطلاب. وعلمت أن جمال البنا ألقى محاضرة في الطلاب سفّه أحلامهم وشتم الإسلام والمسلمين، وانتقد تفسير القرآن الكريم منذ ابن عباس رضي الله عنهما والطبري وابن كثير، وقال كلاماً

Twitter: @ketab_n

كثيراً لا يرضي الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فتحت له الأبواب؟ فواعجبي وواعجبي.

وزرت واشنطن العاصمة عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) ضيفاً لبرنامج الزائر الدولي، وكتبت عن تلك الرحلة الطريفة، ولكن لأذكر منها أني ذهبت إلى عميد كلية الدعوة، وكان الدكتور معيض العوفي، فسألته: تلقيت دعوة لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية، فهل ينبغي أن أستأذن؟ قال: نعم، تكتب لي وأنا بدوري أكتب للجامعة وننتظر أيوافقون أم لا؟ قلت له: لا أريد أن أكتب لك، ولا أن تكتب للجامعة. لم يبق إلاّ وقت قصير على الرحلة، ولست مستعداً لسماع كلمة لا من الجامعة، وأضفت: اسمع أنا لم أقل لك، وأنت لم تسمع مني، زوجتي في البيت لم تعرف إلاّ من أيام حتى لا تنشب في حلقي، فالرحلة كلها عمل فيما أعتقد.

وسافرت وكتبت عن الرحلة في زاويتي الأسبوعية مقالات بعنوان: (أيام في واشنطن) ومقالات أخرى. وكانت الرحلة كما توقعت أو كما وفق ربي على الأصح مليئة بالنشاط، حتى إنني حين قابلت الدكتور خالد يحيى بلانكنشب (أمريكي مسلم) قال لي: العادة أن الأمريكان لا يرتبون مثل هذه الرحلات المثمرة، ولكن كيف استطعت أن تقنعهم؟ قلت: إنه توفيق الله عز وجل، وثانياً رأوا الصرامة من جانبي، فأنا جئت للبحث وزيارة مراكز دراسات الشرق الأوسط. وبالفعل كانت رحلة متعبة، فقد كان معي مرافق أمريكي (عمره ٥٧ سنة في تلك الأيام) قال: مازن هذه رحلة شاقة فعلاً، لا أدري كيف تحملت معاناتها؟ وكان جواب الحال: إني أردت المعرفة، والمعرفة تحتاج إلى جهد، وأحمد الله أن قدرني على ذلك.

Twitter: @ketab_n

كان مروري بواشنطن هذه المرة في الطريق إلى مدينة دنفر بولاية كولورادو، وهي ولاية كانت فيها في يوم من الأيام مناجم ذهب، وقد فعل الأمريكيون البيض الأفاعيل بالهنود الحمر حتى يأخذوا تلك الأرض منهم.

كان المؤتمر يوماً ونصف اليوم فقط، ولكن خصصت منه حلقة لبحث الشأن التركي، وحلقة أخرى لإندونيسيا. وتضمن موضوعات حول المجتمعات الإسلامية وقضية الطائفية في كل من مدينة عليكرة وفي بنقلاديش، كما تضمن المؤتمر حديثاً عن الفتوى الطبية بخصوص المرأة في مصر بصفة خاصة، وقدمت البحث باحثة يهودية من جامعة حيفا، وكانت الحلقة المخصصة لإندونيسيا من تقديم ثلاث طالبات: تحدثت إحداهن عن وضع المرأة في إندونيسيا وبخاصة موقف الجهات التي تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية، وقالت كلاماً كثيراً عن قضية الحجاب والتعدد، وبدأت حديثها ببعض الذكريات عن جدها الذي تزوج أكثر من امرأة، وعن عمها أو خالها الذي كان يضرب خالتها ولا أحد يساعد تلك المرأة المسكينة، وكان يقال لها: إن هذا هو الإسلام، ولذلك قامت بالالتحاق بالدراسات الإسلامية في إندونيسيا، وهي تكمل دراستها للإسلام (في أمريكا!!!)، وكان من ضمن كلامها تعجبها من أن معظم أو كل من قام بتفسير القرآن الكريم هم من الرجال، ومن ثم جاءت آراؤهم تؤيد مواقف الرجال ضد المرأة، وقالت كلاماً كثيراً عن بعض الجهات الداعية إلى تطبيق الإسلام، وأنهم يفرضون الحجاب بالقوة، وأن الحجاب إنما هو من أجل السيطرة على جسد المرأة. وتحدثت عن القسوة في ذلك.

Twitter: @ketab_n

وفي نهاية الجلسة كنت أعد للتعليق ولكني ترددت كثيراً، ولكن كان أحد الباحثين المشاركين من تركيا واسمه روبرت هازان، وربما هو أرمني، فكان متحمساً لتعليقي، ولا أدري لماذا هل كان يرى أن هذه المرأة تجاوزت الحد في نقد الإسلام، أو أنه أراد أن يسمع من باحث سعودي؟ ولعله ظن أنني شيخ أو متخصص في القضايا الشرعية. المهم بعد تردد كما قلت طلبت التعليق، فبدأت بالقول: إنكم تبالغون في الحديث عن التعدد في الإسلام، كم عدد الرجال الذين يعددون هذه الأيام؟ ثم هل المرأة التي قبلت أن تكون زوجة ثانية كانت مكرهة على ذلك؟ ولماذا تنكرون على المسلم أن يكون له أكثر من زوجة بينما المجتمعات الغربية تضج بتعدد الخليلات، وقد شاهدت برنامجاً في قناة ديسكفري عن تعدد الخليلات في الغرب، الذي أورد قصصاً عجيبة عن اتخاذ الخليلات، ولعل من آخرها ما نقلته الصحف عن هتلر وخليلاته.

أما الحجاب فلماذا أيضاً كل هذا الكلام عن الحجاب؟ أليست السترة والعفة أفضل من التفسخ واللباس المقرف المقزز الذي تتخذه النساء في الغرب اليوم؟ لقد كتبت امرأة غربية عن الحجاب، وكيف كانت تسخر منه، وترى أنه مجرد ملاءة سرير توضع على جسم المرأة، فلمّا هداها الله عز وجل للإسلام أدركت أنها كانت في السابق إنما تسعى لكشف مفاتنها ولفت انتباه الرجال إلى جسدها، فلما «غطت رأسها تفتح عقلها» إلى أن لها قيمة بصفتها إنسان، وليس مجرد فتنة وجسد. ولم يفرض عليها أحد الحجاب، وإنما كان اختياراً شخصياً.

Twitter: @ketab_n

مؤتمر في واشنطن العاصمة

بعد ثلاثة أيام جميلة في ولاية الذهب سابقاً، رجعنا إلى واشنطن العاصمة الأمريكية، وكنت أبحث عن فندق في العاصمة الأمريكية عن طريق الإنترنت ، وقد حاولت أن يقوم الإخوة منظمو المؤتمر بحجز فندق على حسابي قريباً من مقر المؤتمر، ولكنهم أعطوني موقعاً في الإنترنت، ولكني بحثت عن طريقتي، ووجدت فندقاً بسعر مناسب (صحيح أنني لا أتحمل تكاليف الفندق، ولكن سأدفعها الآن وأنتظر المحاسبة فيما بعد). ودارت مراسلات بيني وبين الجهة التي تحجز لي، وأعطوني رقم تأكيد الحجز ولكني لم أحفظه. ووصلت العاصمة وليس لدي حتى اسم الفندق. فأعطاني موظف في المطار كوبوناً لأذهب به إلى فندق في مطار واشنطن وبسعر أقل من مائة دولار. فنزلت تلك الليلة وفي اليوم المقبل نزلت إلى العاصمة أبحث عن الفندق (العظيم)، ووجدته بعد مشقة في شرق شارع نيويورك، وفي منطقة مهجورة بعيدة حتى عن الحافلات. ولكني قبل ذلك وجدت الرقم نفسه ٥٠١ غرب شارع نيويورك مقراً لإدارة المرور، فظننت أن الأمر خدعة، ولكن تبين

Twitter: @ketab_n

لي أن غرب نيويورك غير شرقها. وهذا ما حدث لنا في لندن حين أخذتنا الحافلة بعيداً.

بعد أن أدركت أنني أخطأت العنوان بين الشرق والغرب، قررت ركوب سيارة أجرة، وسألت السائق عن المنطقة التي فيها الفندق، فقال: «أنا لم أسمع شيئاً عن هذه المنطقة (من ناحية الجريمة)، فلا أستطيع أن أقول: إنها مخيفة أو غير مخيفة. ولما وصلنا وجدنا الفندق عبارة عن موتيل متفرق الغرف وطابقين فقط. ووجدنا موظفي الاستقبال يقبعون خلف زجاج سميك مثل الفنادق، أي لا يحتكون بالزبائن. فتأكد لنا أن المنطقة مخيفة. ومع ذلك قيل إنه ليس لكم حجز. وحتى لو كان لنا حجز لرفضنا خوفاً من المكان السيئ الذي تورطنا فيه عن طريق الإنترنت. فلا يغررك أنك تعرف اللغة، فلا بد أن تعرف المدينة والأماكن المناسبة. صحيح أن هناك فنادق ليست لها أسماء عالمية ولكنها محترمة. وكان هذا الفندق غير محترم أبداً. ولكن عندما قررنا ترك ذلك الفندق طوعاً أو كرهاً ساق الله إلينا سائق تاكسي اسمه محمد من إريتريا، فسألناه عن المنطقة، قال: أنت توفر بضعة دولارات، ولكن تجعل حياتك في خطر، ليس كمثل أصحاب التاكسي في معرفة المدينة، هذه منطقة خطرة، ولم يكن من الحكمة أو الذكاء التورط في مثل هذا الفندق، فحمدنا الله على أن سلمنا. وهنا أنقل نصيحة صاحب تاكسي آخر قال: أنا لا أثق بالإنترنت، لا بد أن أتصل بالفندق، وأعرف أنه موجود بالفعل، وربما لا يكون موجوداً أو يكون بغير الوصف الذي قرأت عنه.

Twitter: @ketab_n

رجعنا إلى المطار ونحن نحمل عفشنا بالحافلة بتذكرة قيمتها ثلاثة دولارات فقط، ورجعنا إلى المطار، فأحالنا الموظف المختص بمساعدة الركاب لإيجاد سكن في محيط المطار هذه المرة إلى شقق مفروشة تتبع فندق الهوليدي إن قريباً من المطار، وبسعر لا يزيد على مائة دولار، فمكثنا فيه ليلتين، والأصل أن يسمحوا لنا بليلة واحدة، ولم تستجب بطاقات الائتمان التي أحملها، ولكن استجابت بطاقة الصراف الآلي. ولم يكن معي ما يكفي من النقد، ويعمل في هذه الشقق المفروشة أخ من الباكستان قدم لنا مساعدات قيمة، وتحدث عن صعوبة الحياة في أمريكا، وأنه يفتقد الأذان وصلاة الجماعة، حتى إنه يقود سيارته أكثر من عشرين دقيقة ليصلي صلاة الفجر. والسؤال ما الذي أجبره وغيره على اختيار هذا المكان، البحث عن لقمة العيش الكريمة، ولو توافرت في بلاده لما هاجرها، وجاء إلى هذا المكان الصعب. أما باقي الصلوات فهو في العمل ويصليها منفرداً.. والمهم بقينا ليلتين. ونزلنا لنتفرج على العاصمة، وفي مبنى قريب من موقف الحافلة وجدنا فندقاً فخماً، فاتصلت بإدارة الحجز فحجزنا ثلاثة أيام. وكان فندقاً محترماً أجرة الليلة الأولى بنحو مائتي دولار، واليوم الثاني بمائة وتسعة وأربعين واليوم الثالث بتسعة وتسعين.

في أثناء إقامتنا وتنقلاتنا في واشنطن العاصمة لاحظنا عدداً كبيراً من مشروعات البناء وفتح الطرق وبناء الجسور، فقد يقول الإنسان: هؤلاء الناس قد بنوا ما فيه الكفاية، فلماذا الزيادات؟ ولكن أعداد البشر تزيد، وهذه سنة الله في الكون، التغير. المهم وجدنا أن لديهم

Twitter: @ketab_n

مشروعاً ضخماً في مطار واشنطن العاصمة المسمى دلاس، وهو ربط الصالتين الأساسيتين بقطارات تحتية بدلاً من الصالات المتحركة، التي أخذناها عنهم في مطار جدة الدولي. فهل نفكر نحن في تطوير مطار جدة، كما يفعلون في مطار واشنطن؟ لقد أصبح مطار جدة خردة، وقد قلت لموظف: إن الإنسان يشعر بالقرف في الوقوف دقائق أمام هذه الكونترات، قال: أنت انزعجت لوقوفك فما بالك بنا نحن الذين نعمل ساعات عديدة، نستخدم هذا الأثاث، الذي استهلك ولم تعد له قيمة، وأصبح منظره تعيساً؟ فمتى يتم تغيير مطار جدة الدولي؟

لاحظنا في أمريكا اتساع الطرقات وضخامتها وكثرة السيارات ذات الحجم الكبير، بينما شوارع بريطانيا ضيقة. وقد توصل الإنجليز إلى آداب عامة في الطرقات يفسحون بعضهم لبعض، قد يكون لذلك قواعد معينة لم أكتشفها، لأنني لا أملك سيارة، ولم أشعر بالحاجة الماسة لها. كما لاحظنا أن الأسعار في أمريكا عموماً أرخص من بريطانيا بكثير، فالمجتمع الأمريكي فعلاً مجتمع الوفرة في كل شيء. فعلى سبيل المثال المطاعم الأمريكية تقدم بعض الإضافات للأكل مجاناً وبلا حدود مثل الكاتشب، بينما تدفع عشرين بنساً لكيس صغير من الكاتشب في بريطانيا. وكمية الأكل في أمريكا وبأسعار أقل أكثر من الأكل في المطاعم البريطانية. وأذكر وجبة في مطعم صيني في إكستر كلفت عشرين جنيهاً (نحو مائة وخمسين ريالاً) كانت غير مشبعة، بينما وجبة بعشرين ريالاً في أمريكا وعلى المستوى نفسه أو ربما أحسن كانت أكثر من مشبعة.

Twitter: @ketab_n

كانت مدة الإقامة في واشنطن العاصمة ستة أيام، قضيناها في ثلاثة فنادق، وكان التنقل متعباً، لولا أن حافلات المطار رقم A-٥ التي تعمل كل نصف ساعة لكانت التكاليف عالية جداً، وفي واشنطن سيارات التاكسي لا تعمل بالعداد بل حسب المناطق، أي من منطقة أ إلى منطقة ب بخمسة دولارات، ولكن لمنطقة ج عشرة دولارات.

وكان من الملاحظ أن الأمريكيين من أصل أفريقي كثرة كاثرة في واشنطن العاصمة، وقد ركبنا الحافلة في مدينة واشنطن، فكان تسعة وتسعين بالمائة منهم وحتى سائق الحافلة، وكان من المفارقات أننا كنا في الحافلة وفجأة توقف السائق، وأشار بيده أنت وأنت وأنت ارجعوا إلى المقاعد الخلفية، وأوامر السائق مطاعة، صحيح أن هناك عُرفاً عاماً أن الذي يركب الحافلة عليه أن يركب في المقاعد الخالية الخلفية ليتيح الفرصة للقادمين أو لمن يمكن أن يكون من كبار السن، ولكن تلك اللهجة العسكرية كانت غريبة، وكان في لهجته لا يحتمل أن ترد عليه بالقول لا. وعلى الرغم من أنني كنت وزوجي وابني إلا أنه لم يشفع لنا ذلك من تلقي أوامره بالانتقال إلى الخلف. وكان معنا في الحافلة شاب أيضاً من أصل أفريقي كان يبدو متعاطفاً معنا، وهو الذي دلنا على الحافلة، فقالت زوجتي عندما نزل من الحافلة أعطى السائق الفرصة ليضطهدنا.

وعندما تجولنا حول منطقة البيت الأبيض وحدائق البيت مفتوحة للزوار، إلا ما اقترب منها من المكاتب، وهي حدائق جميلة، ويقع ضمن هذه الحدائق نبع ماء جميل، يبدو أنه ما زال على طبيعته مع تحديثات بسيطة، وكان اليوم قائظاً وواشنطن معروف أنها في الصيف

Twitter: @ketab_n

تكون حارة إلى حد ما مع رطوبة عالية، وفيها نهر ضخم اسمه نهر الباتوميك. أو بتوميك، ويقسم المدينة نصفين. وعلى إحدى ضفافه جامعة جورجتاون اليسوعية أو أكبر الجامعات اليسوعية في أمريكا. وهذه الجامعة حريصة على التعاون العلمي مع الجامعات العربية والإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي.

Twitter: @ketab_n

مؤتمر ومظاهرة في واشنطن العاصمة الأمريكية

عندما كنّا نزور البيت الأبيض، أعني حديقته (دخلته مرتين، ولا فخر) كانت إحداها للمشاركة في ندوة عن التقارب بين الثقافات، والثانية كنت ضمن وفد الخطوط السعودية. في هذه المرة رأينا تجمهراً في الحديقة، فاقتربت منهم، فإذ بهم من المهاجرين من أمريكا الجنوبية، التي يطلق عليها أمريكا اللاتينية. والملاحظ أن أمريكا أو الولايات المتحدة الأمريكية في أوج فتوتها وفي بداياتها هجمت على منطقتين كان يسكنهما هؤلاء الناس، فاستولت على تلك المناطق، وهي ولاية تكساس وكاليفورنيا وربما نيومكسيكو. كان هؤلاء يتظاهرون في ساحة البيت الأبيض ضد سياسات الحكومة الأمريكية، التي تقوم بطرد بعض هؤلاء بحجة أن إقامتهم غير مشروعة. وما يحدث في هذا الطرد من مآس: كتفريق الأسر، أو أن يكون الطرد فيه تفرقة. فحمل هؤلاء لوحات عليها مثل هذا الكلام، كما أنهم حملوا مكبّر الصوت، وأخذوا يخطبون باللغة الإنجليزية والإسبانية بهذه المعاني. وكان يشاركهم واحد من النواب في الكونجرس أو مجلس النواب. وحضرت صحفية

Twitter: @ketab_n

من محطة تليفزيونية. ولكن كان عدد المتظاهرين صغيراً مقارنة بحجم المأساة التي يعانيها هؤلاء. وقد وعد بوش بوعود لا أدري هل صانها أو خانها أن يصلح أوضاعهم. وكما تدعي أوروبا أنها تعاني الهجرات غير المشروعة من الأفارقة (التي نهبت قارتهم) تعاني أمريكا (كما تقول) من التشيكانوز أي الأمريكيين من أمريكا الجنوبية. ولكني لاحظت أنهم فرضوا وجودهم في كثير من الولايات، حيث تكتب اللوحات والإرشادات باللغتين الإنجليزية والإسبانية. وهنا أذكر كتاب الدكتور محمد خضر عريف (عرف عنه مندوب مكتبة الكونجرس قبل أن يخرج من المطبعة) وعنوانه: (أمريكا سري للغاية) تحدث عن الدكتاتورية الأمريكية في فرض اللغة الإنجليزية. ففي محيط العمل تفرض اللغة الإنجليزية ولو كان اثنان من أي عرق أو لغة أو دين يتحدثون بلسان قومهم لفصلوا من العمل. ولكن هل هذا القانون مازال مطبقاً؟ لا أدري، ولكن ما لاحظته أن اللغة الإسبانية فرضت وجودها في أمريكا.

مؤتمر في واشنطن العاصمة:

لمّا كنت قادماً إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأحضر مؤتمراً في مدينة دنفر بكولورادو صادف أن هناك مؤتمراً آخر، يعقد قبله بأيام في واشنطن العاصمة، يعقده مركز دراسة الإسلام والديمقراطية، وهو مركز يسعى إلى نشر ثقافة الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي، من خلال العديد من البرامج وورش العمل، كما أنه ينشط في الولايات المتحدة الأمريكية ليوضح للأمريكيين عدم التعارض أو حتى التوافق بين الإسلام وكثير من مظاهر وأسس الديمقراطية. ومن أبرز أنشطته

Twitter: @ketab_n

مؤتمره السنوى الذي كان في هذا العام بعنوان: «حقوق النساء في الإسلام وفي المجتمعات الإسلامية» يوم ١٠ربيع الآخر ١٤٢٨هـ (٢٧ أبريل ٢٠٠٧م).

كان مؤتمراً كبيراً حقاً، فروح الإسلام واضحة في القائمين عليه، فقد كان ضمن البرنامج التوقف لصلاة الجمعة، ومعظم المسلمين المشاركين في المؤتمر ذهبوا لأداء الصلاة، بينما حضرت مؤتمراً في القاهرة وفي جامعة حلوان لم يتوقف المؤتمر للصلاة، وقليل من ذهب لأداء صلاة الجمعة، ربما لأن هذا المؤتمر كان عن العلاقات الروسية العربية والحوار بين الحضارات، فكثير من المشاركين من الشيوعيين القدامى، أو المتزلفين لأمريكا الجدد، أو ما يطلق عليهم الليبراليين العلمانيين المحاربين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. وكان عدد الحضور يتجاوز المائة ومعظمهم من النساء الأمريكيات، أما المتحدثون فلم يزيدوا على عشرين كثيراً، وكان معظم المتحدثات نساء أيضاً. وذكر المنظمون أنهم قدم إليهم أكثر من مائة بحث، وبعد فحص البحوث وتحكيمها علمياً اختاروا هذه العشرين.

تحدثت في الجلسة الافتتاحية ممثلة الحكومة الأمريكية، وشددت على ضرورة أن يكون التغيير نابعاً من الداخل، وأن تنال المرأة مزيداً من الحقوق، وكعادة الأمريكان والنظرة الفوقية، تحدثت عن زيارتها لبعض البلاد العربية والإسلامية والتقائها بنساء عربيات مسلمات، وأثنت على الجهود الكبيرة لتحقيق مساواة للمرأة ومزيداً من المشاركة. وأشارت إلى تعاون أمريكا مع الجمعيات غير الحكومية، ولكنها لم تعترف بأن

Twitter: @ketab_n

الجمعيات التي يختارون التعاون معها، هي التي تنادي بالتحرر وفق المعايير والموازين الغربية، وقد أكدت باحثة بريطانية في مؤتمر الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط في صيف العام الماضي في مدينة برمنجهام أن الجمعيات الإسلامية أو الحركة النسوية الإسلامية لا تحظى بأي دعم من الجهات الغربية.

شارك في المؤتمر بعض كبار المستشرقين أو المتخصصين الأمريكان في الإسلام والعالم الإسلامي، ومنهم تمارا صن Tamara Sonn، وقد شاهدتها في مناظرة مسجلة بالفيديو قبل أكثر من خمس عشرة سنة مع المنصّر الأمريكي كينيث كراج. وقد كان حديثها عن الإسلام جيداً، وقد أثنى عليها عدد من طلابها. وكان من بين الحضور باحثة أمريكية متخصصة في الاقتصاد، ولكنها مهتمة بالاقتصاد الإسلامي، وقد شاركت في العديد من الندوات والمؤتمرات حول الاقتصاد الإسلامي. ولعل هذا يكون مدخلاً لقبولها الإسلام بإذن الله.

ولفتت انتباهي في المؤتمر باحثة أمريكية مسلمة تحدثت عن فهم القرآن الكريم من خلال الترجمات الموجودة، وقالت: إن هذا لا يكفي لا بد من معرفة اللغة العربية ومعرفة النحو والصرف. فمن المؤكد أن بعض الترجمات لا تدرك الإعجاز اللغوي للنصوص القرآنية، وقد تلت بعض الآيات الكريمة. لقد كان مستوى قراءتها ضعيفاً، ولكنها تحاول بجد، وقد أهديتها بعض تلاوات الشيخ إبراهيم الأخضر، وذكرت لها أن أستاذاً مغربياً هو الدكتور محمد الكتاني رحمه الله كان متخصصاً في اللغة الإنجليزية، واهتم بالترجمات، فبذل جهداً كبيراً لدراسة

Twitter: @ketab_n

العلوم الشرعية واللغة العربية، وقدم نقداً للترجمات الحالية من خلال ما درسه في النحو والصرف وأبدع في النقد.

وكان من بين المتحدثين شاب تخرج حديثاً في الجامعة، والده من السلفادور وأمه يهودية، أو أبوه يهودي واهتدى إلى الإسلام، وقدم بحثاً وتحليلاً لطيفاً لحركة الإخوان المسلمين في مصر وموقفها من عدد من القضايا. وهو يعمل في مركز بحوث إسلامي. ولكن ما أخشاه أن مثل هؤلاء الباحثين يصبحون أدوات في أيدي الغربيين. ولم أفصح له عن ذلك، ولكني أرجو أن تتاح المراسلة بيني وبينه لأوضح له كيف يمكن أن يبتعد عن مثل هذا المزلق الخطير.

وتحدثت في الجلسة الختامية الدكتورة عزيزة الهبري[1]. وكانت لها آراء لطيفة، حيث بدأت بقضية التوحيد، وأشارت إلى أن ما يقوله النصارى: إنهم من الأديان التوحيدية أو الإبراهيمية ليس صحيحاً. وتعجبت باحثة سورية أمريكية الجنسية ومحامية تتناول قضية التوحيد. وكانت تستعين في حديثها بجهاز الكمبيوتر، حيث تعرض الآيات القرآنية، وتتحدث عنها وتترجم معانيها. وتناولت كما ذكرت في مقالة أخرى حول ما ذكره القرآن الكريم عن رفض إبليس للسجود لآدم بحجة أنه أفضل من آدم، فهو مخلوق من نار وآدم خلق من طين، واستشهدت بكلام لأبي حامد الغزالي -رحمه الله- عن أي حوار يتصف أحد الطرفين بالكبرياء

(١) أنشأت الدكتورة المحامية عزيزة الهبري (سورية الأصل) جمعية باسم «الكرامة»، وهذا عنوانها على الإنترنت. http://www.karamah.org/arabic/news.htm وانظر أيضاً سيرة الدكتورة على العنوان الآتي:
http://www.karamah.org/arabic/bio__azizah.htm

Twitter: @ketab_n

والغطرسة بأنه حوار شيطاني أو إبليسي، فليس الأبيض أفضل من الأسود، وليس الأحمر أفضل من الأصفر، وهو ما ذكرته الآية القرآنية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾، وهو ما أشار إليه الحديث النبوي الشريف: (**لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى**). وفي حديث آخر: (**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**).

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

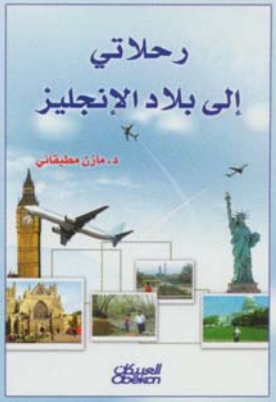

ينقلك هذا الكتاب إلى بريطانيا حيث التاريخ والعراقة والقصور الأثرية والجامعات المتميزة، حيث أدب السير الإنجليزي، فتتعجب كيف يقف الإنجليز بعضهم لبعض في تلك الشوارع الضيقة، ولا تكاد تسمع للمنبه صوتاً إلاّ في حالات طارئة. كما يقدم لك وصفاً لبلاد الإنجليز من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية، ويصف طبيعتها جمال جبالها وأوديتها وشواطئها. ويتناول الكتاب معاناة الكاتب مع السفر إلى بريطانيا وبخاصة في الحصول على التأشيرة أو في تمديد إقامته هناك.

يحرص الكتاب وهو في معرض الحديث عن الإنجليز على أن يصف بعض الجوانب الإيجابية، مثل انفتاح المجتمع الإنجليزي على مشكلاته فيناقشها بحرية وسعة صدر، ويقدم الحلول لها، كما يصف الكاتب بعض الأمراض الاجتماعية والصحية في المجتمع الإنجليزي من خلال الإعلام الإنجليزي من صحافة وتلفاز وغيرها من وسائل الإعلام، وكذلك من خلال المعايشة ومن هذه المشكلات إفراط الإنجليز في استهلاكهم للخمور وما تسببه من كوارث اجتماعية وصحية، حتى إن مجلة إنجليزية دعت الإنجليز إلى الإفادة من التشريعات الإسلامية في تحريم الخمور. ومن المشكلات الاجتماعية ما تعانيه السجون الإنجليزية من ازدحام وتكدس، كما ينقل لك أحاديث تلك الصحافة عن ضحايا جرائم الكراهية العنصرية أو العرقية.

ويقدم الكاتب أيضاً بعض النماذج من مثل مشكلة الأطعمة غير الصحية التي تقدم للطلاب في المدارس أو للمجتمع عموماً.

Twitter: @ketab_n
23.12.2011

ISBN:978-603-503-148-6
9 786035 031486

موضوع الكتاب: بريطانيا - وصف ورحلات

موقعنا على الإنترنت:
http:/www.obeikanbookshop.com